

الاصحاح

من سيرة الإمام علي

(المرتضى من سيرة المرتضى)



الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرضى من سيرة المرضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

بإذن من مؤسسة الإمام الخميني

أيضاً للسيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ۱۹۴۴م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) / السيد جعفر مرتضى العاملي. قم: أيام، ۱۴۳۲ ق. = ۲۰۱۲ م. = ۱۳۸۹.  
۵۱۲ ص.

ISBN: 978-964-91063-9-7

۶۰۰۰ ریال

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

کتابنامه:

۱. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ۲۳ قبل الهجرة - ۴۰ ق سرگذشت نامه. ۲. إسلام - تاريخ از آغاز تا ۴۱ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

۲۹۷/۹۵۱

۳ ص ۴۲ ع B P ۳۷/۳۵

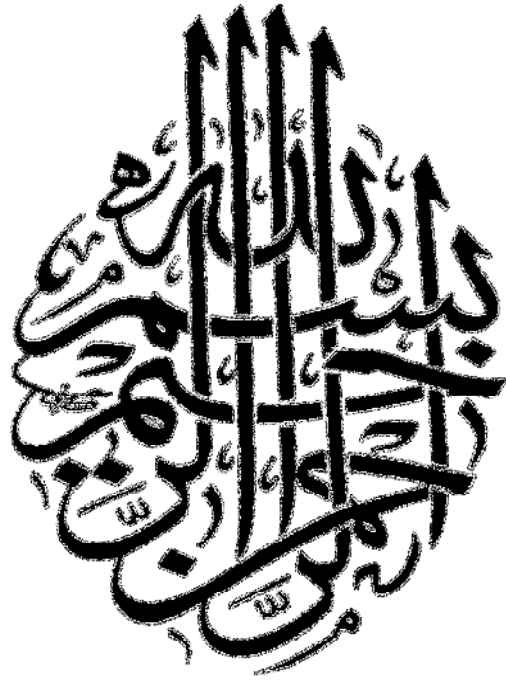
۱۳۸۹



اسم الكتاب:	الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام
اسم المؤلف:	السيد جعفر مرتضى العاملي
الناشر:	نشر أيام
الطبعة:	الأولى ۱۴۳۲ هـ. ق. = ۱۳۸۹ هـ. ش = ۲۰۱۲ م
عدد المطبوع:	۲۰۰۰ نسخة
سعر الدورة:	۳۱ - ۴۵ تومانا
ردمك ج:	۳-۵-۹۱۰۶۳-۹۶۴-۹۷۸

العنوان: ايران - قم - ۴۵ متري صندوق - صدوقي ۶ پلاك ۲۰ تلفن: ۰۹۱۲۱۵۱۷۱۷۷ - ۰۹۱۲۶۵۱۸۱۱۴

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي طبع شده است





## الفصل الرابع:

الحرب على الماء: معالجة نصوص ..





## بداية:

لا نريد أن نتوسع في البحث حول النصوص التي وردت في الفصل السابق، لا زهداً في البحث والتقصي، وإنما توفيراً للوقت والجهد، بغية توظيفهما في مواضع أخرى يحتاج القارئ الكريم إلى توضيح بعض مبهماتهما، واستخلاص بعض العبر منها، والإلماح إلى بعض دلالاتها..

## فنقول:

### إيضاحات لكلمات:

**يهبط الناس - بتشديد الميم -:** أي يقهرهم.

**الإعتزاب:** البعد. أعزب عني: أي ابتعد عني. أي أن معاوية بالرغم من بعده عن الإمارة، فإنه يقهر الناس.

**العرام:** الشدة، والشراسة.

**ثمر:** أي اتخذ صفة النمر في سرعة الوثوب.

**العشائر: الشديد.**

**أجر:** أي ظلم الناس حتى أدخلهم في الجحر، وهو ما تحتقره الهوام والسباع لأنفسها. أو أجر: أي أدخلهم الحجر. وهو للإنسان. ومنه الحجرة.

أي أنه «عليه السلام» قائد شديد، إذا رأى من يظلم الناس، فإنه ينصفهم منه، فحذف كلمة منه ليكون من قبيل: (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ..) (1). أي من قومه.

**المزج:** الذي يطعن بالعجلة.. عن ابن الأعرابي.. وهو رمح قصير كالمزراق يستعمل للطعن النافذ، إذا قربت المسافة بين المتقاتلين. أو ما يزوج في شيء آخر - كالسهم مثلاً - حتى يستقر في موضعه المناسب له.

**الزمجر:** - والصحيح: الزمخر - (2): السهام الدقيقة الطوال.

**تغشمر:** أخذهم بالشدة..

**رجل زمجر:** مانع حوزته.

**الدرق:** جمع درقة.

**ضربك:** مثلك، وشبيهك.

**الحجف:** الترس.

(1) الآية 155 من سورة الأعراف.

(2) وقلنا: إن هذا هو الصحيح، لأنه هو المناسب للوصف بالمزج.

الشواذب: الخيل الضامرة.

الوشيج: الرماح.

الزغف: جمع زغفة: الدرع الواسعة.

النجف: الحلب الجيد حتى ينفض الضرع.

الصك: الضرب.

الذميل، والقطف: ضربان من السير.

النطف: المريب المعيب.

العزالي: جمع عزلاء: فم المزايدة.. شبه بها اتساع الطعنة، وتدفق

الدم منها.

النفج: الدفع..

العجاج من الأرض: الأرض الخبيثة. ومن الناس الأراذل

والأوباش.

الجنذل: جمع جنذلة: الحجارة يقلها الرجل.

الإحرين: جمع حرة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرات.

الأمرين: الشر، والأمر العظيم.

الجمز: ضرب من السير السريع.

القواصي: الأماكن البعيدة.

الصياصي: المواضع التي يمتنع بها من الحصون ونحوها.

العراص: الساحات.

التناصي: أخذ كل منهما بناصية الآخر.

الخصاص: الضوامر.

الدلاص: الملساء اللينة.

المصاص: أخلص كل شيء.

الغريز: الذي لم يجرب الأمور.

نحفزها: نطعنها بالرمح.

المظاظ: الصعبة والمؤلمة، والمخاصمة والمنازعة.

القرم: السيد المعظم.

الشاري: البائع.

الوغاء: الوغى، وهي الحرب.

العباء: ما يحبو به صاحبه، ويكرمه به.

الحرب العوان: التي تكررت الحرب فيها.

الجدع: الصغير السن.

حلك الغراب: شدة سواده.

المحذوف من الدواب: مقطوع الذنب.

مار: اضطرب.

الأشهل: لون الحدقة الذي لم يصل إلى الزرقة.

الوغل: الضعيف.

النذل: الساقط.

لا تجزَع من جلادي: أراد لا تجزَعن، بنون التوكيد الخفيفة.  
اللزاز: شديد الخصومة.

المرسب: السيف يغور في الضريبة حتى ينتهي إلى القعر.. وإلى آخرها.

الجوشن: زرد يلبس على الصدر والحيزوم.

المحرب: الشديد الحرب، الشجاع.

كسف: قطع.

الرجل: الراجل، مقابل الراكب.

التهليل: النكوص والإحجام.

الصّمل - كالعتل -: الشديد الخلق العظيم.

القشم: الأكل.

التعويل: رفع الصوت بالبكاء.

الصدى: ما يبقى من الميت في قبره.

الاحر نفاش: التقبض والتهيؤ للشر..

النشناش: تحريك ودفع الرجل لرجل آخر. ونشنش السلب: أخذه.

خف له: أسرع.

البطاش: من البطش، وهو التناول بشدة عند الصولة.

خفان: مأسدة قرب الكوفة.

شاش: مدينة بما وراء النهر.

**الرباط:** ملازمة الحضور في الثغر، مقابل الأعداء.

**القبط:** أهل مصر.

**أبرق بالسيف:** لمع به.

**النقع:** الغبار.

**الطعين:** من أصابه الطاعون.

**الخبط:** الضرب الشديد.

**نفحه:** فاجأه بالضرب، أو حاول أن يصل إليه بضربته من بعيد.

والنفحة: الدفعة من العذاب.

**يهمط الناس على اعتزابه:**

تقدم في أول الفصل السابق: أن علياً «عليه السلام» قال لما نزل

معاوية بصفين:

لقد أتاكم كاشراً أنيابه      يهمط الناس على

اعتزابه

فليأتنا الدهر بما أتى به

ونقول:

في هذا الرجز أمور تحتاج إلى بيان، وهي التالية:

**أتاكم كاشراً عن نابه:**

إن علياً «عليه السلام» ليس بالرجل الذي يلقي الكلام على

عواهنه، بل له في كل حركة وسكون، وقول وفعل، أهدافه ومقاصده.

وقد ذكر «عليه السلام»: أن معاوية قد جاء كاشراً عن نابه، وهو يُهْمَطُ الناس، أي يقهرهم ليحصل على أمر ليس له، ويريد الوصول إليه بالرغم من اعتزابه، أي ابتعاده عنه..

فهو «عليه السلام» لا يريد بكلامه هذا ذم معاوية تشفياً منه، ولا تنفيساً عن كربة يشعر بها، أو استجابة لمشاعر سلبية تنتابه، وإنما يريد به توعية الناس على ما ينبغي لهم أن يعرفوه من أهداف معاوية من هذه الحرب، وأن معاوية لا يملك قضية يسعى إلى نصرتها، ولا أطروحة يقتنع بها، ويدعو الناس إليها، ولاحقاً يريد دفع عدوان المعتدين عليه، وليس مظلوماً يسعى لدفع الظلم عن نفسه..

وإنما هو محض معتد أثيم، يسعى لقهر الناس، وقد كثر عن أنيابه، لينهشهم، من أجل الحصول على أمر ليس له، وليس لديه فيه أية حجة، أو برهان، بل حجته هي أنيابه وقوته، وظلمه، وتجبره على قاعدة:

**ودعوى القوي كدعوى السباع من الناب والظفر برهانها**

وفائدة إنشاده «عليه السلام» لهذا الرجز: أن لا يدع للناس فرصة لأن يستسلموا لأفكار خاطئة، ومعادلات رديئة، تؤدي بهم إلى الهلاك في الدنيا والآخرة من حيث لا يشعرون.

وإذا كان كثير من الناس قد لا يلتفتون إلى مرامي كلامه هذا، فإن أهل الرأي فيهم، وأصحاب القرار والنفوذ، كرؤساء القبائل يفهمون ما يرمي إليه، ويدل عليه..

**وتوضيح ذلك:** أن الناس حين يرون هذه الجيوش قد يراودهم خاطر شيطاني سيء وسقيم، يقول: أليس من الأفضل أن نعطي معاوية ما يريد، ونحفظ عشرات الألوف من القتل والجرح، وقطع الأعضاء، ونصون النساء من الترمل، ونعيش نحن ومعاوية وسائر الناس في رفاهية من العيش، وننعم بالأمن والسلامة في الدين والدنيا؟!

فأراد «عليه السلام» أن يفهمهم: أن معاوية لن يرضى منهم إلا بإذلال أنفسهم، وسلب دنياهم، وأموالهم، وحررياتهم، وكل معاني الكرامة فيهم، واستئصال خيارهم وصلحائهم، وتسليط شرارهم وفجارهم عليهم، وسلبهم السعادة والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة.

وما يؤملونه من سلامة من القتل، والجرح، والتشريد، وترمل النساء، ويتم الأطفال، وسلامة الأموال، والعيش الكريم، والأمن، والسعادة، والرفاهية، والنجاة في الآخرة، ما هو إلا أضغاث أحلام، ولن يصلوا إليه، لن يحصلوا عليه.. مما يعني أنه لا طريق لهم، ولا نجاة إلا بالعمل بما أمرهم الله تعالى به، والإنهاء عما نهاهم الله عنه.

**وهذا درس هام جداً يبيّن لنا:** أن على القائد أن يكون مدركاً لما يمكن أن يعرض للناس من أفكار، أو أوهام وخلجات، وأن يتوقعها، وأن يعمل في الوقت المناسب على تحصين الناس منها ومن سلبياتها، ولا يعتمد على مجرد نفوذ كلمته، وقوة سلطانه، وهيبته، فإن ذلك قد يسقط حين تحقق الحقائق، وترتفع درجة التحدي، وتحين ساعة



### المواجهة المصيرية.

كما أن عليه أن يهتم برفع مستوى الوعي لدى الناس، وتأكيد يقينهم بالحق، وتحصينهم من الوسوس الشيطانية..

### عرام الحرب وصفات قائدها:

وتقدم في أول الفصل السابق أيضاً: أنه «عليه السلام» كتب إلى معاوية رجزاً يقول:

فإن للحرب عراماً شراً      إن عليها قائداً عشنزرا  
ينصف من أجر أو تنمراً      على نواحيها مزجاً  
زمجرا

إذا ونين ساعة تغشمرا

### ونقول:

تضمن هذا الرجز أموراً، نذكر منها ما يلي:

### شرح الألفاظ:

وقد ذكرنا آنفاً: أن المراد من كلمة: عشنزر الشديد. والمراد من كلمة أحجر: أنه ظلم الناس، حتى أدخلهم في الحجر، وهو البيت، (ومنه حجر اسماعيل). والمزج: السريع النفوذ، وتغشمر: أخذهم بالشدة..

### غريب اللغة، لماذا؟!:

وهنا سؤال يقول: لماذا يستعمل علي «عليه السلام» الألفاظ

الغريبة في رجزه، مثل: تهَمَّط، وعشَنَزِر، وتَغَشَمِر، ونحو ذلك؟!  
 ألا يضر ذلك في فصاحته، أو في حكمته، من حيث أن  
 المفروض هو أن يتوخى الوضوح، ويختار الكلمة السهلة والعذبة؟!!

### ونجيب:

أولاً: بالنسبة للغرابة والوضوح، نقول:

إن هذا يرتبط بثقافة الناس اللغوية آنئذ، ومجموعة الألفاظ التي  
 كانت متداولة فيما بينهم في تلك الحقبة من الزمن، فما هو غريب وغير  
 واضح المعنى، ويحتاج إلى مراجعة معاجم اللغة لمعرفة معناه عندنا قد  
 يكون هو المتداول آنئذ بين الناس، بما فيهم النساء والصبيان، وأهل  
 السوق، وسواهم..

ثانياً: إن لكل مقام مقالاً يناسبه في الشكل وفي المضمون،  
 فالألفاظ التي يتخيرها الإنسان ليخاطب بها طفله الصغير، وكذلك  
 المضامين والمعاني، تختلف عن تلك التي يخاطب بها الرجل البالغ  
 العاقل.. كما أن ما يخاطب به الإنسان الساذج والعاذي من ألفاظ  
 ومصطلحات وتراكيب تختلف عما يخاطب به العالم المتبحر،  
 والضليع في العلوم والمصطلحات، والواقف على الدقائق وخفايا  
 الحقائق العلمية.

ومن جهة أخرى، فإن الخطاب إذا كان مع القريب والحبيب،  
 وفي حال التودد والتلطف بالكلمات الرقيقة والعذبة، لفظاً ومعنى ليس  
 كالخطاب مع العدو وفي ساحة الحرب، حيث الطعن والضرب،

وحيث يحتاج إلى التهويل، والتخويف، والترهيب.. وإلى الكلمات والمعاني الشديدة، والمخيفة، والقاسية، التي تصك أفاضها المسامع، وتصدع مضاميناها القلوب، وتزلزل الأفئدة، وتفشع لها الأبدان..

وأمر المؤمنين «عليه السلام» هنا قد جاء بما طابق الحال لفظاً ومعنى، فكلامه أبلغ كلام.. لأنه يخاطب به معاوية وجيشه الذي جاء ليطفئ به نور الولاية والإمامة بزعمه، وليتسلط به على أهل الخير والدين، كما لا يخفى..

كما أن الكلام مع الأولياء، إذا كان يهدف إلى تصوير هول ما سيرتكبه عدوهم في حقهم، لو توانوا في دفعه وردعه، قد يحتاج إلى اختيار التعابير والكلمات التي تمتاز بإيحاءاتها القاسية، التي تدعوهم إلى شد الحيازيم، وشحن الهمم، وعقد العزائم..

### إن للحرب عراماً شرراً:

ثم إنه «عليه السلام» قد بدأ كلامه بتخويف أهل الشام من الحرب وعرامها، أي شدتها وشراستها.. لكي لا يستسهلوا الإقدام عليها، وليفكروا ملياً في إيجاد السبل لتلافيها.. فكيف إذا كانت تبلغ في الشدة والشراسة حد انبعاث الشرر منها؟!!

### شدة القائد ضمان وأمان:

ثم أكد لهم خطورة إقدامهم على الحرب ببيان: أن الحرب لها هذا الشرر والعرام، حتى لو كانت قيادتها ضعيفة، لأن إحساس المتقاتلين

بالخطر على حياتهم يدعوهم لمضاعفة جهدهم لحفظ أنفسهم، ولكن جهدهم يزداد وتزيد الحرب شدة وحدة حين يكون لهم قائد قوي وشديد، فإن ذلك يشجعهم على التأسي به، والسعي للحاق به ومجاراته في البطولة والإقدام.

كما أن شدته هذه تجعل أعداءه يحسبون ألف حساب قبل أن يعتدوا عليه، وعلى من في حوزته.

### إنصاف القائد:

وذكر «عليه السلام»: أنه وهو القائد لهم سوف لن يقعد به ضعف عن مواصلة الحرب، وعن اتخاذ القرارات مهما كانت صعبة، لأنه قائد منصف، لا يستكين ولا يقر له قرار حتى ينصفهم من كل من يظلمهم، ويعتدي عليهم، وعلى حقوقهم، ويهجم عليهم حتى يدخلهم إلى بيوتهم، ليختبئوا بها (إن قرئت: جورهم)، أو يدخلهم الجحر، وهو البيت الذي تحتفره السباع والهوام لأنفسها (إن قرئت: جورهم).

والحديث عن إنصاف هذا القائد هنا لا بد أن يفتح كوة أمل، ويثير الشهية، للإستفادة من إنصافه هذا، عوضاً عن التعرض لشدته التي إذا تمازجت مع إنصافه، سوف تزيد من أخطار الدخول في أي حرب يكون هو قائدها..

فترى أنه «عليه السلام» يستفيد من الوصف بالإنصاف باتجاهين، كل منهما يؤدي إلى نفس النتيجة التي يوصل إليها الآخر.

فإنصافه يطمعهم، ويعطيهم الأمان من الظلم من جهته، ويدعوهم  
لالتماس السلام معه، ونفس هذا الإنصاف يخيفهم من الدخول في  
الحرب، ويضاعف خوفهم من التعرض لظلمه، وظلم من معه..

### القائد المزج:

ثم وصف هذا القائد بوصف ثالث، وهو: أنه مزجّ، وهذا الوصف  
يشير إلى صفتين لا بد من توفرهما في القائد:

**إحداهما:** أنه يطعن طعناً مؤثراً ونافاذاً، ولا يرضى بأنصاف  
الحلول، ولا يتهاون في البلوغ بطعناته إلى المدى الذي يجب أن تبلغ  
إليه. مما يعني: أنه إذا أدخل في أمر، أو أجبر على الدخول فيه، لا  
ينكل عنه، ولا يفرط، ولا يضعف عن بلوغ مراده، بل يورد ضربته  
في عدوه، ويعطيها حقها من الشدة، والنفوذ، ويبلغ بها مداها، ولا  
يقصر بها عنه..

**الثانية:** إنه سريع الحسم، لا يتوانى، ولا يتردد، ولا يمهل عدوه،  
ولا يعطيه أية فرصة للمناورة، أو الإلتفاف..

وهذا معنى المزجّ، فقد فسر بأنه الذي يطعن بالعجلة، ويكون  
نافذ الطعنة، بالغاً بها أقصى مداها. وفسره ابن أبي الحديد، بأنه:  
السريع النفوذ، وأصله الرمح القصير كالمزراق.

### القائد الزمخر:

ومن صفات القائد الفذ: أن يكون زمخراً - بالخاء المعجمة -

والزمر: هي السهام الطوال الدقاق، وكأنه «عليه السلام» يشبه القائد بهذا النوع من السهام، لسرعة نفوذها في مرماها، ولأن جرحها يكون عميقاً، فهو يريد للقائد أن يكون كذلك، أي أن يختار لضرباته أن تكون سريعة، ونافذة، فيكون هذا الوصف توضيحاً لوصف المزج.

لكن البعض قرأها: زمجر - بالجيم - وفسرها بالمانع حوزته، فلا يدع أحداً يصل إليها بسوء كالأسد الذي يزمجر، أي أنه يصدر صوتاً قوياً غليظاً من أعماق جوفه، فيكون هذا الوصف مؤسساً لمعنى جديد، وهو مطلوبة أن يكون قادراً على حماية حوزته من التعديات، ومن أن ينالها أحد بسوء.

وهذا يحتاج إلى التدبير الصحيح، وإلى القوة، والحزم، والصلابة، وإلى السهر، والرقابة الشديدة، وإلى العزة، والهيبة، ومرهوبية الجانب..

**أن يكون متغشماً:**

وقد تقدم قوله «عليه السلام»: أنه إذا لاحظ في أصحابه أي غفلة أو توان في إنجاز ما يجب إنجازه في ساحات القتال، فإنه يأخذهم بالشدة، ولا يسمح لهم بذلك..

وهذا يدل على أنه دائم المراقبة لسير القتال، ولحركة أصحابه، فلا مجال للمراهنة على غفاته، وانشغاله بنفسه، بحيث يحلم عدوه بفرصة للراحة، وأخذ النفس في الحرب معه، بل عليه أن يتوقع أن

تجري الحرب في مسارها التصعيدي دون إمهال، حتى يحقق ذلك القائد مرامه، ويصل إلى مبتغاه..

وهذا يضعف الأمل لدى الأعداء في أن يتمكنوا من فتح ثغرات جانبية حين تستعر نار الحرب، وينشغل الناس فيها بأنفسهم بما فيهم القائد بالذات.

وبذلك ينقطع أمل العدو بالمنورة، والإلتفاف، والحصول على أية فرصة مهما صغرت، لأن مسار الأمور يتحدد بالحسم العسكري، ولا شيء غير ذلك..

**سياسة الإحتجاج، لا سياسة الغلبة:**

لقد رفض علي «عليه السلام» السياسة الشوهاء، والعوجاء، والنكراء، التي تعطي الحق للقوة، لتصبح هي المعيار للحق وللباطل، ولينمَّ بذلك تعطيل الفكر والعقل السليم، والمنطق القويم.

ويتم أيضاً إبطال الشرائع والأديان، وتصبح جهود الأنبياء والأوصياء، والأولياء والصلحاء، وتضحياتهم، في خبر كان، وتذهب دماء الشهداء سدى من لدن آدم، وإلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها..

وكانت هذه السياسة هي التي يعتمدها فرعون ونمرود، وكل من توسل بالقوة للإستيلاء على مقدرات الأمة، وحكمها بالحديد والنار، ومارس الظلم والبغي على الأنبياء، والأوصياء، والصالحين..

وهو النهج الذي اعتمده معاوية وبنو أمية، وبنو العباس، وسائر الطواغيت والجبارين..

أما سياسة الأنبياء والأوصياء والصالحين، فهي تركز على الحجة، والبرهان، والفكر، والعقل، والإقناع، ورفض الظلم والبغي، والعدوان.. والدفاع عن النفس بالطرق المشروعة، التي يرضاها كل عاقل وليبيب، والبعيد، فضلاً عن القريب..

وقد جاء معاوية هنا ليواجه علياً «عليه السلام» وأهل الحق، بسياسة الأمر الواقع، والإبتزاز الذي تنتجه القوة الغاشمة، وتحميه. ولذلك بادر معاوية، معتمداً على كثرة جيشه، وعلى جبروته الذي ظن أنه لا يقهر.. إلى الإستيلاء على الماء، ومنع جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» منه.. غير أنه في ذلك لشرع أو دين، وغير مكترث بما تقضي به القيم والأخلاق الإيمانية، والإنسانية، ولا أظهر عنراً، ولا أقام دليلاً، ولا أعطى مبرراً عقلياً، أو شرعياً، أو أخلاقياً، أو غير ذلك يعطي إقدامه على هذه الحرب الظالمة أي مبرر، ولا أثار حتى ما يسمى شبهة، مهما كانت ضعيفة أو سخيفة يمكن أن يخدع بها السذج والبسطاء..

أما أمير المؤمنين «عليه السلام» فالأصالة عنده للحق، والملجأ، والملاذ هو الحجة والدليل القاطع، والبرهان الساطع..

ولذلك أرسل صعصعة إلى معاوية، لكي ينكر عليه إقدامه على القتال قبل الإحتجاج والإستدلال..

ولينكر عليه أيضاً منعه الناس الماء قبل المناظرة، والبحث حول



القضية التي جاؤوا من أجلها، لتكون الحجة والبرهان هي الفيصل في الأمور..

وهذا هو الأمر المعقول والمقبول عند كل عاقل، إلا أن معاوية أراد أن يفرض عليهم ببغية أن تكون القوة هي الفيصل.. ويتخذ سبيل الجبارين والطواغيت المستكبرين للحصول على مبتغاه. فإذا لم يعد لهم خيار إلا الدفاع عن أنفسهم، فليس لهم إلا أن يستعينوا الله تعالى عليه، ليكون الغالب هو الشارب..

وفي هذا الموقف الرسالي الباسل والحازم دروس وعبر كثيرة: وعلى رأسها أن على القائد الحق أن لا يحيد عن المعايير والضوابط الشرعية، والإيمانية، والأخلاقية، والإنسانية في أي من الظروف والأحوال.. وأن لا يتخذ الحرب ذريعة إلى التهاون في الإلتزام بها والتخلي عن مراعاتها..

كما أنه إذا أراد العدو أن يمارس ضغوطاً عليه، فليس له أن يستسلم لإرادته، ويتخلى عن رسالته. ما دام يملك من القوة، ما يستطيع أن يدفع به ظلمه وبغيه..

ويستفاد من قوله «عليه السلام» له، وهو يحرضه على التخلي عن قرار منع الماء: «فامنن إن قدرت عليه من قبل أن تغلب..»: أن بإمكان القائد أن يغري عدوه بالتخلي عن بعض وجوه بغية مقابل الإعراف له بأنه قد مارس عملاً أخلاقياً يستحق الثناء عليه، ولكن بشرطين:

**أولهما:** أن لا يتعدى في ذلك حدود ما يستحقه من ذلك، وأن لا يكون سبباً في إسقاط القضية الأساس والأهم، ولا تضييعها.. ولذلك قال: «فامنن إن قدرت عليه..».

**الثاني:** أن يكون إعطاء الإمتياز من موقع القوة والإقتدار، الذي تجلى في قوله «عليه السلام»: «من قبل أن تغلب» وقوله «عليه السلام»: «وأيم الله لنشر بن منه، شئت أم أبيت..».

**هل أخطأ أصحاب علي ×؟!:**

**وقد يسأل سائل فيقول:**

**قد تقدم:** أن أصحاب علي «عليه السلام» حين أخذوا الماء عنوة من أيدي أصحاب معاوية قالوا: والله لا نسقيهم.. مع أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان قد أرسل لمعاوية يقول: إن عليه أن لا يمنع الماء عنهم، لأن ما جاء إليه هو غير هذا..

فما معنى أن لا يأخذ أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» بهذا القول الذي احتج به سيدهم وقائدهم؟!!

هل عدلوا عنه ليعودوا إلى طبعهم وسجيتهم التي لا تختلف عن طبع وسجية أصحاب معاوية؟! وما الذي يميزهم عنهم إذا كانت السجايا والطباع والتصرفات واحدة؟!!

**ونجيب:**

**أولاً:** إن ثمة فرقاً بين موقف معاوية وأصحابه وموقف علي «عليه السلام» وأصحابه، فإن موقف معاوية وأصحابه، قد جاء على

سبيل البغي والعدوان، والجري على السجية السيئة، والأخلاق الرديئة.. أما ما صنعه أصحاب علي «عليه السلام»، فقد جاء على سبيل المقابلة بالمثل، الذي هو حق لهم. ولم يكن ما فعلوه هو ما اقتضته سجيتهم، ودعاهم إليه طبعهم..

**ثانياً:** إن معاوية حين أصر على منعهم من الماء، بقوة السيف، ورفض مقولة علي «عليه السلام» بأن الذي جاؤوا له هو غير هذا.. يكون قد رضي بهذه النتيجة لعمله، التي ذكرها له أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، وهي: أن يكون الغالب هو الشارب. فيكون هو الذي ورط نفسه ومن معه، ووضعهم في هذا المأزق..

### نصركم الله ببيغيتكم وبحميتكم:

**ومن الواضح:** أن البغي والظلم مما تنفر منه الطباع، وتأباه الفطرة، ويقبحه العقل، ويرفضه الوجدان. وهو يحفز الإنسان للدفاع عن حقه، ودفع الظلم عن نفسه، فكيف إذا حمل هذا البغي والظلم معه إشارات خطر داهم للمظلوم والمبغى عليه، ورسائل تحمل له نعي نفسه إليه، مع كثير من الإبتهاج والشماتة بإزهاق روحه بأبشع الوجوه، وأمض وأمر حالات الإذلال وأقساها..

فلا بد في هذه الحال من أن ينتفض مارد الحمية، محمياً بسُلطان الشريعة، ومؤيداً بالوعد الإلهي بالنصر، والثواب والأجر، وينتضي سيف الدفاع عن النفس، وعن الكرامة والشرف، ولهذا نرى أن أمير المؤمنين «عليه السلام» تارة يقول: هذا يوم نصرتم فيه بالحمية..

وتارة أخرى يقول: إن الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم..  
وكلاهما صحيح..

**غير أننا نضيف:** أن الحمية بالمعنى الآخر الشائع أيضاً لم تكن غائبة عن ساحة الصراع هنا، فإن حماس الأشعث لاستعادة السيطرة على شريعة الماء. قد كان له دور هام في اندفاع محبيه، والموالين له.. ولا سيما من عشيرته للمشاركة في الهجوم على جيش معاوية بقيادة أبي الأعور الذي كان يحمي شريعة الماء، ويمنع أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» من الوصول إليها..

### إباحة الماء للراغبين:

ولم يكن معاوية بحاجة إلى إرسال الرسل إلى علي «عليه السلام» ليطلبوا منه السماح لهم بورود الشريعة، فضلاً عن أن يحتاج إلى القتال من أجل ذلك، لأن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان هو المبادر لإصدار الأمر لأصحابه، بأن لا يعترضوا أحداً يريد الماء من الشريعة..

**والأهم من ذلك:** أنه «عليه السلام» بالرغم من أنه خاض حرباً عواناً للحصول على الماء، والوصول إلى الشريعة، ولكنه بمجرد أن حصل على مراده بادر إلى إصدار الأمر لأصحابه بالعودة إلى معسكرهم.. ولم يترك إلى جنب الشريعة ولو رجلاً واحداً يكون وجوده هناك دالاً على أن لجيش علي «عليه السلام» أدنى سيطرة عليها، بل تركها كما كانت قبل وروده بلاد الشام مباحة لكل أحد..

وصار جنده يردونها كسائر الواردين، من أصحاب معاوية وغيرهم..  
 فهل يتصور أحد أن يكون هناك قائد يحصل له ما حصل لعلي  
 «عليه السلام» من احتياجه إلى الحرب، وخوض اللجج، وبذل المهج  
 في سبيل الحصول على قطرة ماء، هل نتصوره يتخلى على ما  
 حصل عليه بهذه السهولة والبساطة.. وبدون أن يترك أي أثر، من  
 بشر، أو حتى من حجر يقول لمعاوية ولأصحابه ولو مرة واحدة: إني  
 أنا الغالب على الماء، فيحب أن أكون أنا الشارب دونك، ولو للحظة  
 واحدة، لأنك منعتني الماء يوماً وليلة أو أكثر، ولم تعبأ بما معي من  
 ذوات أرواح، من إنسان وحيوان، وصامت وناطق، وقادر وعاجز،  
 وكبير وصغير.. فإنك أنت يا معاوية ومن معك قد اخترتم أن يكون  
 الغالب - فقط - هو الشارب.. وأنت الذي أردت لنا أن نموت عطشاً..  
 لو أن زمان الحرمان قد طال أكثر من ذلك..

### القصاص أمر جميل:

وقد تقدم قول السليل السكوني: «القصاص أمر جميل».. وهذا  
 القصاص الجميل هو الذي طالب به الوليد بن عتبة، وابن أبي سرح  
 ومعاوية.. وزعموا: أن هذا القصاص كان حقاً لهم مقابل ما فعله  
 الناس بعثمان بن عفان الذي حوصر، ومنع من الماء قبل قتله..

### ونقول:

أولاً: قد تقدم في هذا الكتاب: أن علياً «عليه السلام» هو الذي  
 أوصل الماء إلى عثمان في أيام حصاره، بالرغم من ممانعة

محاصرته، الذين كان طلحة على رأسهم. وكان ولداه الحسنان «عليهما السلام» هما اللذان توليا حمل الماء إليه..

**ثانياً:** لنفترض جدلاً: أن علياً «عليه السلام» وأفراد معه هم الذين منعوا الماء عن عثمان، ولكن هل ذلك يبرر حرمان عشرات الألوف من الماء، وفيهم الشيخ الكبير، والطفل الصغير، والمرأة والرجل، بالإضافة إلى ما كان معهم من نوات الأرواح. علماً بأن هذا الماء هو هبة الله سبحانه لعباده. وليس ملكاً لأحد من الناس..

**ثالثاً:** ليس معاوية هو ولي دم عثمان ليكون له الحق في الإقتصاص ممن منعه الماء، أو ممن قتله.. وليس هو الإمام الذي بايعه المهاجرون والأنصار، أو أخذ له النبي البيعة في يوم الغدير امتثالاً لأمر الله تعالى له بذلك.

#### منعوه الماء، وسقاهم:

ولا نحتاج إلى التذكير: بأن ثمة نهجين متناقضين هما نهج أهل الدين والإيمان، ونهج أهل الضلال والطغيان، وقد أظهرت الوقائع مدى الاختلاف والتباين بينهما.. ولو أخذنا قضية منع الماء وبذله بين علي وولديه الإمامين الحسنين «عليهما السلام» من جهة، وبين خصومهما من الأمويين من جهة أخرى، كمثال وشاهد لرأينا عجباً.. ولكفانا ذلك دليلاً على عمق هذا التباين حيث سنلاحظ: أن علياً وولده ما فتئوا يسقون الناس ويبدلون لبنى أمية وغيرهم.

ثم يكون هؤلاء الناس وفي طليعتهم بنو أمية من أشد الناس

حرصاً على منع الماء عن علي والحسين وأهل بيتهما، ومحبيهما،  
وقتلهم عطشاً..

فمثلاً استسقى علي «عليه السلام» والحسن والحسين والعباس  
وبنو هاشم للناس في عهد عمر، وبالذات في السنة السابعة عشرة  
للهجرة وسقوا الناس(1).

وسقى علي «عليه السلام» وولده عثمان الماء حين حوصر  
ومنع منه(2).

وسقى علي «عليه السلام» معاوية وأهل الشام الماء بالرغم من

---

(1) ينابيع المودة ص306 والسيرة الحلبية، وعن تاريخ مدينة دمشق،  
ومستدرك سفينة البحار ج5 ص77 و 78 وإحقاق الحق ج9 ص210  
والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص814 وبحار الأنوار ج40 ص280  
وج44 ص187 وج88 ص321 و 322 وج46 ص51 وج47 ص231  
و 232 وج49 ص180 و 181 وج50 ص270 وقرب الإسناد ص156 -  
158 ومستدرك الوسائل ج6 ص197 - 199 و 209 والإحتجاج  
للطبرسي ج2 ص47 والفضائل لشاذان ص157 و 158 والخرائج  
والجرائح ج1 ص441 و 442 وكشف الغمة ج3 ص225 و 226  
وراجع: عيون المعجزات ص56 ومدينة المعاجز ج3 ص471 و 472 و  
395 و 396 وج4 ص316 - 317 و 322 - 323 وج7 ص621  
والعوالم، الإمام الحسين ص51 .

(2) تقدمت المصادر لذلك في هذا الكتاب حين الحديث عن قتل عثمان.

منعهم إياه حين كانت الشريعة بأيديهم(1).

وطلب أهل الكوفة من علي «عليه السلام»: أن يستسقي لهم، فقام «عليه السلام» وأشار بيده قبل السماء، فسال الغيث حتى بقيت الكوفة غدرا، فقالوا: يا أمير المؤمنين كفيينا وروينا، فتكلم بكلام، فمضى الغيث، وانقطع المطر(2).

واستسقى الإمام الحسين «عليه السلام» لأهل الكوفة بأمر أمير المؤمنين «عليه السلام»، وسقاهم(3).

واستسقى الحسنان «عليهما السلام» مرة أخرى لقوم من أهل الكوفة، طلبوا ذلك من علي «عليه السلام»، فأمر «عليه السلام» ولديه، فدعو الله بدعاء بليغ وسقيا الناس، وقد سأل الناس سلمان قائلين: أعلّمنا هذا الدعاء؟!

فقال سلمان: ويحكم أين أنتم عن حديث رسول الله «صلى الله

(1) هذا من البديهيّات والواضحات التي لا يجهلها أحد، ومصادره لا تكاد تحصى فراجع على سبيل المثال: كتاب العوالم (مقتل الحسين) ص 15 و 45.

(2) الفضائل لشاذان ص 166 و (ط المكتبة الحيدرية) ص 157 و 158 وبحار الأنوار ج 40 ص 280 وعن الكافي (الروضة) ص 32 و 33 ومستدرك سفينة البحار ج 5 ص 78.

(3) عيون المعجزات ص 56 وبحار الأنوار ج 44 ص 187 عنه، ومدينة المعاجز ج 3 ص 471 و 472 والعوالم، الإمام الحسين ص 51.



عليه وآله»، حيث يقول: إن الله أجرى على ألسن أهل بيتي مصابيح الحكمة(1).

### ويرد هنا سؤال يقول:

إن سلمان قد توفي قبل مجيء علي «عليه السلام» إلى الكوفة، فإما أن يكون سلمان قد جاء قبل وفاته مع الحسين «عليهما السلام»، وربما علي «عليه السلام» أيضاً إلى الكوفة، أو أن جماعة من أهل الكوفة قصدوا علياً «عليه السلام» إلى المدينة وطلبوا منه ذلك، فأرسل معهم الحسين «عليهما السلام»، فاستقيا لهم، وكان ذلك قبل وفاة سلمان.

وسقى الإمام الحسين «عليه السلام» جيش يزيد الذي أرسله ابن زياد ليقبض عليه، وخنث «عليه السلام» السقاء بنفسه لبعض هؤلاء الأعداء - وهو علي بن الطعان المحاربي - وسقاه بيده الشريفة(2).

ولكن بني أمية وأشياعهم، وكل من سار على نهجهم قد كافأوا علياً «عليه السلام» وولديه الحسن والحسين «عليهما السلام» بمنعهم

(1) قرب الإسناد (الطبعة الحجرية) ص28 و (ط مؤسسة آل البيت) ص157 و 158 و بحار الأنوار ج88 ص322 عنه، ومستدرک الوسائل ج6 ص197 - 199 ومن لا يحضره الفقيه ج1 ص338.  
(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص186 و (ط الأعلمي) ج4 ص203 ومقتل الحسين للمقرم ص186 و 187 عنه، ومقتل الحسين لأبي مخنف ص82.

من الماء في صفين، وعدم الإفراج عنه إلا تحت وطأة الحرب،  
وصليل السيوف، والتعرض للحتوف..

ثم قتلوا الإمام الحسين «عليه السلام»، وأهل بيته، وأصحابه  
عطاشى، وتركوهم مجزرين كالأضاحي على رمضاء كربلاء..

### موقف معاوية وموقف عمرو:

وقد تقدم في الفصل السابق: أن عمرو بن العاص قد نصح  
معاوية: بأن يفسح المجال لعلي ليشرب من الفرات، ولكن معاوية  
أصر على منعه..

ويبدو لنا: أن ما نظر إليه عمرو بن العاص يختلف عن ما نظر  
إليه معاوية.. كما أن من المحتمل أن يكون الرجلان قد اتفقا على هذا  
الموقف المتناقض في الظاهر. ولكنه يحقق نتيجة مطلوبة لهما معاً في  
واقع الأمر..

فالذي كان يرمي إليه معاوية هو سد باب الوفاق والتلاقي مع  
علي «عليه السلام»، لأنه لم يكن يريد أن يفسح المجال للناس  
ليسمعوا حجج أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا أن يتحاوروا معه،  
لأنه يعلم أنه «عليه السلام» قادر بما لديه من حجج، وبما يملكه من  
منطق سليم، وفكر قويم، وحق ظاهر، وعلم باهر أن يجذبهم إليه،  
ويفضح معاوية ويكشف أباطيله، وأضاليه وما يزينه لهم.

أو أنه - على الأقل - سيثير لديهم الكثير من الأسئلة حول صدق  
معاوية، وسلامة موقفه. وسيضعف حماسهم للقتال دونه.

فكان معاوية يريد أن يحصنهم من ذلك بالمبادرة إلى إشعال نار الحرب بينهم وبين علي «عليه السلام».. مع علمه بأن علياً «عليه السلام» سيتمكن من قهر أهل الشام، والوصول إلى المشرعة بقوة السيف، لأن معاوية كان يريد أن تتأكد العدواة والبيئونة بين أهل الشام وبين أمير المؤمنين «عليه السلام»، ليتحكم هو بمسار الأمور بصورة أقوى، وأكثر أمناً..

وكان يريد من عمرو بن العاص أن يتوقع لهم انتزاع علي «عليه السلام» مشرعة الماء من أيديهم ملوَّحاً بقدرات علي الفائقة التي يريد عمرو ومعاوية أن يرعبا بها أهل الشام، ويريدان وضعهم في أجواء أن هذه القدرات سوف تسخر للفتك بهم واستئصالهم، فلا غنى لهم عن الحرب والمواجهة، ولو بالإستفادة من أسوأ الوسائل وأكثرها قبحاً..

ولا بأس بأن يظهر عمرو بن العاص معارضته لهذا الإجراء، لكي يخفف من وقع الصدمة عليهم.. وليتدبر هو - يعني عمرو - الأمر مع علي «عليه السلام» ليسمح لهم بالماء بعد استيلائه عليه.. من أجل ذلك سمحنا لأنفسنا بإثارة احتمال أن يكون هذا الإختلاف الظاهري مصطنعاً ومتفقاً عليه بين الرجلين..

### تفتيش بيت فاطمة الزهراء ÷:

**وتقدم:** أن عمرو بن العاص ذكر أنه قد سمع هو ومعاوية علياً «عليه السلام» يقول: «لو أن معي أربعين رجلاً يوم فتن البيت، يعني بيت فاطمة». والمراد: أنهما سمعا ذلك في المدينة منه «عليه

السلام».

أي أنه لو كان معه أربعون رجلاً لما تمكن مناوئوه من تفتيش بيت فاطمة الزهراء بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ومعنى ذلك - كما يريد ابن العاص أن يوحي به -: أنه إذا كان معه في صفين عشرات الألوف، فلن يستطيع جيش أهل الشام الوقوف في وجهه..

### فترد هنا الأسئلة التالية:

1 - إذا كان الأمر كذلك، فلماذا احتاج حسم الأمر مع معاوية إلى هذه المدة الطويلة التي بلغت أشهراً، ثم انتهت الأمور إلى رفع المصاحف والتحكيم؟!!

2 - إذا كان الأمر كذلك كيف تجرأ معاوية وعمرو بن العاص على الدخول معه في هذه الحرب؟!!

3 - كيف يصرح معاوية لأهل الشام بهذا الأمر الخطير؟! ألا يفت ذلك في عضدهم، ويوجب ضعف عزائمهم. وهزيمتهم النفسية قبل الدخول في الحرب..

وكيف لم يعترض عليه معاوية في كلامه هذا، ويمنعه من التفوه به؟!!

### ونجيب بما يلي:

أولاً: إن عمرو بن العاص قد رأى نفسه محتاجاً للتدليل على شجاعة علي «عليه السلام» بذكر شاهد ودليل، ولم يكن من مصلحته تذكير الناس بقلع باب خيبر، وبمواقفه «عليه السلام» في حنين

والخندق، وأحد، وبدر، وذات السلاسل، وغيرها.. فكان أهون ما وجده في حوزته هو هذا الشاهد الذي سمعه هو ومعاوية من علي «عليه السلام» مباشرة، فبادر إلى ذكره..

ولم يلتفت إلى أن الشاهد الذي اختاره يدينه ويدين أشياخه الذين يعتزي إليهم.. فأظهر الله هذه الحقيقة على لسانه، ليسمعها أهل الشام، فلعل بعضهم يسأل نفسه، ويسأل معاوية وبني أمية عن سبب هذا التفتيش لبيت فاطمة «عليها السلام»، ومبرراته، ومشروعيته، ومن الذي قام به، ويتعرف على مدى جرأة هؤلاء القوم على الله ورسوله، وأهل بيته، ويعرف صدق ما يلهج به أمير المؤمنين «عليه السلام» من غصبهم حقه، وهجومهم على بيته..

كما أن ابن العاص قد غفل عن أن هذا التصريح سيصبح سنداً يرويه الرواة، ويسجله الكتاب في مدوناتهم، وتتناقله الأجيال، ليعرف الحق من جهله، ويبصر الحقيقة من عمي أو تعامى عنها، ولا يبقى عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة..

ولتذهب بذلك جهود الساعين إلى طمس الحقائق، وتزويرها أدراج الرياح..

ثانياً: لعل معاوية وابن العاص، وأضرابهما من مناوئي علي «عليه السلام»، وأهل البيت لا يأخذون هذا الكلام من علي «عليه السلام» على محمل الجد، ولا يرون أنه حقيقة واقعة لا مرأى فيها، بل يرون أنه كلام فيه الكثير من المبالغة، ومزيد من الإعتداد والثقة

بالنفس..

وربما أراد عمرو بن العاص أن يصوره «عليه السلام» على أنه إنسان متهور ومغامر لا يفكر بالعواقب. ولا يدقق في حساباته. ويريد أن يؤكد على المقولة التي أشاعها أعداء علي «عليه السلام»، من أن علياً رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب<sup>(1)</sup>، وربما يجر الناس بتهوره هذا، إلى الحروب والمزالق الخطرة، فقتله والتخلص منه ومن أصحابه بهذه الطريقة هو السبيل الأصوب، والأكثر أمناً، فلا يستوحش أحد من أهل الشام من استخدام هذا الأسلوب مع شخصٍ بهذه الخطورة عليهم..

**ثالثاً:** إن علياً «عليه السلام» حين تمنى أن يكون معه أربعون رجلاً، فإنما أراد بهم أمثال عمار وسلمان، وأبا ذر والمقداد، أو أمثال حمزة وجعفر، لا أمثال شيبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن، والمحكمة الذين هددوه بالقتل حين أجبروه على قبول التحكيم، ثم أجبروه على إرسال أبي موسى الأشعري حكماً مقابل عمرو العاص،

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 70 والأغاني ج 15 ص 45 والمهذب لابن البراج ج 1 ص 324 ودعائم الإسلام ج 1 ص 390 والغارات للثقفى ج 2 ص 477 ومقاتل الطالبين ص 15 وشرح الأخبار ج 2 ص 75 وبحار الأنوار ج 34 ص 65 ونهج السعادة ج 2 ص 564 وج 5 ص 317 والمعيان والموازنة ص 99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 75 والأخبار الطوال ص 212 والعثمانية للجاحظ ص 96.

ثم كفّروه من أجل قبوله منهم ما أجبروه على قبوله، وحاربوه في النهروان وسواها.. فإن أمثال هؤلاء كانوا أضّرّ عليه من معاوية وجيشه، وهم الذين ضيعوا عليه النصر الذي كان في متناول يده، وكان منه قاب قوسين أو أدنى..

### مؤاخاة الهمداني الناسك لابن العاص:

وقد لفت نظرنا: أن يكون ذلك الهمداني الناسك مؤاخياً لابن العاص الذي كان من طلاب الدنيا، وقد باع دينه لمعاوية مقابل مصر طعمة له. بالرغم من أن عمرواً شيخ كبير، يوشك أن يخترمه الموت.. فإن مؤاخاة ذلك الناسك له إما لأنه كان سليم النية، وقد استغفله عمرو بن العاص، وستر عنه أحواله، حتى ظن ذلك الرجل أنه من أهل الخير والصلاح.. أو لأن صداقته لعمرو بن العاص لم تكن قديمة، بل كانت حادثة بسبب جوار، أو صلة قرابة من نوع ما، أو نحو ذلك.. ولم تكن قد مر عليها زمان، تظهر فيه سمات له ومزايا وصفات عمرو بن العاص على حقيقتها..

### أين حلم معاوية؟!:

وقد تقدم: أن معاوية أراد قتل ذلك الناسك حين اعترض عليه في منعه الماء عن علي «عليه السلام» وأصحابه. مع أنه كان يستحق منه المدح والثناء، والتقدير والتقديم، والتجليل والتعظيم، فإنه لم يعترض بطريقة مسيئة ومؤذية، بل اعترض بطريقة الناصح..

### وتوضيح ذلك:

**أولاً:** إنهم يدعون أن معاوية كان واسع الصدر حليماً!! فلماذا لم يتسع صدره لهذا الرجل، ويبين له حكمة ما أقدم عليه من منع الماء عن علي «عليه السلام» وعن أصحابه وينتهي الأمر عند هذا الحد؟! **ثانياً:** قد ذكروا: أن ذلك الناسك قد استدل على معاوية بأمر كان معاوية بحاجة إلى التنبه والإلتفات إليه، والإحتياط له، حيث ذكر له أن منع الماء عن علي «عليه السلام» لا يعني أن تنقطع السبل بعلي «عليه السلام»، لأن باستطاعته أن يختار لنزوله موقعاً آخر، وينتقل إليه، ويكون ذلك المنزل على شريعة الماء، وبذلك يضطر معاوية إلى التخلي عن موقعه هذا الذي اختاره بعناية، ولعله لا يجد منزلاً مثله في المزايا والإعتبارات الحربية..

**ثالثاً:** لقد قال لهم: إن علياً «عليه السلام» لو سبقهم إلى الماء لم يمنعهم منه. مما يعني أنهم قد سجلوا على أنفسهم مخالفة ما كان ينبغي أن يوقعوا أنفسهم فيها..

**رابعاً:** استدل عليهم بأمر إنساني، وأخلاقي، شرعي، وهو أنه قد كان مع علي «عليه السلام» من لا يصح تعريضه لهذا الخطر، فإن فيهم العبد، والأمة، والأجير، والضعيف، ومن لا ذنب له.

**خامساً:** إنهم بعملهم هذا قد ألحقوا الضرر بأنفسهم، فقد رأى الناس بأم أعينهم كيف أدخل معاوية نفسه بالجور بصورة فاضحة وصريحة، وشجع الجبان على قتاله، وانفشعت سحب الريب عن قلب



المرتاب، وأبصر الحقيقة، وقطع الشك باليقين. ومن لم يكن يريد قتال معاوية قد صمم على قتاله.

### من أجل ذلك كله، نقول:

قد كنا ننتظر من معاوية أن يعطي الجائزة الكبرى لهذا الناسك، ولكنه لم يفعل، بل أغلظ له القول، وأغرى به صديقه عمرواً، فأغلظ له أيضاً.

ولنفترض أن هذا الرجل قد اشتبه عليه الأمر، فأساء من حيث أراد أن يحسن، فلماذا لم يوضح له معاوية ما أبهم عليه؟! ولماذا عامله بهذه القسوة والشدة، أليس لأنه يريد أن يكون جباراً في الأرض؟! وما يريد أن يكون من المصلحين!؟

### ذاك إليكم:

**ويلاحظ:** أن علياً «عليه السلام» لم يصدر أمراً لأحد باستعادة الماء، أو حتى بالتوجه نحو الماء للإستسقاء، بل الذي حصل هو أن الحماس دب في الأشعث، فطلب من علي «عليه السلام» أن يخلي عنهم وعن القوم ليفعلوا فعلهم.

فقال «عليه السلام»: «ذاك إليكم».

وقد جرى للحسين «عليه السلام» في كربلاء ما يشبه هذا، فإنه «عليه السلام» لم يقاتل جيش يزيد على الماء. بل طلب منهم أن يسقوه، فرفضوا، فأرسل أخاه العباس ليطلب الماء للأطفال، فقتلوه.

وما نريد أن نشير إليه هنا هو: أنه «عليه السلام» لا يريد أن يصدر أمراً بقتال يعرف أن الداعي للمقاتلين لخوض غماره أمر شخصي، وهو مجرد الحصول على الماء، ولا يقصد به نصره الدين وأهله..

كما أنه لا يصدر أمره بخوض قتال يعرف أن ما يدعو للمشاركة فيه هو الحمية والحماس، وإثبات الوجود، وليس التقرب إلى الله تعالى بنصرة دينه، والدفاع عن أهل الدين، بل ترك أمر اتخاذ القرار بالقتال في مثل هذه الدواعي الشخصية للناس أنفسهم.

كما أن الأشعث بن قيس إنما تكلم بمنطق الحمية وحسب، ولم يطلب منه «عليه السلام» سوى رفع منعه لهم عن ابتداء القوم بالقتال وهذا ما حصل..

**وعد علي ×:**

**وتقدم:** أن علياً «عليه السلام» قد وعد أصحابه إن فتحت الشام أن يقسم بينهم الأحمرين، وهما: القمح والذهب، فقد يقال: إن هذا يدفع مقولة: أنه «عليه السلام» يريد لهم أن يحاربوا دفاعاً عن الدين وأهله، وليس لأجل الدنيا وزخرفها..

**ونجيب:**

بأن علياً «عليه السلام» لم يعدهم بأن يعطيهم ذهباً وقمحاً على سبيل الإغراء بالمال، بحيث يتحول جهادهم في سبيل الله إلى جهادٍ في سبيل المال، الذي يؤخذ لهم من بيت المال، على سبيل العدوان

والخيانة للمسلمين في أموالهم..

بل وعدهم بأن يقسم بينهم ما أفاءه الله عليهم بأسيافهم مما جعله الله تعالى حقاً لهم بعد إخراج خمسه كما ورد في قوله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (1).

ولذلك جاءت العبارة هكذا: «وعدهم أن يقسم بينهم البر والذهب..» ف «يقسم بينهم» تعبير يستفاد منه أن المقصود هو قسمة الغنائم التي يحصلون عليها بأسيافهم، ولم يقل لهم: سوف أعطيك، وهو التعبير الذي يستعمل عادة في الهبات والعطايا التي لا تكون من المال الشخصي للحاكم، بل من العدوان على بيت مال المسلمين، أو مما استولى عليه هو بغير حق من الذهب والقمح وكل نفيس يجده في الغنائم.

وقد كان من عادة غيره: أن يستولي على الذهب والقمح ويصطفيه لنفسه، ويخص به عشيرته، وأقاربه، وأصحابه، والأثريين لديه، ويحرم الذين غنموه، وهم أصحابه الشرعيون منه.. ولم تكن الثورة على عثمان وعماله إلا من أجل هذه السياسة العدوانية..

(1) الآية 41 من سورة الأنفال.

فكانه «عليه السلام» يريد أن يقول لهم: أنا لست كغيري من الحكام الذين لا يراقبون الله، ولا يلتزمون بأحكام الشرع في سياساتهم المالية.

**هذه هي سياسة معاوية:**

وقد بدأت سياسة العدوان على بيوت الأموال في عهد عثمان، فجرى عليه ما جرى.. ثم جاء معاوية وبنو أبيه، ونظراؤهم، فكانوا بعده هم رواد هذا النهج نهج العدوان على بيوت الأموال والإستيلاء على أموال المسلمين، وهم المروجون لهذه السياسة، ويكفي أن نذكر هنا ما رووه عن الحكم بن عمرو الذي غزا من قبل معاوية بعض المناطق في خراسان، فغنم أموالاً عظيمة جداً..

فكتب إليه معاوية مباشرة، أو بواسطة زياد بن أبيه يطلب منه أن يصطفي له كل صفراء وبيضاء، فلا يقسم في الناس ذهباً ولا فضة، والروائع، فلا تحركن شيئاً حتى تُخرج ذلك، واقسم ما سوى ذلك في الجند.

فجمع أصحابه، فقال: ما ترون؟!!

فقالوا: لا نرى لمعاوية قبلنا حقاً.

**فكتب إلى معاوية:**

إني وجدت كتاب الله أحق أن يتبع من كتابك، وإني قسمت ما غنمت في الجند.

فبعث إليه معاوية عاملاً، فحبسه وقيده، ومات في قيوده.  
فأمر الحكم أن يدفن في قيوده حتى يخاصم معاوية يوم القيامة:  
فيم قيده(1).

### الذهب والمال لبيت المال:

**واللافت هنا:** أن هناك من يحاول التعقيم على هذه القضية،  
بأنواع من الأساليب الملتوية، ونذكر على سبيل المثال:  
أن البعض يسعى لخداع السذج بادّعاء: أن معاوية إنما طلب

(1) راجع: تهذيب الكمال للمزي ج7 ص126 والكامل لابن عدي ج1 ص410  
و 411 وتهذيب التهذيب ج2 ص437 والمستدرک للحاكم ج3 ص442 و  
443 وسير أعلام النبلاء ج2 ص474 - 475 و 476.  
وراجع: الدر المنثور للسيوطي ج6 ص234 والطبقات الكبرى لابن سعد ج7  
ص28 و 29 و (ط أخرى) ج7 ص18 والإستيعاب ج1 ص357 و 358  
وشیخ المضیرة ص194 و 195 وأعیان الشیعة ج6 ص211 والفتوح  
لابن أعمم ج2 ص314 - 316 وتاریخ الأمم والملوك، حوادث سنة  
خمسین، والنصائح الكافية ص131 و 132 وبغیة الباحث عن زوائد مسند  
الحارث ص212 وأسد الغابة ج2 ص36 وتلخیص مستدرک الحاكم  
للذهبي (مطبوع مع المستدرک) ج3 ص442 والبدایة والنهاية لابن كثير  
ج8 ص47 و (ط أخرى) ج8 ص32 و 33 والكامل لابن الأثير (ط  
أوربا) ج3 ص391 وتاریخ الإسلام للذهبي ج4 ص41 و 42 وأنساب  
الأشراف ج1 ص475 وصفة الصفوة ج1 ص279.

الذهب والفضة من الحكم بن عمرو ليضعه في بيت المال(1).  
وهو كلام زائف لما يلي:

أولاً: إن بني أمية كانوا يرون أن بيت المال وما فيه ملك لهم، يتصرفون فيه كما يشتهون، ويمنحونه لمن يشاؤون من أقاربهم، وأصهارهم، وأصدقائهم، وهم الذين أطلقوا مقولة: السواد بستان لقريش(2).

ثانياً: إن الغنائم ليست لبيت المال، وإنما هي ملك للمقاتلين، وتقسم بينهم..

- 
- (1) الفتوح لابن أعم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 315 والبداية والنهاية (ط دار المنار) ج 8 ص 28 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص 33.
- (2) راجع: راجع: تاريخ الأمم والملوك ج 3 ص 365 والصراط المستقيم ج 3 ص 30 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 580 والغدير ج 9 ص 31 و 32 ومواقف الشيعة ج 2 ص 227 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 129 وج 3 ص 21 وأعيان الشيعة ج 3 ص 443 وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج 1 ص 342 وج 2 ص 279 والشافعي في الإمامة ج 4 ص 256 وتقريب المعارف ص 229 ونهج الحق ص 291 والفتوح لابن أعم ج 2 ص 171 وأنساب الأشراف ج 5 ص 40 - 42 والإستيعاب ترجمة سعيد بن العاص، والكامل في التاريخ ج 3 ص 139 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 140 وتاريخ الكوفة للبراق ص 305 وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 32 وتاريخ مدينة دمشق ج 21 ص 114 و 115 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 431.

**ثالثاً:** لو كانت الغنائم لبيت المال، فلماذا خصص معاوية الذهب والفضة بطلبه، دون سواهما مما يغتنم في الحروب، مثل الخيل، والإبل، والكراع والسلاح، وما إلى ذلك؟!

**مات الحكم بن عمرو في قيوده وفي الحبس:**

وفي حين نجد التصريح بأن معاوية قد أرسل عاملاً له، فقيد الحكم بن عمرو، وحبسه حتى مات في قيوده، فأوصى الحكم بأن يدفن في قيوده حتى يخاصم معاوية يوم القيامة فيما قيده..

**فإننا نجد من يدعي:** أن الحكم بعد أن قسم الغنائم، لم يزل والياً على خراسان إلى أن مات سنة 50 هـ (1).

**ويزعم آخرون أنه قال:** اللهم إن كان عندك لي خير فاقبضني إليك، فمات بخراسان، بمرور، واستخلف لماً حضرته الوفاة أنس بن أبي أناس (2)، ومات بعد أسبوع واحد (1). ويفهم من هذا: أنه لم يحبس،

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص 29 وأسد الغابة ج 2 ص 36 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 4 ص 187.

(2) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 1 ص 357 و 358 والنصائح الكافية ص 131 عنه، وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 4 ص 170 والكامل في التاريخ ج 3 ص 452 و 489 والدر المنثور ج 6 ص 234 و شيخ المضيرة ص 195 والبداية والنهاية ج 8 ص 33 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج 3 ص 9 وراجع: أعيان الشيعة ج 6 ص 211 وأسد الغابة ج 2 ص 36.

ولم يمت في قيوده.

**متى مات الحكم؟!:**

**وتقدم:** أن البعض كابن أعثم يقول: إن الحكم قد مات بعد أسبوع، ومعنى ذلك: أنه مات سنة خمس وأربعين للهجرة (2).

**ولكن آخرين يقولون:** إنه بقي في قيده إلى أن مات سنة خمسين (3). وقيل: سنة إحدى وخمسين (1).

- 
- (1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 4 ص 316.
- (2) تهذيب التهذيب ج 2 ص 375 وتهذيب الكمال ج 7 ص 127 و خلاصة تهذيب تهذيب الكمال ص 89 وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 4 ص 170 والكامل في التاريخ ج 3 ص 452 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 4 ص 41 والبداية والنهاية (دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص 32 و 33 .
- (3) مشاهير علماء الأمصار ص 101 وراجع: إكمال الكمال ج 7 ص 223 وتهذيب التهذيب ج 2 ص 375 عنه، وتهذيب الكمال ج 7 ص 127 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 7 ص 29 و 366 وأسد الغابة ج 2 ص 36 و خلاصة تهذيب تهذيب الكمال ص 89 وطبقات خليفة بن خياط ص 299 والتعديل والتجريح للباقي ج 1 ص 529 والأنساب للسمعاني ج 4 ص 304 و 305 وسير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 477 وتقريب التهذيب ج 1 ص 233 وفتوح البلدان للبلاذري ج 3 ص 506 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 4 ص 41 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 4 ص 187 والكامل في التاريخ ج 3 ص 489.



فأيهما هو الصحيح؟! ولماذا يتلاعبون بالحقائق على هذا النحو  
المثير والخطير؟!

**تجاهل ما فعله معاوية بالحكم:**

وقد رأينا أيضاً: أن كثيرين لم يرق لهم، أو أنهم أخرجوا بما فعله  
معاوية بالحكم بن عمرو، ولكنهم في نفس الوقت لم يتمكنوا من  
تجاهل الحدث بصورة تامة، فذكروا منه شطراً، وأبهموا شطراً،  
فقالوا: إن معاوية وجهه عاملاً على خراسان، ثم عتب عليه في شيء،  
فأرسل عاملاً غيره، فحبس الحكم، وقيده، فمات في قيوده(2).

فلماذا لم يصرحوا لنا بما عتبه عليه، وسبب حبسه وتقييده حتى  
مات في قيوده؟!

**هل مات الحكم بمرض؟!:**

ولست أدري من أين جاء الشيخ محمود أبي رية بمقولته عن

- 
- (1) تهذيب التهذيب ج 2 ص 375 عن العسكري، وخالصة تهذيب تهذيب  
الكمال ص 89 والمستدرك للحاكم ج 3 ص 441 وسير أعلام النبلاء للذهبي  
ج 2 ص 477 وتهذيب الكمال ج 7 ص 128 عن خليفة بن خياط.
- (2) تهذيب التهذيب ج 2 ص 375 والأعلام للزركلي ج 2 ص 267 ومشاهير علماء  
الأمصار ص 101 والكمال لابن عدي ج 1 ص 410 والمستدرك للحاكم ج 3  
ص 443.

الحكم بن عمرو: إنه مات بمرض (1). فإننا لم نجد أحداً صرح بذلك..  
 فإن كان قد استنتج ذلك من عدم التصريح بسبب الموت، فلما لا  
 يستنتج أن معاوية قد تخلص منه كما تخلص من الأشتر بشربة  
 العسل الشهيرة.. لا سيما إذا لاحظنا أن ثمة اختلافاً في تاريخ موت  
 الحكم، وأن هناك من يقول: إنه لم يبق حياً أكثر من أسبوع واحد؟!  
 ألا يثير ذلك شبهة أن يكون قد تعرض لنفس ما تعرض له الأشتر  
 «رضوان الله تعالى عليه»، وسقي شربة العسل التي اعتاد معاوية  
 أن يعالج بها خصومه.. وهو القائل: إن لله جنوداً من عسل؟! (2).  
 وهل يستطيع معاوية أن يتحمل شخصاً قد تجرأ عليه هذه الجراءة  
 العظيمة، ولا يزال مصراً على موقفه؟! وهل يتحمل أن يبقى حياً  
 أكثر من أسبوع؟!!

#### الخط بين الأشتر والأشعث، لماذا؟!:

تقدم: أن الأشعث بن قيس لم يكن راغباً بالكون في معسكر أمير

(1) شيخ المضيرة ص 195.

(2) راجع: الإختصاص ص 81 وبحار الأنوار ج 33 ص 591 ومعجم رجال  
 الحديث للخوئي ج 15 ص 169 ومعجم البلدان للحموي ج 1 ص 454  
 واللباب في تأليف الأنساب للجزري ج 3 ص 305 وأعيان الشيعة ج 1  
 ص 518 والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص 87 والكنى والألقاب ج 2  
 ص 30 و 31 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 7 ص 78.

المؤمنين «عليه السلام»، وأن قومه هم الذين أرغموه على ذلك، لأنهم أنفوا له المصير إلى معاوية، وأن يوصم بالخيانة..

وقد وجد الأشعث في الأشر النخعي منافساً قوياً له، فكان يحسده على موقعه، وعلى شجاعته، وقوة شخصيته، وقد عبر أكثر من مرة عن بعض ما يكنه ضميره تجاهه. وكان يحاول أن يجاريه في المواقف في كثير من المجالات.

وقد أظهرت قضية منع معاوية الماء عن علي «عليه السلام» وأصحابه مدى حماسة الأشعث لتولي أمر استعادة السيطرة على الماء.. كما أنها كانت سبباً في أن يبوح ببعض ما يعتلج في صدره تجاه الأشر..

والنصوص المذكورة آنفاً تعطي الباحث صورة حية وجليّة عن نشاط أهل الأهواء. حيث تجد أنهم في العديد من المواضع ينسبون الكلام، والموقف، والشعر والرجز للأشعث، ثم ينسبونه للأشر.. فإن كثرة هذا الاختلاف، وانحصاره في رجلين هما: الأشعث، والأشر، تدل على أن هناك حرصاً شديداً على سرقة مواقف هذا وإعطائها لذاك.

**ونكاد نجزم:** بأن الفريق المعادي للأشر كان هو الحريص على تخصيص الأشعث بالنصيب الأكبر من سرقاتهم للمآثر والمواقف، حيث لم يكن الأشر بحاجة إلى شيء منها، لأن لديه من التقوى والورع ما يحجزه عن الوقوع في فخ الحسد هذا، فضلاً عن أن يكون

لديه رغبة في تخصيص نفسه بمأثرة ليست له..

أما الأشعث، فلم يكن من أهل التقوى والورع، ولا كانت لديه قضية كالأشتر، ولم يكن شديد التستر على حسده هذا، بل كانت كلماته وتصرفاته تشي بهذا الأمر مرة بعد أخرى.. ولا سيما قوله لصاحب رايته: والله ما النخع بخير من كندة، ولا الأشتر بخير مني. فلما مدحه صاحب رايته ببعض الأبيات، وعده بالمكافأة الجزيلة إن عاش، وإن مات فله عقار من عقاراته بحضرموت..

**وتقدم:** أنه كره أن يخلط الأشتر به، ونادى: أيها الناس، إنما الحظ لمن سبق.

### فضائل علي × في كلمات الأبطال:

وكان أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» يتغنون بفضائله «صلوات الله وسلامه عليه»، ويصفونه بأفضل الأوصاف وأتمها، وأسناها وأعلاها.. وهذه هي صفاته التي يتصف بها بالفعل، فلاحظ أشعار النجاشي والأشتر، بل والأشعث وغيره، مما تقدم، وما سيأتي.

أما أصحاب معاوية، فلا يجدون مغمزاً في علي «عليه السلام»، ولا موضعاً للثناء في معاوية، فينأون بأنفسهم عن هذا وذاك، ويكتفون بالحديث عن ثارات عثمان، الذي لم يشهدوا مقتله، وليس لهم في اتهامهم علياً «عليه السلام» وأياً من أصحابه حجة، مقبولة أو معقولة.. ثم هم لا يجدون أمامهم سوى الأرجاز والأشعار الحماسية، والتهديد والوعيد..

**قتيل القبط:**

بل إن واحداً من أهم زعماء الحرب في جيش الشام، وهو شرحبيل بن السمط قد ضاقت به السبل في أمر عثمان، فاعترف بصورة ضمنية: بأن العراقيين ليس لهم نصيب في قتل عثمان، ولذلك رمى الأمر على أهل مصر، حين قال: إنه إنما يطلب ثارات قتيل القبط، فلماذا يطالب إذن علياً وأهل العراق بدم عثمان؟! فليلق أهل مصر.. وما شأن أهل العراق بأهل مصر!؟

ولماذا قتل طلحة والزبير ألوفاً من أهل البصرة تحت عنوان الأخذ بثارات عثمان، وقتل قتلتة؟!؟

ولماذا لم يدع طلحة والزبير ومعاوية وعائشة على أهل مصر عند علي «عليه السلام» ويطالبونه بإنزال العقوبة بهم؟!؟

وما ذنب المهاجرين والأنصار، وغيرهم، من أمثال عمار، وذو الشهادتين، وهاشم المرقال - وهو أموي - وزيد بن صوحان إضافة إلى الألوفاً الآخرين الذين قتلوا بعثمان، إذا كان عثمان قتيل القبط من أهل مصر؟!؟

**رواية سليمان الحضرمي مرفوضة:**

وأما الرواية التي وردت في آخر الفصل السابق عن سليمان الحضرمي، والتي جاء فيها: أن معاوية أرسل إلى أصحابه يأمرهم بالكف عن أصحاب علي «عليه السلام»، ويقول: لا تقاتلوهم، وخلصوا

بينهم وبين الماء، فهي غير صالحة للإعتماد، لأن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أجلوا أصحاب معاوية عن الماء وهزموهم. ولم يعد لهم مجال للوصول إليه، فلا معنى للقول: بأن معاوية قد أمر أصحابه بأن يخلوا بين أصحاب علي «عليه السلام» وبين الماء.

إلا إن كان يريد: أن معاوية قد استسلم للأمر الواقع، فأرسل يطلب من أصحابه أن يكفوا عن بذل المحاولة، لأنها ستكون عقيمة..

الفصل

القتال الثاني على الماء..





## حيلة معاوية:

### قال المنقري:

إن معاوية كتب في سهم: «من عبد الله الناصح، فإنى أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم. فخذوا حذرکم».

ثم رمى معاوية بالسهم في عسكر علي «عليه السلام» [في جوف الليل]، فوقع السهم في يدي رجل من أهل الكوفة، فقرأه، ثم أقرأه صاحبه، فلما قرأه وأقرأه الناس - أقرأه من أقبل وأدبر - قالوا: هذا أخ ناصح، كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية. فلم يزل السهم يقرأ ويرتفع حتى رفع إلى أمير المؤمنين، [فقرأه، ثم أقبل إلى أصحابه فقال: خط معاوية، وليس هذا إلا مكر ومكيدة، فلا يهولنكم ذلك].

وقد بعث معاوية مائتي رجل من الفعلة إلى عاقول (1) من

---

(1) العاقول في النهر: العطفة فيه.

النهر، بأيديهم المرور والزُّبُل، يحفرون فيها بحيال عسكر علي بن أبي طالب.

فقال علي «عليه السلام»: ويحكم، إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له، ولا يقوى عليه [ولو أنفق أموال أهل الشام]، وإنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فالهوا عن ذلك ودعوه.

فقالوا له: لا ندعهم والله يحفرون الساعة.

فقال علي: يا أهل العراق لا تكونوا ضعفى، ويحكم لا تغلبوني على رأيي.

فقالوا: والله لنرتحلن، فإن شئت فارتحل، وإن شئت فأقم.

فارتحلوا، وصعدوا بعسكرهم ملياً، وارتحل علي في أخريات الناس، وهو يقول:

ولو أني أطعت عصيت قومي إلى ركن اليمامة أو شمام  
ولكني إذا أبرمت أمرا منيت بخلف آراء الطغام  
[فلما كان الليل] ارتحل معاوية حتى نزل على معسكر علي الذي  
كان فيه.

**علي × يستعيد الماء:**

فدعا علي الأشتر [والأشعث بن قيس]، فقال: ألم تغلبنى على رأيي أنت والأشعث؟! فدونكما.

فقال الأشعث: أنا أكفيك يا أمير المؤمنين، سأداوى ما أفسدت

اليوم من ذلك.

[فقال الأشر: وأنا والله معك، ويدي في القوم قبل يدك].

فجمع بنى كندة، وقال: يا معشر كندة، لا تفضحوني اليوم ولا تخزونني، إنما أقارع بكم أهل الشام.

فخرجوا معه رجلاً<sup>(1)</sup>، يمشون [وخرجوا يمشون في الدروع والمغافر، وفي أيديهم الرماح، والسيوف، والحجف]<sup>(2)</sup> وبيد الأشعث رمح له يلقيه على الأرض، ويقول: امشوا قيس رمحي [هذا].

فيمشون، فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه ذلك ويمشون معه رجالة، قد كسروا جفون سيوفهم حتى لقوا معاوية وسط بنى سليم واقفا على الماء، وقد جاءه أداني عسكره، فاقتتلوا قتالاً شديداً على الماء ساعة، وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا.

وأقبل الأشر في خيل من أهل العراق، فحمل على معاوية حملة، والأشعث يحارب في ناحية [أخرى]، فانحاز معاوية في بنى سليم، فردوا وجوه إبله قدر ثلاثة فراسخ.

ثم نزل ووضع أهل الشام أثقالهم، والأشعث يهدر ويقول: أرضيتك يا أمير المؤمنين! ثم تمثل [بقول طرفة بن العبد]:

(1) أي خرجوا معه رجلاً لا فرساناً.

(2) صفيين للمنقري ص 190 - 192 والفتوح لابن أعمش ج 3 ص 15 - 18 و (ط) دار الأضواء) ج 3 ص 14 و 15.

ففداء لبني سعد علي ما أصاب الناس من خير وشر  
 ما أقلت قدماي، إنهم نعم (1) الساعون في الحي  
 الشطر  
 ولقد كنت عليكم عاتبا فعقبتم بذنوب غير مر (2)  
 كنت فيكم كالمغطى رأسه فأنجلي اليوم قناعي وخمر  
 سادرا أحسب غيي رشدا فتناهيت وقد صابت بقر

قال: وقال الأشعث: يا أمير المؤمنين، قد غلب الله لك على الماء.

قال علي: أنت كما قال الشاعر:

تلاقين قيساً وأتباعه فيشعل للحرب ناراً فنارا  
 أخو الحرب إن لقحت بازلا سما للعلى وأجل الخطارا (3)

لكن ابن أعثم بعد أن ذكر استدعاء الأشعث قومه إلى القتال، وطلب منهم أن لا يفضحوه ذلك اليوم، وذكر أن الأشتر أيضاً نادى في أصحابه، فأجابوه بالسلاح، لم يبين منهم إلا الحدق، وذكر أن الأشتر بارز عدداً من فرسان أهل الشام فقتلهم، وهم: فيروز بن صالح، ومالك بن الأدهم، وزبيد بن عبيد، وزامل بن عبيد الحرامي، ومالك بن روضة.

- 
- (1) نِعَم: بكسر أوله وثانيه. والشطر: جمع شطير. وهو الغريب البعيد.  
 (2) عقبتم: أي وجدتم عقب ذلك. والذنوب - بفتح الذال -: النصيب والحظ.  
 (3) صفيين للمنقري ص 192 و 193.

وذكر مبارزة الأشعث لشرحبيل بن السمط، وأبي الأعور.  
 وذكر أيضاً خروج حوشب ذي الظليم، وذي الكلاع.. فخرج  
 إليهما الأشر والأشعث - بعد أن ذكر ذلك كله - قال (1):  
 ثم تقدم الأشر أيضاً وهو يقول شعراً على قافيته، ثم حمل  
 الأشعث والأشر جميعاً على حوشب وذي الكلاع، فتطاعنوا ساعة  
 وافترقوا. وصاح أهل الحجاز وأهل العراق بعضهم لبعض، ثم حملوا  
 على أهل الشام، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة.  
 اندحار أهل الشام:

قال: وجعل أهل الشام ينادون أهل العراق: يا هؤلاء! انظرونا  
 سواد هذه الليلة، فإننا راجعون إلى معسكرنا الذي كنا فيه.  
 فصاح الأشعث بن قيس وأصحابه، فقالوا: والله لا نبیت إلا في  
 معسكركم.

قالوا: فإذا نرحل فلا تعجلونا.  
 قال: ثم رحل القوم إلى معسكرهم فنزلوه كما كانوا.  
 وأقبل الأشعث إلى علي «عليه السلام»، فقال: أرضيت (يا أمير  
 المؤمنين؟!

قال علي «عليه السلام»: (رضيت)، ثم أقبل عليه وعلى

(1) الفتوح لابن أعمم ج3 ص15 - 21 و (ط دار الأضواء) ج3 ص14 - 18.

الأشتر، فقال: أنتما كما قال الشاعر:

**وإن لنا شيخاً إذا الحرب شمرت بديهته الأقدام قبل التوقف**

قال: فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين! إنه قد غلب الله عز وجل لك على الماء مرة وهذه ثانية، وقد علمت ما كان من غدر معاوية، وإن شئت منعناهم الماء!؟

فقال علي «عليه السلام»: إن الخطب أعظم من منعهم الماء، فلا تمنعوهم الماء، ولا تكافوهم بصنيعهم(1).

### قال المنقري:

فلما غلب علي على الماء فطرد عنه أهل الشام بعث إلى معاوية: «إنا لا نكافيك بصنعك، هلم إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء».

فأخذ كل واحد منهما بالشرعية مما يليه، وقال علي «عليه السلام» لأصحابه: أيها الناس، إن الخطب أعظم من منع الماء.

وقال معاوية: لله در عمرو، ما عصيته في أمر قط إلا أخطأت الرأي

قال: فمكث معاوية أياماً لا يكلم عمراً، ثم بعث إليه، فقال: يا عمرو، كان فلتة من رأي أعقبنتني بخطائها، وأمت ما كان قبلها من الصواب، أما والله لو تقايس [صوابك] بخطائك لقل صوابك.

(1) الفتوح لابن أعمش ج 3 ص 22 و 23 و (ط دار الأضواء) ج 3 ص 18 و

فقال عمرو: قد كان كذا فرأيت احتجت إلى رأيك، وما خطأك اليوم حين أعذرت إليك أمس، وكذلك أنالك غداً إن عصيتني اليوم. فعطف عليه معاوية، ورضي عنه، وبات على مشق الحيل حتى أصبح(1).

**ونقول:**

علينا أن نتأمل في الأمور التالية:

**نلك مبلغهم من العلم:**

إن ما تقدم من أن معاوية قد خوف العراقيين من أن يفجر الفرات عليهم، فخافوا، وانتقلوا من موضعهم بالرغم من نهي أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم. فحل فيه معاوية بجيشه - إن ذلك - لا يدع مجالاً للشك في أن عقول هؤلاء القوم كانت على درجة كبيرة من الضعف، إن لم نقل: إنها تكاد تكون معطلة تماماً.

كما أنهم لم يسمعوا لأمر أمير المؤمنين «عليه السلام» حين أخبرهم بأنها مكيدة من معاوية، وأن ما كُتِبَ على السهم كُتِبَ بخط معاوية نفسه، ثم هم قد ارتحلوا عن موضعهم بالرغم من نهي «عليه السلام» لهم.

ومهما يكن من أمر، فإن لأهل العراق الذين كانوا مع أمير المؤمنين «عليه السلام» صفات وحالات تجعل من نجاح أمير

---

(1) صفين للمنقري 193.

المؤمنين «عليه السلام» في سياستهم من غرائب الأمور، بل هي من أعظم المعجزات التي لم يمر لها مثل في تاريخ الأولين والآخرين.. وكان «عليه السلام» عالماً بها، وكان يذكرها لهم، ويذكرهم بها مرات وكرات.. وقد أشرنا إلى هذا الأمر في كتابنا علي الخوارج، وقلنا في ذلك الكتاب ما يلي:

قال «عليه السلام» في نهج البلاغة الخطبة رقم [25] بترقيم المعجم المفهرس للدثتي: «..إني والله، لأظن: أن هؤلاء القوم سيدالون منكم، باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم؛ فلو انتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته.

اللهم إني قد مللتهم وملوني؛ وسئمتهم وسئمونني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني»(1).

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (27) بترقيم المعجم: «عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 63 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 1 ص 332 وبحار الأنوار ج 34 ص 160 والثقات لابن حبان ج 2 ص 351 وفيه زيادات واختلاف.



غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تُغزون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمارة القيظ».

إلى أن قال «عليه السلام»: «يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت إنني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندماً، وأعقت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجر عتموني نغب التهمام أنفاساً الخ..».

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (29) بترقيم المعجم: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء»<sup>(1)</sup>.

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (39) من نهج البلاغة بترقيم المعجم: «منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت. لا أبا لكم، ما تنتظرون بنصركم ربكم؟! أما دين يجمعكم؟! ولا حمية تحمشكم؟! أقوم فيكم مستصرخاً، أناديكم متغوثناً، فلا تسمعون

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 73 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 111 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 355 وتاريخ مدينة دمشق ج 1 ص 321 وأنساب الأشراف ص 380 و 381 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج 1 ص 130 و (تحقيق الشيرازي) ج 1 ص 171 وراجع هذا النص أيضاً في: الفتوح لابن أعمش ج 4 ص 100 و 101 و (ط دار الأضواء) ج 4 ص 257.

لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة الخ..»(1).

وقال «عليه السلام»: «إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. يرتج عليكم حوارى فتعمهون؛ فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون.

ما أنتم لي بثقة سجيى الليالى، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم. ما أنتم إلا كابل ضل رعائها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر»(2).

وقال «عليه السلام»: «إنكم - والله - لكثير فى الباحات، قليل تحت الرايات. وإنى لعالم بما يصلحكم ويقوم أودكم، ولكنى والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى. أضرع الله خدودكم، وأنعس جدودكم. لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق»(3).

وقال «عليه السلام» فى الخطبة رقم (97) بترقيم المعجم: «أيها

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 90 وبحار الأنوار ج 34 ص 32 وشرح نهج البلاغة للمعتزلى ج 2 ص 300.

(2) نهج البلاغة ج 1 ص 82 و 83 وشرح نهج البلاغة للمعتزلى ج 2 ص 189 وبحار الأنوار ج 34 ص 74 ومطالب السؤل ص 289.

(3) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 117 و 118 وبحار الأنوار ج 34 ص 79 وشرح نهج البلاغة للمعتزلى ج 6 ص 102.

القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه.

لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم، وأعطاني واحداً منهم»<sup>(1)</sup>.

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (106) بترقيم المعجم: «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون. وكانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع الخ..»<sup>(2)</sup>.

وقال «عليه السلام» في نهج البلاغة الخطبة (108) بترقيم المعجم المفهرس للدثتي: «ما لي أرى أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونساکاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نوماً، وشهوداً غيباً، وناظرة عمياء، وسامعة صماء، وناطقة بكماء»<sup>(3)</sup>.

وقال في الخطبة رقم (121) بترقيم المعجم: «هذا جزاء من ترك

- 
- (1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 187 و 188 وبحار الأنوار ج 34 ص 81 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 7 ص 70.
- (2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 205 وبحار الأنوار ج 34 ص 107 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 7 ص 176.
- (3) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 208 وبحار الأنوار ج 34 ص 240 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 7 ص 187.

العقدة! أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى.

ولكن بمن وإلى من؟! أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها. اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي، وكلت النزعة بأشطان الركي.

أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهجوا إلى الجهاد فولّوها ولّة اللقاح إلى أولادها الخ...»(1).

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (180) بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب. إن أمهلتكم خفتكم، وإن حوربتكم خرتكم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم»(2).

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 235 والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 273 و 274 وبحار الأنوار ج 33 ص 362 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 7 ص 291.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 100 و 101 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 10 ص 67 وبحار الأنوار ج 34 ص 85 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 7 ص 26.

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (208) بترقيم المعجم المفهرس للدثتي: «أيها الناس، إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك.

لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهيماً، وقد أحببتكم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون»(1).

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (192) بترقيم المعجم: «ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وتلتمت حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية الخ..»(2).

وقال «عليه السلام» في الخطبة رقم (192) بترقيم المعجم: «واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً. ما تتعلقون في الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه.. ألا

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص187 وبحار الأنوار ج33 ص306 وج97 ص41 والمعيار والموازنة ص175 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص29 وج2 ص219 و 220.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص154 وبحار الأنوار ج34 ص223 وج14 ص474 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص179.

وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأتمت أحكامه»(1).

وقال معاوية، وهو يتحدث عن أمير المؤمنين «عليه السلام»

وعن

نفسه: «..وكان في أحبب جند، وأشدهم خلافاً. وكنت في أطوع جند، وأقلهم خلافاً»(2).

وكان أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» يردد:

**ولكني متى أبرمت أمراً منيت بخلف آراء  
الطغام(3)**

وقال الدكتور نايف معروف: «وقد حمل (ميور) علياً «عليه السلام» مسؤولية وجود تلك العناصر الهدامة بين أتباعه حين قال: «إن علياً قد سمح لنفسه أن يضم إلى جيشه الخونة والقتلة، فكان عليه أن يجني الثمار المرة، في الوقت الذي كان فيه معاوية هو الراجح

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 153 وبحار الأنوار ج 34 ص 223

وج 14 ص 474 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 13 ص 179.

(2) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 1422 والخوارج في العصر الأموي

ص 70 عن المحاسن والمساوي للبيهقي ص 376.

(3) بحار الأنوار ج 32 ص 452 وصفين للمنقري ص 191 وشرح نهج

البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 18 و 19 وعنه في كتاب: الخوارج في

العصر الأموي ص 71.

الوحيد».

ولكن يبدو أن (ميور) قد حملَ علياً ما هو فوق طاقته؛ فأمرير المؤمنين لم يكن بقادرٍ على تحديد هوية أولئك المخادعين؛ ليفرز الخونة جانباً؛ خصوصاً وأنهم من زعماء القبائل التي تسانده، وتحارب إلى جانبه، والتي لا يستطيع إغضابها، والإستغناء عن مسانبتها له.

كما أن زعم «ماكدونالد» بأن علياً لم يكن رجل سياسة فيه جهل بشخصية الإمام، الذي كان رجل عقيدة، يعمل بموجبها، ويلتزم بأحكام اجتهاداته من خلالها»<sup>(1)</sup>.

وقال «عليه السلام» لعدي بن حاتم في صفين: «ادن. فدنا، حتى وضع أذنه عند أنفه، فقال: ويحك، إن عامة من معي اليوم يعصيني، وإن معاوية في من يطيعه، ولا يعصيه»<sup>(2)</sup>.

وحين قيل لعلي «عليه السلام» لما كتبت الصحيفة: إن الأشر لم يرض بما في هذه الصحيفة، ولا يرى إلا قتال القوم، فقال علي «عليه السلام»: بلى، إن الأشر ليرضى إذا رضيت..

إلى أن قال: «ليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى

(1) الخوارج في العصر الأموي ص72.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص77 وبحار الأنوار ج32 ص503 والدرجات الرفيعة ص357 وصفين للمنقري ص379.

في عدوه مثل رأيهِ. إذن لَخَفَّت علي مؤونتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم»(1).

أما ابن كثير، فيقول: «واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم، وينهاهم عنه، والخروج عليه، والبعد عن أحكامه، وأقواله، وأفعاله، لجهلهم، وقلة عقولهم، وجفائهم، وغلظتهم، وفجور كثير منهم»(2).

وروي عن الباقر «عليه الصلاة والسلام» قوله: «كان علي بن أبي طالب «عليه السلام» عندكم بالعراق، يقاتل عدوه، ومعه أصحابه، وما كان خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته، وحق معرفته إمامته..»(3).

### خلاصة جامعة:

ونستخلص من كلماته عليه الصلاة والسلام المتقدمة أموراً

- 
- (1) صفين للمنقري ص 521 وبحار الأنوار ج 32 ص 547 ونهج السعادة ج 2 ص 280 و 281 والمعيار والموازنة ص 183 و 184 والكامل في التاريخ ج 3 ص 321 و 322 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 240 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 4 ص 42 و 43 وينايع المودة ج 2 ص 21.
  - (2) البداية والنهاية ج 7 ص 317 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 350 وراجع ج 8 ص 11 أعني قوله «عليه السلام»: إني مللتهم وملوني الخ..
  - (3) إختيار معرفة الرجال ج 1 ص 6 و (ط مؤسسة آل البيت) ج 1 ص 25 و 26 وبحار الأنوار ج 42 ص 152.



كثيرة، ويمكن أن نجلها على النحو التالي:

1 - بالنسبة إلى إمامهم، وتعاملهم معه نجد:

**ألف:** أنهم يعصونه في الحق، ولا يطيعونه إذا أمرهم أو دعاهم، ولا يسمعون قوله، ولا يجيبون صرخته، واستغاثته.. حسب التعبيرات المختلفة التي وردت عنه «عليه السلام»..

**ب:** إنهم قد ملوا قائدهم، وإمامهم وسئموه.

**ج:** إنهم يصدرون الأوامر والنواهي لأمرهم..

2 - وأما بالنسبة لأمر الجهاد فإنهم:

**ألف:** قد أصبحوا غرضاً يرمى، يغار عليهم، ولا يغيرون، ويُغزَوْنَ، ولا يَغزُونَ، كثير في الباحات قليل تحت الرايات.

**ب:** إذا أمروا بالجهاد، يتعللون بالمعاذير، بالحر تارة، وبالبرد أخرى.

**ج:** إنهم يصابون - إذا أمروا بالنفر إلى الجهاد - بالذعر والخوف.

**د:** كلامهم يوهي الصم الصلاب، وفعلهم يطمع فيهم الأعداء.

**هـ:** يؤثرون البقاء على لقاء الله والجهاد في سبيله.

**و:** إن حوربوا خاروا، وإن أمهلوا خاضوا.

3 - بالنسبة إلى حالتهم مع بعضهم البعض فإنهم:

**ألف:** متفرقون عن حقهم.

**ب:** إن أمهلوا خاضوا.

ج: أهواؤهم مختلفة.

د: هم كابل ضل رعاتها، كلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

هـ: صاروا بعد الموالاة أحزاباً، حيث يظهر: أن المقصود هو أنهم أصبحوا شيعاً وأحزاباً متدابرين، بعد أن كانوا يداً واحدة يوالي ويحب بعضهم بعضاً.

4 - وأما بالنسبة للدين والتدين فإنهم:

ألف: يرضون بمعصية الله سبحانه، ويرون عهد الله منقوضة ولا يأنفون، ولكنهم يأنفون لنقض ذمم آبائهم.

ب: لا يعرفون الحق كمعرفتهم الباطل، ولا يعرفون من الإيمان إلا رسمه.

ج: لا يبطلون الباطل كإبطالهم الحق.

د: هم نساك بلا صلاح.

هـ: قد ثلموا حصن الله المضروب عليهم بأحكام الجاهلية.

و: قد قطعوا قيد الإسلام، وعطلوا حدوده، وأماتوا أحكامه.

ز: ما يتعلقون من الإسلام إلا باسمه.

5 - وحول مقدار وعيهم، وإدراكهم لمقتضيات الحكمة يقول

«عليه السلام» عنهم:

ألف: إنهم أيقاظ نؤم، وشهود غيب، وناظرون عمي، وسامعون

صم، وناطقون بكم، أبدانهم شاهدة، وعقولهم غائبة عنهم.

ب: هم أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح.

ج: كأن عقولهم مألوسة، فهم لا يعقلون.

د: ليسوا برجال، بل لهم عقول ربات الحجال.

هـ: لهم حلوم الأطفال.

ثم إنه بقيت لهم أوصاف أخرى، نجملها على النحو التالي:

6 - إنهم يخونون أمانة صاحبهم، حتى لو أوّتمن أحدهم على قعب

لخشي «عليه السلام» أن يذهب بعلاقته.

7 - إنهم يفسدون في بلادهم.

8 - ما هم بركن يمال إليه.

9 - ليسوا زوافر عز يفتقر إليهم.

10 - تجار بلا أرباح.

11 - صاروا بعد الهجرة أعراباً.

ولعل مراجعة وافية لكلماته صلوات الله وسلامه عليه تعطينا

المزيد مما يوضح حقيقة حالهم، وما آل إليه أمرهم.

### الخليط غير المتجانس:

ثم إن المجتمع العراقي كان عبارة عن مجموعات مختلفة في

ولاءاتها وفي انتماءاتها العشائرية، والعرقية، وفي ثقافتها، وتفكيرها،

وتاريخها. فهناك العربي، والفارسي، والنبطي، والحجازي،

واليماني، كما أن فيهم البدوي والحضري، والمسلم وغير المسلم، وغير ذلك من فئات جاءت من مناطق شتى، ولها ميزات، وخصائص متفاوتة.

**أضف إلى ذلك:** أنهم لم يتربوا على يد زعيم واحد، يغذيهم بفكره، ويطبّعهم بمنهجه، ويؤثر في نفوسهم وطبائعهم، وعقولهم. ولم يكن لهم آمال مشتركة ولا هموم متجانسة، ولا ثقافات منسجمة.

ولم يكن زعمائهم - العشائريون، وغيرهم يملكون مستوى ثقافياً مقبولاً، وحتى لو كان، فإنهم ما كانوا يهتمون برفع مستوى الآخرين الثقافي إلى درجة تمكنهم من وعي الأمور، وتفهمها من منطلقات صحيحة وسليمة. موافقة للعقل واللفظة، وللمبادئ الإنسانية والإسلامية.

**العراقيون.. يجهلون علياً ×:**

**وبعد..** فإن جهل الكثير من الناس وخصوصاً العراقيين بعلي «عليه السلام» وموقعه، وبمزاياه وفضائله، وجهاده، وبأقوال النبي «صلى الله عليه وآله» فيه، وبغض كثير من الناس له، وإصرارهم على مناكبته، والكيد له، وإقصائه عن المحل الذي وضعه الله فيه، وسعيهم لإسقاط قدسيته ومحلّه.. بعد أن استلب منه مقامه بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» - إن ذلك كله - كان من أهم أسباب عدم الانقياد له، حيث كان يراه الناس رجلاً عادياً كسائر من عرفوه من رجال الحكم والسياسة.

إن لم نقل: إنهم كانوا يتهمونه في سياساته أيضاً حين رأوه يخالف الخلفاء الذين أحبوه في كثير من سياساتهم، ويصر على العودة إلى سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

**وخلاصة الأمر:** أن علياً «عليه السلام» عندهم يخطئ ويصيب، ويحب ويبغض، ويعدل ويظلم، ويحسد ويحقد، ويطيع ويعصي، فلم تكن له تلك القدسية في نفوسهم، ولا كانوا يثقون به ثقة مطلقة، تخولهم اتباعه فيما أحبوا وكرهوا.

وقد كانت سياسة الذين سبقوه هي محو ذكره «عليه السلام»، وطمس مزاياه وفضائله، ولم تكن معه إلا ثلة قليلة من العارفين به، والمعتقدين بإمامته سرعان ما التهمتهم الحروب الضارية، وقد كان «عليه السلام» يتلطف عليهم، ويتأسف على فقدهم، فهو يقول:

«أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحبوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد، فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه»(1).

وحول محاولات خصومه «عليه السلام» محو ذكره، وإذهاب صوته وصيته، نجد المعتزلي الحنفي يقول:

«وهذا يدل على أن علياً «عليه السلام» اجتهدت قريش كلها،

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص109 وبحار الأنوار ج34 ص127 والدرجات الرفيعة ص323 ونبابيع المودة ج2 ص29.

من مبدأ الأمر في إخماد ذكره، وستر فضائله، وتغطية خصائصه، حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلاً منهم»(1).  
ويقول أيضاً، نقلاً عن محمد بن سليمان، الذي «لم يكن يتعصب لمذهب بعينه»(2).

«لأن علياً دحضه الأولان، وأسقطاه، وكسرا ناموسه بين الناس؛ فصار نسياً منسياً، ومات الأكثر ممن يعرف خصائصه، التي كانت في أيام النبوة وفضله. ونشأ قوم لا يعرفونه، ولا يرونه إلا رجلاً من عرض المسلمين، ولم يبق مما يمتّ به إلا أنه ابن عم الرسول، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، ونسي الناس ما وراء ذلك كله. واتفق له من بغض قريش وانحرافها ما لم يتفق لأحد الخ...»(3).

بل إن بعض النصوص تشير إلى أن الناس كانوا لا يطبقون سماع شيء من فضائله، ويرون الخوض فيها بلا فائدة ولا عائدة، فقد قال جندب بن عبد الله في حديث له:

«فانصرفت إلى العراق، فكنت أذكر فضل علي على الناس؛ فلا

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 8 ص 18 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 595 والدرجات الرفيعة ص 272.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 9 ص 24 و 25 وبحار الأنوار ج 31 ص 83 وغاية المرام ج 2 ص 69.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 9 ص 28 و 29 وبحار الأنوار ج 31 ص 84.

أعدم رجلاً يقول لي ما أكرهه، وأحسن ما أسمعته قول من يقول: دع عنك هذا وخذ في ما ينفعك. فأقول: إن هذا مما ينفعني وينفعك، فيقوم عني، ويدعني»(1).

وهو «عليه السلام» نفسه يقدم لنا أوضح صورة للحال التي كان عليها «صلوات الله وسلامه عليه»، فإنه هو نفسه «عليه السلام» يقول، وهو يجيب على سؤال: لو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مات وترك ولداً، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟! قال «عليه السلام»: «لا، بل كانت تقتله، إن لم يفعل ما فعلت».

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 9 ص 58 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 219 والسقيفة وفدك للجوهري ص 91.

ثم يستمر «عليه السلام» في إجابته، فيذكر الفتوح، التي جاءت بالثروة والمال، ويقول: «ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين؛ فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبث ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون، والأحقاب بما فيها؛ ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف الخ..»(1).

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة، التي لا مجال لتتبعها. وأما السبب في أنهم قد أخفوا فضائله «عليه السلام»، فهو إما العداوة، أو الحسد، أو الخوف، أو ما إلى ذلك. حتى إذا ما أراد هو نفسه أن يذكرّ الناس بتلك الفضائل، أو يذكرها لهم؛ فإنهم يرمونه بأنه أراد بذلك الافتخار والإدلال، والتكبر، أو يكذبونه في ذلك، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً. **وخلاصة الأمر:**

إن ما حصل في صفين من عدم امتثال أصحابه «عليه السلام» لأمره لهم بعدم ترك مواضعهم إن دل على شيء، فهو يدل على الصعوبات التي كان يواجهها أمير المؤمنين «عليه السلام» معهم،

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 20 ص 298 و 299 والدرجات الرفيعة ص 37 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 11 ص 244 و 245.



وعلى أن الأخطار والمشكلات التي قد يتسبب بها هذا النوع من الناس ستكون هائلة، ومن الصعب تجاوزها أو النجاة منها إلا بلطف من الله تبارك وتعالى.

والأنبياء والأوصياء، هم وحدهم العارفون بالله، والقادرون على انتهاج سياسة بالغة الحكمة، وشديدة الرهافة، والدقة في التعامل مع هذا النوع من الناس، وهم القادرون على تلافي الأخطار الجسام، التي تتسبب بها رعونة هؤلاء القوم، الذين أظهرت هذه الواقعة وسواها مدى صعوبة انقيادهم إلى إمامهم، ومزاجيتهم في طاعتهم له.. في حين أن طاعة أهل الشام لمعاوية كانت طاعة عمياء، وبلا حدود ولا قيود..

ويزيد الطين بلة، والخرق اتساعاً، اختلاف أهواء أهل العراق، وتوزع ولاءاتهم، وعدم اعتقاد الأكثرية الساحقة منهم بإمامة الإمام «عليه السلام». في حين أن ولاء أهل الشام لمعاوية، ولبني أمية كان تاماً وغير منقوص، ولا مشوب بأدنى شائبة.

وهناك أيضاً التباين الكبير في السلوك، والأخلاق، والمفاهيم، والقيم، والدواعي، والحوافز، فيما بين الإمام علي «عليه السلام» وبين جنده، وأقربيتهم في ذلك كله إلى عدوه معاوية، في حين نرى التوافق في الحوافز والدواعي والإنسجام في الأخلاق والسلوك، وفي القيم وفي كل شيء فيما بين معاوية وبين أهل الشام..

إلى كثير من وجوه التباين والإختلاف التي كان يعرفها الكثيرون

بما فيهم معاوية، الذي حاول أن يستفيد منها.. وقد أظهرت النصوص المتقدمة عن أمير المؤمنين «عليه السلام» جانباً منها، وذكرنا خلاصتها آنفاً..

**لماذا لم يفرض عليهم الإمام قراره؟!:**

والسؤال الذي قد يراود أذهان بعض الناس هو: لماذا لم يلزم أمير المؤمنين «عليه السلام» جيشه بالبقاء في موضعه، ولم يرسل من يمنعهم من التحرك منه؟! وأين كان عنه حزمه وقوته وعزمه؟! ولماذا لا يحملهم على ما هو حق وصواب، ويفسح لهم المجال لارتكاب الخطأ حتى يضطر لمتابعتهم فيه؟!!

أم يعقل أن يكون «عليه السلام» قد فرط بما يجب عليه؟! أو أنه كان ضعيفاً في إدارته وفي قيادته إلى هذا الحد؟!!

**ونجيب:**

**أولاً:** إن الحاكمية لا تعني فرض القرارات على المحكومين على كل حال، ولا سيما إذا كانوا لا يرون وجوب طاعته إلا التزاماً بالبيعة، لا اعتقاداً بإمامته، وبعصمته، وإنما يصح فرض القرارات إذا كانت ترجمة لحكم شرعي تعبدي صريح منصوص عليه من الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، أو كان القرار يهدف إلى منعهم من العدوان على حقوق الآخرين، التي ضمنها الله ورسوله لهم، وعاقب من يتعدى عليها..

أما إذا كان الأمر يتعلق بتشخيص موضوع خارجي، تختلف

أنظار الناس فيه، ويكون لهذا الموضوع ارتباط بتكليف شرعي عبادي موجه إليهم، ولا يمكن امتثاله بما له من خصوصية عبادية إلا بقرارٍ ورضاً منهم، مستند إلى قناعتهم بتوفر شرائطه الموضوعية.. فلا يمكن فرض القرار عليهم، وإلزامهم به..

ولأجل ذلك، أمر الله سبحانه نبيه: بأن يشاور الناس في أمر الحرب، فقال له: **(..وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ..)**(1).

ولأجل ذلك أيضاً، لم يفرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم قراره، ولم يمنع ابن أبي، وطائفة كبيرة كانت معه من الرجوع إلى المدينة، وترك الحرب.. ولأجل ذلك لم يحل أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا بين الناس وبين تركهم موضعهم..

وهناك أمثلة كثيرة أخرى تدخل في هذا السياق لا نرى حاجة إلى تتبعها..

**ثانياً:** إن محاولة منع الناس من ترك الموضع الذي كانوا فيه ستؤدي إلى شعورهم بالمرارة وبالمظلومية، وتخليهم بأن أمير المؤمنين «عليه السلام» مخطئ في قراره، ولا سيما بملاحظة ما قلناه: بأن طاعتهم له إنما هي بسبب بيعتهم، لا لاعتقادهم بإمامته، وبعصمته.. بل هم يرون أنه كغيره من الخلفاء الذين سبقوه يخطئ ويصيب.

---

(1) الآية 159 من سورة آل عمران.

ولم يمض وقت طويل على قتل خليفة بسبب مخالفاته الكثيرة لشرع الله تعالى حسب ما كان شائعاً عندهم.

أما إذا تركهم يرون بأمر العين صدق ما أخبرهم به من أن معاوية يخدعهم، فإن إيمانهم ببعده نظره وصواب قراره سوف يترسخ، وسيؤسس لمزيد من الرضا بما يقرره، وما يأمرهم به في المستقبل..

**ثالثاً:** إن حملهم على التراجع عن قرارهم، ربما يؤدي إلى انقلابهم ضده، واعتباره غير مبال بالنكبة التي يتوقعون حلولها بهم، وربما يستحلون بذلك التخلي عنه، بل الانقلاب عليه، وربما مناوآته، هذا إن لم يجعل ذلك الكثيرون منهم ذريعة للانضمام إلى عدوه، ولا سيما أولئك الذين كانوا يرغبون بهذا الأمر - كالأشعث - من البداية، ولكن الظروف أجبرتهم على التراجع عنه..

### لا ثغرات في أحكام الله:

**قلنا:** إن معاوية كان يعرف طرفاً من أحوال أهل العراق، ويعرف أيضاً طرفاً من طريقة علي «عليه السلام» في سياسته للعباد، التي تنطلق من مبادئ الحق والدين، ولا تتخطى أحكام الشريعة، ولو بمقدار ذرة واحدة..

وقد عاين بعضاً من سياسات رسول الله «صلى الله عليه وآله» التي كان يرى كيف أن علياً «عليه السلام» يترسمها ولا يتخطاها أبداً..

وقد حاول أن يستثمر معرفته هذه، ويكيد علياً «عليه السلام»

بتوظيف هذا الالتزام العلوي بأحكام الدين والشريعة في الإضرار بعلي «عليه السلام»، ظناً منه أن الشرع لم يحسب حساباً لمكر الماكريين، ولم يشرع لأهل الحق ما يواجهون به ذلك المكر.. مقدراً أن علياً «عليه السلام» سوف يستسلم للأمر الواقع الذي يفرض عليه..

وإذ بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» يفاجئ معاوية، ويعرفه في مجال التطبيق العملي لأحكام الدين أن معاوية إن كان قد حفظ شيئاً، فقد غابت عنه أشياء كثيرة..

**فأولاً:** إن إعطاء الناس فرصة اختيار خط الجهاد بما هو عبادة لا يصح الإجبار عليها، لأن الإجبار يزيل عنها خصوصيتها العبادية، إنما هو في صورة ما لو لم يكن الجهاد دفاعاً عن النفس، إذا دهمهم عدو يشكل خطراً فعلياً عليهم، حيث لا بد في هذه الصورة من حملهم على الجهاد، وعدم السماح لهم بالتعلل، ولا بالتهاون، إلا حين يكون هناك بديل قادر على القيام بالمهمة، كما هو حال كل واجب كفائي، ما لم يتحول إلى واجب عيني..

**ثانياً:** هناك صورة أخرى يجب فيها إلزام فئة بعينها، أو أشخاص محددین بمباشرة الحرب، ولا يصح التهاون معهم فيها، وهي صورة ما لو تسببت هذه الفئة بوضع المسلمين في مأزق خطر.. فإن إلزامها بإعادة الأمور إلى نصابها يصبح أمراً لا بد منه، ما دامت تقدر عليه، فلا يصح التهاون معها فيه، ولا غض النظر عنه..

والمورد الذي نحن بصدد الحديث عنه من هذا القبيل، فإن الناس هم الذين أوقعوا أنفسهم وغيرهم في هذا المأزق، وقد ورد عنهم «عليه السلام» قولهم: من كنت سبباً في بلائه، وجب عليك التلطف في علاج دائه (1).

ولأجل ذلك بادر «عليه السلام» إلى إلزام الأشر، والأشعث، بإعادة الأمور إلى نصابها.. فقد دعا «عليه السلام» الأشر، وقال له: ألم تغلبنني أنت والأشعث على رأيي؟! فدونكها إلخ.. وقد بادر الأشعث إلى التعهد بإصلاح ما أفسده، وقد فعل ما تعهد به، مستعيناً بقومه.

### حشر اسم الأشر:

وإنما قلنا هذا الذي قلناه، وأسندنا ما جرى إلى الأشر والأشعث معاً، مجارةً للرواية التي ذكرت ذلك.. وإلا.. فنحن نشك في أن يكون للأشر أي ضلع في حصول ما حصل من الناس من انتقالهم عن موضعهم بالرغم من نهي أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم عن ذلك.. ونرى أن الأرجح، بل الأظهر أن الأشعث هو الذي تسبب بما جرى.

### ويدلنا على ذلك أمران:

أولهما: أن الأشر كان لعلي «عليه السلام» كما كان علي «عليه

(1) ميزان الحكمة ج 1 ص 311 عن غرر الحكم ص 9166.

السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في الإخلاص، والطاعة،  
والمناصحة، والتسليم وغير ذلك..

وقد تقدم تحت عنوان: «ذلك مبلغهم من العلم» قول علي «عليه  
السلام»: «إن الأشر لا يرضى إذا رضيت..

إلى أن قال: «ليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً  
الخ..». فراجع.

### من أجل ذلك نقول:

إن الأشر لا يخالف علماً «عليه السلام» إذا أمر الناس بعدم ترك  
مواضعهم، بل يعمل على حمل الناس على طاعة الأمر.. ولكن الأشر لم  
يكن يتصدى لمعارضة الأشعث، لأنه يعلم بمدى حساسية الأشعث تجاه ما  
يأتي من قبل الأشر.

ولو فرض أنه «عليه السلام» قد ذكر اسم الأشر في كلامه،  
فلعله لأجل تهوين الخطب على الأشعث، لكي لا يرى نفسه في موقع  
المتهم، ويغضب وينفر..

**الثاني:** إن الرواية نفسها تصرح: بأن الأشعث قد اعترف بأنه هو  
الذي أفسد الأمر، وتعهد بمداواة ما أفسده.. ثم جمع كندة، وهاجموا  
أصحاب معاوية حتى أزالوهم عن موضعهم، قدر ثلاثة فراسخ..  
أما الأشر فلم يعترف بشيء من ذلك، ولكنه وعد الأشعث  
بالمساعدة، ووفى بوعد.

ولأجل هذا، وذلك نرى أن ذكره «عليه السلام» للأشر لتهوين

الأمر على الأشعث قد يكون سببه هو أنه لا يرى نفسه مستهدفاً من قبل علي «عليه السلام».. وربما يكون الأشعث قد أصر على علي «عليه السلام» في هذا الأمر، فجاراه الأشتري بسكوته، لأن الأشعث كان يرصد الأشتري وينافسه فيما يقول ويفعل..

### الخير فيما وقع:

ولسنا بحاجة إلى التذكير: بأن معاوية وإن كان قد نجح في إزالة علي «عليه السلام» وجيشه من موضعه، ليحل هو وجيشه مكانه، ولكن نجاحه هذا قد تحول إلى فشل ذريع ومريع، لأنه قد هب الأجيال والمناخات الحماسية لدى أصحاب علي «عليه السلام» التي أثمرت انتصاراً عسكرياً ظاهراً حقيقياً على أرض الواقع، حيث أظهر اختبار القوة في المعركة بين أبي الأعور والأشتري، حين التقيا قبل صفين، ثم معركة الماء الأولى، ثم معركة الماء الثانية: أن مفاتيح النصر بيد علي «عليه السلام»، وأن هذه الأحداث الثلاث قد بينت: أن علياً «عليه السلام» هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يصنع من الضعف قوة تضرب، وتأتي بالنصر مرة بعد أخرى..

وهذا أمر لا يمكن إلا أن يرعب معاوية ومن معه.. ويعرفهم أن معاوية قد خدعهم، وأوقعهم مأزق لا يعرفون كيف يمكنهم الخروج منه..

على أن ما جرى كانت له فائدة أخرى، من حيث إسهامه في إدراك الأشعث لحسن تقدير أمير المؤمنين «عليه السلام» للأمور،



ودقة ملاحظته لما تختزنه من دلالات، ومعرفته لما هو خطأ وصواب منها.

حيث أشار «عليه السلام» إلى أمور عديدة، أظهرت الوقائع صوابية قوله فيها، وهي:

1 - إنه «عليه السلام» قد عرف أن الخط الذي كتبت به الرسالة هو خط معاوية.

2 - عرف أن القضية لا تعدو كونها مكرراً، ومكيدة من معاوية.

3 - عرف إن المقصود هو إزالة أصحاب علي «عليه السلام» عن موضعهم.

4 - أعلمهم أن ما يعالجه معاوية لا يستقيم له، ولو أنفق أموال أهل الشام.

5 - إن المطلوب منهم هو أن يلهو عما يفعله معاوية.

6 - إن تصرفهم هذا وتركهم لموضع نزولهم يظهر ضعفهم أمام عدوهم.

7 - إنهم بتصرفهم هذا يظهرون أن قائدهم لا يقوى على تنفيذ قراراته، وأنه يغلب على رأيه. وذلك يطمع عدوهم بهم.

## الباب الثاني:

قبل أن تبدأ الحرب..

الفصل الأول : علي × يبطئ عن الحرب..

الفصل الثاني: أبو هريرة.. وأبو الدرداء بروايتهم..

الفصل الثالث: سليم يروي الوساطة بالتفصيل..

الفصل الرابع: بحوث حول الوساطة..



الفصل الأول:

علي × يبطئ عن الحرب..



## رسل.. واحتجاجات:

قال المنقري، وقريب منه ورد عند ابن أعثم:

ومكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من قبل معاوية أحد، وجاء عبيد الله بن عمر، فدخل على علي في عسكره فقال: أنت قاتل الهرمزان، وقد كان أبوك فرض له في الديوان، وأدخله في الإسلام؟!!

فقال له ابن عمر: الحمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الهرمزان، وأطلبك بدم عثمان بن عفان.

فقال له علي: لا عليك، سيجمعي وإياك الحرب غداً.

ثم مكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية، ولا يرسل إليه معاوية. ثم إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، [وشبث بن ربيع التميمي]، فقال: اتتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله عز وجل، وإلى الطاعة والجماعة، وإلى اتباع أمر الله تعالى.

فقال له شبيب: ألا نطمعه في سلطان توليه إياه، ومنزلة تكون به له أثره عندك إن هو بايعك؟!!

قال علي: انتوه الآن فالفقه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه.. وهذا في شهر ربيع الآخر.

فأتوه فدخلوا عليه، فحمد أبو عمرة بن محسن الله وأثنى عليه وقال: «يا معاوية، إن الدنيا [غدارة غرارة، جائرة، و] عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عز وجل مجازيك بعملك، ومحاسبك بما قدمت يدك، وإنني أنشدك بالله أن تفرق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها».

فقطع معاوية عليه الكلام، فقال: هلا أوصيت صاحبك؟!!

فقال: سبحان الله، إن صاحبي ليس مثلك، إن صاحبي أحق البرية في هذا الأمر في الفضل والدين، والسابقة، والإسلام، والقراية من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال معاوية: فتقول ماذا؟!!

قال: أدعوك إلى تقوى ربك، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق، [والدخول فيما دخلت فيه المهاجرون والأنصار والتابعون]، فإنه أسلم لك في دينك، وخير لك في عاقبة أمرك.

قال: ويطل دم عثمان؟! لا والرحمن لا أفعل ذلك أبداً. [وما لكما ولا لصاحبكما عندي إلا السيف! فأخرجوا عني.

قال: فوثبا قائمين، والتفت إليه سعيد فقال: والله يا بن هند! لتغلبن

سيوف صاحبنا ما تود أن أمك هند لم تلدك، ولم تكن في العالمين!  
فقال معاوية: يد الله فوق يدك].

### وحسب نص المنقري:

قال: فذهب سعيد يتكلم، فبدره شبت فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:  
يا معاوية، قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه لا يخفى علينا ما  
تقرب وما تطلب، إنك لا تجد شيئاً تستغوى به الناس، وتستميل به  
أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم إلا أن قلت لهم: قتل إمامكم مظلوماً،  
فهلما نطلب بدمه، فاستجاب لك سفهاء، طغام، رذال. وقد علمنا: أنك  
قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل بهذه المنزلة التي تطلب.

ورب مبتغ أمراً وطالبه يحول الله دونه.

وربما أوتى المتمنى أمنيته، وربما لم يؤتها.

ووالله مالك في واحدة منها خير.

والله لئن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالاً، ولئن أصبت ما  
تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلي النار.

فاتق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله.

قال: فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد.. فإن أول ما  
عرفت به سفهك وخفة حلمك - قطعك على هذا الحسين الشريف سيد  
قومه منطقه، ثم عتبت بعد فيما لا علم لك به.

ولقد كذبت ولويت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما  
وصفت  
وذكرت.



انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف».

قال: وغضب. فخرج القوم وشبث يقول: أفعلينا تهول بالسيف،  
أما والله لنعجلنه إليك.

فأتوا علياً «عليه السلام» فأخبروه بالذى كان من قوله - وذلك في  
شهر ربيع الآخر (1).

**ابن عمر قاتل الهرمزان:**

**1 - تقدم:** أن علياً «عليه السلام» حين دخل عليه عبيد الله بن  
عمر في صفين، ذكره بقتله للهرمزان، بالرغم من مرور حوالي  
خمس عشرة سنة على هذه الحادثة..

**وملخص هذه القضية كما يلي:**

إن عبيد الله بن عمر حين قتل أبوه بادر إلى الهرمزان، فقتله،  
وقتل جفينة العبادي وبنت أبي لؤلؤة.

وطالب علي «عليه السلام» عثمان بالقود من عبيد الله، فرفض  
ذلك عثمان، محتجاً بأنه لا يريد زيادة هموم الناس بقتل عمر، ثم بقتل  
ابنه بعده.

فرد علي «عليه السلام» هذه الحجة: بأن الحدود لا تسقط بمثل

---

(1) راجع ما تقدم في: صفين للمنقري ص 186 - 188 والفتوح لابن أعثم ج 3  
ص 23 و 24 و (طدار الأضواء) ج 3 ص 19 - 21 وتاريخ الأمم والملوك  
ج 4 ص 573 والكامل في التاريخ ج 2 ص 187.

هذه التعللات. فإن الله تعالى هو الذي أمر بالقود.. ولا عبرة بهموم الناس فيها.

فأدعى عثمان: أن الهرمزان رجل غريب، لا ولي له، وهو - بصفة كونه خليفة - ولي من لا ولي له، وقد عفا عن قاتله بحكم ولايته هذه..

فرد عليه الإمام «عليه السلام»: بأنه ليس للإمام أن يعفو عن حق يتعلق بالمخلوقين.

كما أن عبيد الله قد قتل من قتل في إمرة غيره، وقد حكم الوالي الذي حصل ذلك في إمارته بقتل عبيد الله قصاصاً.

كما أن الهرمزان الذي كان رجلاً فارسياً، وكان ملك تستر، كان له أولياء، فلماذا لا يعطي الأمان لهم، ليحضروا، فإما أن يعفوا، وإما أن يطالبوا بالقود، فما معنى أن يدعي عثمان: أنه غريب ولا ولي له، ما دام أن الولي موجود، ويمكن الوصول إليه، إذ لا يشترط الحضور الفوري، وفي نفس اللحظة..

ولكن عثمان أصر على موقفه، فلما رأى علي «عليه السلام» إصرار عثمان على تعطيل حدود الله أقسم أن يأخذ حق الله من عبيد الله، وإن رغم أنف من رغم.

فلما رأى عثمان ذلك استدعى عبيد الله ليلاً، وأمره بالهرب من علي «عليه السلام»، وأعطاه كتاباً يقطعه فيه قرية من قرى الكوفة..

وهي القرية التي تسمى بـ: «كويفة ابن عمر»<sup>(1)</sup>، فلم يزل عبيد الله بها حتى ولي علي «عليه السلام» الخلافة، ففر إلى معاوية خوفاً منه<sup>(2)</sup>.

وكان عبيد الله قد قتل الهرمزان غدراً حيث دعاه ليمضي معه، لينظر إلى فرس كانت لابن عمر، فمضى وعبيد الله خلفه، فضربه بالسيف، وهو غافل فقتله<sup>(3)</sup>.

وقد جاء ما فعله عثمان مصداقاً، أو تطبيقاً لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنما هلك الذين من قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد إلخ..»<sup>(4)</sup>.

- 
- (1) راجع: معجم البلدان ج 4 ص 496.
- (2) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 59 - 61 و ج 9 ص 54 والشافعي ج 4 ص 303 - 305 وتلخيص الشافعي ج 4 ص 123 - 125 وكتاب الجمل ص 175 و 176 و راجع: تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 163 و 164 والمغني ج 20 ق 2 ص 56 والأخبار الطوال ص 161 و 178 وأنساب الأشراف ق 4 ج 1 ص 510.
- (3) راجع: فتوح البلدان للبلاذري ص 374.
- (4) السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 254 و راجع: الكافي ج 7 ص 254 ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 74 والمستدرک للحاكم ج 4 ص 379 وعن صحيح البخاري ج 8 ص 16 وعن صحيح مسلم ج 11 ص 186 و 187 و سنن أبي داود ج 4 ص 132 و مسند أحمد ج 3 ص 386.

### عمر أدخل الهرمزان في الإسلام:

**وتقدم:** أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال لعبيد الله بن عمر: إن أباه قد أدخل الهرمزان في الإسلام..

ونحسب أنه «عليه السلام» لا يقصد أن الهرمزان أسلم على يد عمر بن الخطاب.. لأن عبارة الدينوري في الأخبار الطوال تقول: إنه «عليه السلام» قال له: «أنت قاتل الهرمزان، وقد كان أسلم على يدي عمي العباس، وفرض له أبوك في ألفين»؟! (1).

**فعل مراده:** أن عمر قد قبل إسلام الهرمزان، ويدل على أنه قد اعتبره مسلماً: أنه قد فرض له في الديوان في جملة المسلمين..

### علي × وقاتل الهرمزان:

**1 -** يبدو لنا: أن ابن عمر لم يأت إلى علي «عليه السلام» كرسول من قبل معاوية، ولم يأت إليه ليحتج عليه في أمر عثمان، فإنه كان أعجز من ذلك، ولكنه جاء ليستطلع رأي أمير المؤمنين «عليه السلام» فيه، وهل لا يزال عازماً عن الإقتصاص منه، أم أن الأحداث المتعاقبة قد شغلته عنه، وأنسته موضوع القود، أو أنه على الأقل لم يعد يهمله أمره؟!!

ولعله كان يأمل أيضاً أن يحصل على عفو من علي «عليه

(1) الأخبار الطوال ص 169.

السلام» مقابل تخليه عن معاوية..

ولكنه وجد علياً «عليه السلام» كما تركه، مصمماً على إجراء حكم الله فيه، بل هو لم يمهل، ولم يبلعه ريقه، حتى ذكر له هذا الأمر، وأوضح له أن مرور الأيام، وتعاقب الأحداث، وتقلبات الأزمان، لا يلغي أحكام الله سبحانه..

2 - إن الذي جرأ ابن عمر على الدخول على أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الأمان المعلن، الذي يسمح بتردد الرسل بين الفريقين، وبعقد الاجتماعات بين الفريقين لأجل البحث عن الحجج والمبررات للحرب، وعن سبل تحاشيها إن توفرت النوايا الحسنة والصادقة لذلك..

وكان عبيد الله يعلم أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لن يقدم على الإقتصاص منه، لأن ذلك سيعطي المبرر لمعاوية لإشعال نار الحرب. وادعاء أن علياً «عليه السلام» قد قتل الرسول، ونقض الأمان والعهد..

كما أنه سيدعي الذي دعا علياً «عليه السلام» لقتل عبيد الله هو بغضه لأبيه عمر بن الخطاب، وليس إجراء حكم الله فيه. فإذا قتل عبيد الله في الحرب، فإنه يكون قد نال جزاءه لبغيه على إمامه، وينال جزاءه عند الله لقتله امراً مسلماً بغير حق.. ولا يعطي قتله كذلك أي مبرر لمعاوية للإفتراء على أمير المؤمنين «عليه السلام» بشيء، ولا يمكنه من استغلال دمه للإضرار بالمسلمين.

3 - إنه «عليه السلام» قد كلم عبيد الله بن عمر بما أوضح له أنه لا مناص من الإقتصاص منه، وأن هذا الحكم ليس من بنات أفكار أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا هو مما تفرد به دون غيره.. بل كان عمر بن الخطاب نفسه هو الذي وضع الأساس لهذا القرار، حين أدخل الهرمزان في الإسلام. وقد أعطى الدليل القاطع على ذلك، بأنه فرض له في ديوان المسلمين في ألفين..

فاعتراف عمر بإسلام الهرمزان، يؤكد على أن عبيد الله قد قتل امرأ مسلماً، وقد قتله غدراً من دون أن يقدم عذراً، أو دليلاً، أو شاهداً يبرر له ما أقدم عليه، كما أنه لم يستند في ذلك إلى حكم حاكم، أو قضاء قاض، بل حكم أبوه عليه بأنه إن لم يأت بشاهد يشهد على الهرمزان بارتكاب جريمة، فلا بد من قتل قاتله..

فإن كان لعبيد الله اعتراض، فليعترض على أبيه، أولاً..

**هل هذا استهزاء بأحكام الله!؟:**

إن عبيد الله قد واجه هذا الحكم الإلهي الثابت عليه باعتراف أبيه بالذات، بما يشبه السخرية والإستهزاء بأحكام الشريعة، فقد حمد الله تعالى الذي جعل علياً «عليه السلام» يطلبه بدم الهرمزان، وجعله هو يطلب علياً «عليه السلام» بدم عثمان، فقد تضمن كلامه هذا أنواعاً من الباطل، فلاحظ ما يلي:

**أولاً:** كيف يفرح إنسان، ويحمد الله على أنه قتل مسلماً، وصار مطلوباً بدمه!؟ أليس الأجدر به أن يبقى مهموماً مغموماً منكسراً نادماً

على الجريمة التي اقترفها.

**ثانياً:** ادعى أن علياً «عليه السلام» مطلوب بدم عثمان، وهي دعوى باطلة، أساسها التزوير، والإتهام الباطل.. أما قتل عبيد الله للهرمزان، فهو حقيقة واقعة، يقربها ولا ينكرها عبيد الله..

**ثالثاً:** إن عبيد الله بن عمر ليس ولي دم عثمان، ليكون هو الطالب بدمه، ولم يكن قاضياً، ولا إماماً مبسوط اليد، وقد بايعه الناس، ليكون هو المتولي لإقامة الحدود، وإجراء الأحكام.. فما معنى ادعائه أن الله تعالى جعله طالباً بدم عثمان؟!!

**رابعاً:** إن طلب علي «عليه السلام» بدم الهرمزان صحيح، لأن علياً «عليه السلام» إمام منصوب من قبل الله ورسوله وقد بايعه الناس بأمر من الله ورسوله، بالإمامة والولاية في يوم الغدير.. كما أنه مجمع عليه ومبايع له من أهل بدر، ومن عامة المهاجرين والأنصار بعد قتل عثمان، وأصبح هو الخليفة الفعلي، المبسوط اليد، الذي يجب أن يتولى إجراء الحدود، والأحكام.

ومن جملة ما جعله الله تعالى له: الإقتصاص من القتلة والمجرمين، وإجراء أحكام الله فيهم، أمثال عبيد الله بن عمر بن الخطاب..

**ما يدعو إليه علي X:**

وحين أرسل أمير المؤمنين «عليه السلام» بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس، وشبث بن ربعي إلى معاوية طلب منهم

أن يدعوهُ إلى ما يلي:

1 - إلى الله عز وجل.

2 - إلى الطاعة.

3 - إلى الجماعة.

4 - إلى اتباع أمر الله تعالى..

**ونسجل هنا:**

**أولاً:** إنه «عليه السلام» لم يطلب من معاوية شيئاً يرتبط بشخصه «عليه السلام»، فلا مجال لادعاء أن استحكام العداء بينهما يوجب أن تفهم هذه المطالب التي ترتبط بالشخص نوعاً من الإخضاع المذل، الذي تأنف منه النفوس، مع أن المطلوب في مثل هذه الحالات، من أجل حقن الدماء هو تجاوز الأمور الشخصية، والتأني والرفق، وعدم التلويح بشيء من هذا القبيل، لأنه يكون نقضاً للغرض..

**ثانياً:** إنه «عليه السلام» دعاه أولاً إلى الله عز وجل، بمعنى أن يكون يدخل في رحابه سبحانه، ويتخلى عن أطماعه الدنيوية، ويلتمس ما عنده تعالى من مثوبة وزلفى.

**ثالثاً:** إنه دعاه أخيراً إلى مجرد اتباع الأوامر الإلهية، ليكون هذا بمثابة الرضا منه بأضعف الإيمان، وأقل المطالب، فإنه إن كان يستصعب جهاد نفسه إلى حد التخلي عن الدنيا وزخارفها ولذاتها، فلا أقل من أن يتقيد بحدود الشريعة فيما يمارسه من قول وفعل.. وليكن طلبه لدنياه ولملذاتها في ضمن هذه الحدود، فلا يتعدها إلى



المعاصي، والعدوان على الناس في حقوقهم التي جعلها الله تعالى لهم. رابعاً: طلب منه أن يلتزم بالجماعة، ولا ينحو نحو التسبب بالفرقة، فإن يد الله مع الجماعة، وهذا طلب ترضاه العقول، وتستحسنه وتسكن إليه النفوس، لأنه يشعرها بالقوة والأمن، ويفسح المجال أمام السعي لتحسين ظروف الحياة، وحل مشكلاتها، والرقي بها إلى ما ينعش الآمال، ويرضي الطموحات..

خامساً: طلب منه أن يلتزم خط الطاعة لولي الأمر، لأن فتح باب العصيان يفسد النظام العام، ويقعد الأمة عن تحقيق آمالها، ويطمع بها الأعداء، ويشيع الإختلاف والفوضى..

### ألا نطمعه في سلطان؟!:

وقد عرض شيبث بن ربعي على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يطمع معاوية في سلطان، أو في منزلة عنده «عليه السلام».. ولكن علياً «عليه السلام» لم يرد التعليق على هذا العرض، واكتفى بالطلب منهم أن يقتصروا في مهمتهم على ما أوصاهم به، لأن المطلوب أولاً هو بيان الحق، وتمييزه عن الباطل، والحصول على اعتراف به، وقبول بالإنصياع له.

وأما الدخول مباشرة في المساومات، وإثارة الشهية للمقامات والمناصب والإمتيازات، فمن شأنه أن يطيح بالحق، لأنه قد يوهم الطرف الآخر بأن له حقاً بالفعل، وأن المطلوب منه هو التنازل عن بعضه..

ولو فرض أن هذا التوهم لم يحصل، فإن الطرف الآخر، قد يستفيد من عروض كهذه في تضليل الناس، وإيهامهم، بأن هذه العروض تدل على أنه له حقاً، وأن هذه العروض بمثابة اعتراف ضمنى به..

بل إن عروضاً كهذه قد تجعل الطرف الآخر يتخيل أنه في موضع القوة، وأن بإمكانه أن يتصلب في مواقفه ليحصل على المزيد.

### فعل معاوية يناقض قوله:

وما أشد قبح التناقض الشنيع الذي وقع فيه معاوية في مجلس واحد، فإنه حين تكلم أبو عمرة بن محسن الأنصاري، وحذره من الإغترار بالدنيا، ومن أن يفرق جماعة هذه الأمة، ويسفك دماءها بينها قطع معاوية عليه الكلام، قائلاً: هلاً أوصيت صاحبك؟! يعني علياً «عليه السلام»، فبين له أبو عمرة الفرق بينه، وبين علي «عليه السلام»..

ثم لما قطع شيبث بن ربعي كلام سعيد بن قيس، بادر معاوية إلى التشنيع عليه بقوله: «إن أول ما عرفت به سفهك، وخفة حلمك، قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه إلخ..».

فإن كان قطع الكلام على الحسيب الشريف سيد قومه سفهاً، وخفة حلم وعقل، فإن معاوية نفسه قد قطع على رجل حسيب شريف، وسيد في قومه منطقه، فهل يرضى منهم أن يقولوا له: قد عرفنا بذلك سفهك، وقلة حلمك، وعقلك؟!!

أم أن باء معاوية فقط هي التي تجر. أما باء غيره، فلا تجر، ولا تنفع، ولا تضر؟!!

نقول هذا.. لا لأننا نرى أن ما فعله شبت بن ربي كان أمراً مرضياً، ولا غبار عليه، فإن شبت بن ربي قد أخطأ كما أخطأ معاوية، ولم يكن من أهل الكرامة والدين، بدليل أنه صار من الخوارج، ثم حارب الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء.. وإنما أردنا أن نبين تناقض أعداء أمير المؤمنين «عليه السلام» في مواقفهم وما هم عليه من سوء الأدب والوقاحة، وقلة الدين..

**علي × ليس مثلك يا معاوية:**

**وقد تقدم:** أن أبا عمرة الأنصاري ذكر لمعاوية: أن علياً «عليه السلام» ليس مثل معاوية، لأنه «عليه السلام» أحق البرية في الخلافة، استناداً إلى خمسة أمور يمتاز بها عن الناس كلهم، وهي:

1 - الفضل.

2 - الدين.

3 - السابقة.

4 - الإسلام.

5 - القرابة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم يعترض معاوية على قوله هذا، ولا شكك، ولا ناقش فيه.. كما أن معاوية لم ينكر أن الذين بايعوا علياً «عليه السلام» هم:

1 - المهاجرون.

2 - الأنصار.

3 - التابعون.

ولم يجد معاوية أمامه ما يتذرع به لرفض الإستجابة للحق سوى ادّعائه أن دخوله مع علي «عليه السلام» سيؤدي إلى أن يُطَلَّ دم عثمان.. مع أنه لم يكن يملك برهاناً على ذلك، لا سيما وأنه لم يسلك الطرق الصحيحة والشرعية في المطالبة بإجراء الحكم الشرعي في هذا الأمر، والعمل وفق الأصول والضوابط التي يرضاها الله سبحانه في قضايا الترافع والمحاكمات في مثل هذه القضايا..

لأنه كان يتعمد الباطل في هذا الموضوع، ويريد أن يجعله ذريعة لتحقيق مآرب أخرى.. وإلا فإن معاوية ليس ولي دم عثمان، وإنما أولياء دمه أبناؤه، وهم أحياء يرزقون.. هذا عدا عن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جعل علياً «عليه السلام» في يوم الغدير أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلي «عليه السلام» هو ولي دم عثمان.

كما أن قاتل عثمان هو طلحة وعائشة وجماعات آخرون كانوا قد أجليوا عليه، ولا سبيل إلى تحديدهم ومعرفتهم بالأسماء.. فلماذا يصر معاوية على اتهام شخص علي «عليه السلام» وشخص عمار والأشتر بهذا الأمر، ويريد أن يقتل غير القاتل؟! بل يريد أن يقتل من حاول مساعدة عثمان على التخلص من ورطته، وأرسل ولديه لمساعدته، فأرجعهما عثمان إليه!؟

بل إن معاوية نفسه قد أبطأ عنه بالنصر، وأحب له القتل..  
 والتأمل في كلمات معاوية في جواب أبي عمرة الأنصاري،  
 وشبث بن ربعي يعطي: أنه قد فشل فشلاً ذريعاً معهما، حيث لم  
 يستطع أن يسجل ولو جواباً واحداً عن أية نقطة أثرت معه، فلجأ إلى  
 الشدة والعنف، والتهديد، وإظهار الغضب، والإستفادة من الألفاظ  
 الجارحة..

### عرض القرآن على أهل الشام:

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم، أن علياً  
 قال: من يذهب بهذا المصحف إلى هؤلاء القوم، فيدعوهم إلى ما فيه؟!  
 فأقبل فتى اسمه سعيد فقال: أنا صاحبه.  
 ثم أعادها، فسكت الناس، وأقبل الفتى فقال: أنا صاحبه.  
 فقال علي: دونك.

فقبضه [بيده]، ثم أتى معاوية فقرأه عليهم، ودعاهم إلى ما فيه،  
 فقتلوه.

وزعم تميم أنه سعيد بن قيس (1).

### ونقول:

1 - نحن في غنى عن التعليق على هذا الحدث. فقد كان علي

---

(1) صفين للمنقري ص 244 و 245.

«عليه السلام» قد فعل نظير هذا في حرب الجمل أيضاً.. وقد مضى لنا بعض الكلام فيه هناك..

2 - لا نستبعد أن يكون «عليه السلام» قد كرّر ذلك في صفيين أيضاً.. ولا نشك في أنه «عليه السلام» كان عارفاً بنتيجة هذا العرض سلفاً، لوجود قرائن عديدة تؤكد لنا ذلك.. ونذكر منها:

**ألف:** إنه «عليه السلام» كان عالماً بما يكون من الناكثين، والقاسطين والمارقين، من إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» له وللأمة بأمرهم، وبما يكون منهم، وبكثير من أحوالهم.. وكان «عليه السلام» يخبر بتفاصيل ودقائق ذلك قبل حصولها..

**ب:** إنه «عليه السلام» كان يعرف معاوية، وابن العاص، وسائر بني أمية، ومن معهم ونفسياتهم، وطموحاتهم، وما يدبرونه من مؤامرات، وإلى ما يسعون له.. ويعرف أساليبهم، ومدى التزامهم الديني، ومدى احترامهم للقيم وللمبادئ، وللقرآن، ومدى صلتهم به، وحقيقة نظرهم للقرآن وللرسول وللإسلام والإيمان بصورة عامة. فلم يكن «عليه السلام» يشك في أنهم سوف يرفضون حكم القرآن بكل قوة وتصميم..

**ج:** إنه «عليه السلام» كان قد احتج هو وكثير من أصحابه عشرات إن لم يكن مئات المرات بأدلة كثيرة، لا يمكن لأحد ردها، أو التشكيك فيها. وتواصلت الإحتجاجات وتتابعت أشهراً وسنوات، ولكنها لم تثن عزمهم عن مواصلة التحدي للحق وأهله..

3 - إنه «عليه السلام» أراد أن يسجل على فريق القاسطين رفضهم القبول بحكم القرآن بهذه الطريقة اللافتة للنظر، التي كشفت حقيقتهم، فبادروا إلى تصرف أرعن بفضيحة ما بعدها فضيحة لهم، حيث أقدم القاسطون على انتهاك حرمة القرآن، بصورة فظيعة وفجيعة.. لكي تظهر هذه الصورة وجههم الحقيقي، لأنها ببشاعتها الظاهرة سوف تبقى في أذهان الناس، ويقارنوا بينها وبين الصورة التي سوف تكرر فضيحة أخرى لهم، في عدوانهم المعنوي على القرآن باتخاذ وسيلة لخداع الناس، والمكر بهم، فإنهم حين أنشبت الحرب فيهم أنيابها، رفعوا هم المصاحف على رؤوس الرماح، وطلبوا التحكيم، مكرراً منهم بأهل الحق، وذراً للرماد في العيون، وكيداً منهم يستبطن السخرية والإستخفاف بالقرآن وأهله..

4 - ما ذكرته الرواية، من أن الفتى أخذ القرآن بيده، ثم أتى معاوية فقراه عليهم.. لا يخلو من حزازة في العبارة، إذ من غير المعقول أن يكون ذلك الفتى قد قرأ القرآن كله على معاوية وأصحابه، فإما أن يكون قد قرأ عليهم كتاباً كان قد أعطاه إياه علي «عليه السلام» أو يكون قد قرأ آيات معينة من القرآن هي التي تحل المشكلة بين القاسطين، وبين علي «عليه السلام».

5 - بالنسبة لما زعمه بعضهم من أن المراد بالفتى الذي حمل القرآن إلى معاوية وأصحابه، فقتلوه هو سعيد بن قيس، نقول:  
لا ريب في أنه اشتباه منه، لأن سعيد بن قيس قد بقي يقاتل جيش

معاوية بشراسة، ويسجل المواقف المشرفة إلى آخر الحرب، وله جولات وصولات ومواقف جمّة، حتى في موضوع التحكيم فراجع. والقول بأن سعيد بن قيس شخص آخر يحتاج إلى تصريح وتوضيح.

**يسقي أهل الشام ويبطئ عن الحرب:**

**قال المعتزلي:**

«لما ملك أمير المؤمنين «عليه السلام» الماء بصفين، ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالة لقلوبهم، وإظهاراً للعدالة، وحسن السيرة فيهم، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد.

واستتبأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين، خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً؟! ائذن لنا في القتال، فإن الناس قد قالوا!!

قال لهم «عليه السلام»: ما قالوا!؟

فقال منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام. فقال «عليه السلام»: ومتى كنت كارهاً للحرب قط! إن من العجب حبّي لها غلاماً ويفعاً، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر، وقرب الوقت!

وأما شكّي في القوم، فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلا القتال،



أو أن أعصى الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله». ولكنني أستأني بالقوم، عسى أن يهتدوا، أو تهتدي منهم طائفة، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لي يوم خيبر: لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس(1). ومن كلام له «عليه السلام»، وقد استبطن أصحابه إنه لهم في القتال بصفين:

أما قولكم: أكلّ ذلك كراهية الموت؟! فوالله ما أبالي، دخلت إلى الموت، أو خرج الموت إلي. وأما قولكم شكاً في أهل الشام! فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة، فتهتدي بي، وتعشوا(2) إلى ضوئي. فهو أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها(3).  
**ونقول:**

لقد علمنا أمير المؤمنين «عليه السلام» في موقفه هذا، وفي كلماته هذه يريد أن يعطينا، دروساً كثيرة، نذكر منها ما يلي:

- 
- (1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 13 و 14 وبحار الأنوار ج 32 ص 447.
- (2) يَعْشُو: يُبْصِرُ بِهَا بَصِراً ضَعِيفاً.
- (3) نهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة رقم 55 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 12 وبحار الأنوار ج 32 ص 556 و 464.

### البطش بالمنشقين:

إن ما نعرفه عن الناس في حربهم وسلمهم، هو أنهم إذا خرجت طائفة من الأمة عن طاعة الحاكم، فإن كانت ضعيفة، فإن الحاكم يبادر إلى حسم الأمر معها بقوة السلاح، لكي لا يشتد عودها، ويستفحل أمرها، وتقوى شوكتها..

أما إن كانت ذات شوكة وقوة، فإنه يحاول إجراء مفاوضات معها لإقناعها بالعودة عن قرارها. فإن فشلت المفاوضات بادر إلى تسديد الضربة القاصمة لها.

أما أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيعالج الأمور بطريقة تكاد تكون معاكسة لهذه الطريقة، فهو ليس فقط لا يبادر إلى البطش بمن أعلن خروجه عن طاعته قوياً كان أو ضعيفاً، وإنما هو يرى أنه لا مبرر للبطش به، بل عليه أن يتقبله، ويواصل بذل حقوقه له. ولا يقطع الصلة به، بل يعمل على نصيحته، وفتح أبواب المعرفة له، وبيان مواضع الشبهة عنده، بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

بل إنه حتى حين يجمع ذلك المتمرد الناس حوله، فإنه لا يبادر إلى خيار العنف، بل يواصل مسيرة الموعظة، والإقناع، وإقامة الحجة والإستدلال..

وحتى حين يأتي بالجيوش في الحرب، وتصطف العساكر في ميدان القتال، فإنه لا يمكن أن يأذن لأصحابه بالقتال، ما دام أن هناك احتمالاً مهماً كان ضئيلاً بأن يهتدي إلى الحق بعض الناس، كثروا أو

قلوا، حتى الفرد الواحد، ويبقى منتظراً لذلك مهما طال به المقام، وأياً كانت المصاعب التي يواجهها، والمتاعب التي يتحملها..

وحتى حين ينقطع الأمل بهداية أحد، فإنه «عليه السلام» لا يكون هو المبادر، ولا يبدأ أحداً بقتال حتى يُبتدأ بالرغم من أنه «عليه السلام» هو المظلوم والمبغى عليه..

هذا هو نهج النبي «صلى الله عليه وآله»، ونهج علي «عليه السلام» والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. فهل ترى أحداً من غير مدرسة الإسلام، ومن غير مدرسة النبي وعلي «عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام» يسر على هذا النهج، ويلتزم بهذه المبادئ؟!!

**أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير  
المجامع**

**انذن لنا في القتال:**

**وقد حسب العراقيون:** أن مهمتهم التي جاؤوا من أجلها هي القتال، وتحقيق النصر، ثم العودة إلى بلادهم. ولذلك تحيروا من سكوت علي «عليه السلام» عن مبادأة المتمردين عليه بالقتال.

أما علي «عليه السلام»، فلم يات لمجرد القتال، بل جاء ليدافع عن الحق، ويصونه ويصون فكر وإيمان الناس.. فكان «عليه السلام» يرفق بالناس ويداري الأمور معهم، ويعطيهم المهلة ليفكروا وليتأملوا في عواقب ما يقدمون عليه، ويعيدوا النظر فيما استندوا في موقعهم

إليه، وليتبلور شعور لديهم بأنه «عليه السلام» لم يأت لقتلهم، وإنما جاء لدفع شرهم ولإصلاح أمرهم..

فهدف علي «عليه السلام» يختلف عن هدف أكثر الناس الذين جاؤا معه، ولذلك تاهوا في احتمالاتهم وشكوكهم، وذهبت بهم الظنون يميناً وشمالاً. وتوهموا تارة أنه شاك في صوابية موقفه، وتوهموا أخرى: أنه يكره الحرب كراهية للموت، حتى احتاج «عليه السلام» إلى بيان سقوط هذه الأوهام، وخطل تلك الظنون..

**واللافت:** أننا لم نسمع صوت القائلين بأنه «عليه السلام» إنما يمهلهم لحكمة ومصلحة يراها.

مع أننا نعلم أنهم موجودون، ويبدو أن السبب في سلوكهم هذا أنهم ملتزمون خط الطاعة المطلقة لتوجيهاته «عليه السلام»، وأنهم مسلمون له، ولا يقدمون على أي شيء من دون إذنه وعلمه ورأيه.

أو أن السبب في سكوتهم: أن هذا الإتهام لعلي «عليه السلام» لم يكن يطرح في محيط الواعين والمخلصين، وأهل الرأي والعلم والحجى.. بل كان يطرح بين فئات لا تملك من الوعي للأمور، ومن المعرفة بعلي «عليه السلام» الشيء الكثير، فهم يتعاملون معه «عليه السلام» كما يتعاملون مع أي خليفة له في عنقهم بيعة، ويفهمون تدبيراته وتصرفاته وسياساته بسذاجة وبساطة، وفي نطاق ما عرفوه وألفوه من تصرفات وتدابير، وسياسات كانت لغيره من الحكام.

## علي × يعالج الظنون والأوهام:

## وقد عالج «عليه السلام» ظنون وأوهام الناس كما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» لم يبادر إلى شتم أولئك الذين ظنوا فيه أمراً يوجب نسبته إلى الكفر، أو إلى المعصية.. ولا شن عليهم حملة إهانة وتحقير، ولا بادلهم الإتهام بالاثام، ولا وصفهم بالجهل وسوء النية، بل سعى لإقناعهم بالدليل والشاهد، والبيان الهادئ والواضح، فعلمنا أن نستفيد من هذا درساً في الإعلام، ولا سيما فيما يرتبط بالاثامات الحساسة، وفي الأوقات الصعبة.

2 - لقد بين لهم «عليه السلام» أن ما زعموه، من أنه كان يكره الموت كراهية الحرب، ليس في محله، لأن الناس يعرفون: أنه كان في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» حليف السيف، وأليفه، وقد ضرب به في سبيل إقامة دين الله، والذب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن أهل الدين حتى سار ذكره في الآفاق. حتى لقد قال عمر: والله لولا سيفه (يعني علياً) لما قام عمود الإسلام(1).

3 - ثم بين «عليه السلام»: أن العادة جرت على أن الإنسان حين يكون في مقتبل العمر، وتصيح كل ملكاته، وغرائزه وطاقاته في أوج

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج12 ص82 وبحار الأنوار ج31 ص76 ومناقب أهل البيت للشيرازي ص451 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص227.

نشاطها وغاية نضجها، وتمام إقبالها على الاستفادة من لذائذ الحياة..  
يكون تعلقه بالحياة أشد، لأن إحساسه بلذائذها أقوى..  
ويرى أنه بالحياة ولذائذها أولى وأجدر.

أما إذا كبر سنه، ووهن عظمه، وخبث طاقاته، وذوت غرائزه،  
وانحسرت رغباته وشهواته، فإن عزوفه عن الدنيا يصير أبين  
وأظهر، وتخليه عنها أسهل وأيسر..

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» حين أظهر  
تعجبه من المعادلة التي استند إليها أولئك المتهمون بالشك أو بالخوف  
من الحرب، فقد قال: «ومتى كنت كارهاً للحرب قط، إن من العجب  
حبي لها غلاماً، ويفعاً، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر، وقرب  
الوقت»!! مع أن من يحب الحرب في شبابه يجب أن يزيد حبه لها  
حين يصير شيخاً، لا ان يكرهها.

**وهذا يعطي:** أن حاله «عليه السلام» كان مخالفاً للعادة التي  
جرت على حب البقاء وكراهة الموت في أيام الشباب، وسهولة  
التخلي عن الحياة في أيام الشيخوخة، وبعد نفاذ العمر، وقرب الوقت..

4 - وأما اتهامهم إياه «عليه السلام» بالتباطؤ عن القتال فكان  
لأجل شكه «عليه السلام» في حرب القاسطين، فهو أغرب وأعجب،  
فإن شكه هذا مساوق للخروج من الدين، لأنه تكذيب لله تعالى  
ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، ومعصية لهما، فإن رسول الله  
«صلى الله عليه وآله» هو الذي أخبره بالناكثين، والقاسطين،

والمارقين، وأمره بحربهم، فما معنى أن يتهموه بالشك بقول الرسول الذي يقول الله سبحانه عنه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)؟! (1).

وما معنى عدم مبادرته إلى طاعة الله ورسوله؟!!

وقد تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد عهد إليه بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، والله تعالى، يقول: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (2). ويقول تعالى: (..وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (3).

والسبب في أنه «عليه السلام» تارة يتحدث عن الكفر، وأخرى يتحدث عن المعصية هو:

أنه بملاحظة الشك في صحة ما أخبر به الله ورسوله، تجده «عليه السلام» يقول: إنه قلب الأمر ظهراً لبطن، فلم يجد إلا قتال هذه الفئات الثلاث، أو الكفر بما أنزل على محمد «صلى الله عليه وآله».. وبملاحظة أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهد إليه وأمره بقتالهم، تجده يقول: إنه «عليه السلام» ضرب الأمر ظهراً وبطناً، فلم

(1) الأيتان 3 و 4 من سورة النجم.

(2) الآية 12 من سورة التغابن.

(3) الآية 7 من سورة الحشر.

يجد إلا القتال، أو أن يعصي الله ورسوله..

5 - ثم ذكر «عليه السلام» لهم: أن تأنيه بالقوم له سبب آخر غير ما توهموه، وهو أن لا يقتل إلا من لا أمل في هدايته. وإدراك هذه الغاية ليس سهلاً، بل هو يحتاج إلى صبر وأناة، وبذل كل المحاولات، التي قد تفيد في الهداية، والكشف عن البصيرة لأي كان منهم، ولو كان رجلاً واحداً..

**والسبب في ذلك:** أن علياً «عليه السلام» هو المرآة التي تعكس الأهداف الإلهية، والسياسات الربانية..

**ومن المعلوم:** أنه تعالى رؤوف رحيم بعباده، ويريد ويحب لهم الهداية، ولا يرضى لهم الضلال والغواية، فكان لا بد من استنفاد الوسائل لذلك. فإن الناس في حال ضلالهم، وإن كانوا يستحقون القتل، ولكن رحمة الله اقتضت تأجيل ذلك، وبذل المحاولات لإنقاذهم من الضلال قبل فوات الأوان. فعسى ولعل، ولعل وعسى..

وقد ورد هذا المعنى في الأدعية الشريفة، فإن بعض فقراتها دلت على أن نفس ارتكاب الإنسان للذنب كاف في استحقاقه العقاب. والإستغفار بعد ذلك لا يرفع هذا الإستحقاق.. ولكن الله إنما يعفو عن ذلك المذنب المستغفر تفضلاً منه، ورأفة، ورحمة به.

ففي دعاء مروى عن الإمام السجاد، قال «عليه السلام»: «إن تعذبني فبذنوبي غير ظالم أنت، وإن تعف عني وترحمني فبجودك



وكرمك»(1).

والأوضح والأصرح قوله «عليه السلام» في دعاء آخر: «يا إلهي لو بكيت إليك حتى تسقط أشفار عيني، وانتحبت حتى ينقطع صوتي، وقمت لك حتى تنتشر قدمي، وركعت لك حتى ينخلع صلبي، وسجدت لك حتى تنفقا حدقتاي، وأكلت تراب الأرض طول عمري، وشربت ماء الرماد آخر دهري، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني، ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك، ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي.

وإن كنت تغفر لي حين أستوجب مغفرتك، وتغفو حين أستحق عفوك فإن ذلك غير واجب لي باستحقاق، ولا أنا أهل له باستيجاب، إذ كان جزائي منك في أول ما عصيتك النار، فإن تعذبني فأنت غير ظالم لي»(2).

وقال «عليه السلام» في دعاء آخر: «فأما العاصي أمرك، والمواقع نهيك، فلم تعاجله بنقمتك، لكي يستبدل بحاله في معصيتك حال الإنابة إلى طاعتك، ولقد كان يستحق في أول ما هم بعصيانك كل ما أعددت لجميع خلقك من عقوبتك.

(1) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين «عليه السلام» (أبطحي) ص388.

(2) الصحيفة السجادية الكاملة للإمام زين العابدين «عليه السلام» دعاؤه في

طلب الإستقالة من الذنوب وطلب العفو ص88 و 89.

فجميع ما أخرجت عنه من العذاب وأبطأت به عليه من سطوات  
النقمة والعقاب، ترك من حقك، ورضى بدون واجبك، فمن أكرم يا  
إلهي منك، و من أشقى ممن هلك عليك إلخ..»(1).

**علي × يطمع بهداية أعدائه:**

وقد ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه ما دفع الحرب يوماً  
إلا وهو يطمع أن تلحق به طائفة فتتهدي به، وتعشو إلى ضوئه.. أي  
تقصد ضوئه بالليل، كما في الجمهرة.

وقد صدق «عليه السلام» القول بالفعل، فإنه بعد انسلاخ المحرم  
أمر مرثد بن الحارث فنادى في أهل الشام عند غروب الشمس:

ألا إن أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول لكم: إني قد استدمتكم  
لتراجعوا الحق وتنبؤوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل،  
فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى حق، وإني قد  
نبذت إليكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين(2).

وهذه الكلمة المباركة تدل على أمور عديدة ذكرنا بعضها فيما  
سبق، ونذكر منها هنا ما يلي:

**أولاً:** إنها تدل على أنه «عليه السلام» لم يكن هو الساعي

(1) الصحيفة السجادية الكاملة للإمام زين العابدين «عليه السلام» دعاؤه في  
الإعتراف بالتقصير عن تأدية الشكر ص 187 و 188.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 10.

للحرب، والراغب فيها، بل كان يدفعها ويؤخرها آملاً في هداية الناس.. وذلك يدل على أن الراغبين في الحرب والساعين لها هم أعداؤه.

**ثانياً:** ذكرت النصوص أن عدداً من الناس قد ظهر لهم الحق..  
والتحقوا بعلي «عليه السلام» ومنهم على سبيل المثال:

**1 - ابن عم لعمر بن العاص.** وقد صرح أن من يريد معاوية إنما يريد ليحصل على دنياه، وأن معاوية يريد أن يستلب منهم دينهم(1).

**2 - ابن اخت شرحبيل بن السمط،** عرف أن معاوية قد خدع خاله شرحبيل، فقال في ذلك شعراً، فبلغ شرحبيل، فتوعده، فهرب إلى علي «عليه السلام» «وكاد أهل الشام أن يرتابوا»(2).

**3 - ابن الأقبل،** وهو صديق عمرو بن العاص هرب إلى علي «عليه السلام»، بعد أن اعترض على معاوية في قضية منع الماء عن أصحاب علي «عليه السلام»، فأغلظ له معاوية، فلحق بعلي(3).

**4 - شامي لحق بعلي «عليه السلام»** لما رأى معاوية يبيع بباب لدّ، وكان قد سمع من النبي «صلى الله عليه وآله» حديثاً يدل على كفر

(1) صفين للمنقري ص42.

(2) صفين للمنقري ص49 و 50.

(3) صفين للمنقري ص163 و 164.

من يبايع في هذا الموضوع(1).

5 - جماعة من القراء، فيهم شمر بن أبرهة الحميري، لحقوا بعلي «عليه السلام» في اليوم الخامس من شهر صفر، ففت ذلك في عضد معاوية، وأهل الشام.

6 - عبد الله بن عمر العنسي، كان من عباد زمانه، فإنه سمع من ذي الكلاع أنه كان قد سمع من عمرو بن العاص في أيام عمر: «أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وفي إحدى الكتبتين الحق، وإمام الهدى، ومعه عمار بن ياسر»(2).

فلما كانت صفين التقى ذو الكلاع بابن عمه أبي نوح، وكان مع علي «عليه السلام»، فسأله إن كان عمار معهم، فأخبره أنه معهم، وأنه جاد في قتالهم(3).

وهناك أشخاص آخرون لا حاجة لتتبع أسمائهم.

**وقد لاحظنا:** أن هؤلاء إنما يلجأون إلى علي «عليه السلام» من أجل دينه، واقتناعاً بحقه، ولكن هناك من ترك علياً «عليه السلام» وذهب إلى معاوية طمعاً بديناه، مثل: بشر بن عصمة المزني، وقيس

(1) صفين للمنقري ص 217.

(2) صفين للمنقري ص 222.

(3) صفين للمنقري ص 332 - 339.

بن قرة(1).

وذى نواس بن هذيم، وقيس بن زيد(2). وغيرهم..

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص28 و 29.

(2) صفين للمنقري ص270 و 285.

## الفصل الثاني:

أبو هريرة..  
وأبو الدرداء بروايتهم..



## البراء: إحتجاجات ومواقف:

قال المنقري: وخرج براء أهل العراق وبراء أهل الشام، فبسكروا ناحية صفاين في ثلاثين ألفاً، وبسكر علي الماء، وبسكر معاوية فوق ذلك، وبمشب البراء فيما بين معاوية وعلي، فيهم عبيدة السلماني، وعلقمة بن قيس النخعي، وعبب الله بن عببة، وعمار بن عبب القيس - وبب كان في بعض تلك السواحل - قال: فانصرفوا من بسكر علي فبخلوا على معاوية فبالوا:

يا معاوية، ما اللى بطلب؟!!

قال: أطلب بدم عثمان.

قالوا: ممن بطلب بدم عثمان؟!!

قال: من علي «عليه السلام».

قالوا: وعلي «عليه السلام» بقله؟!!

قال: نعم، هو بقله، وأوى بقله.

فانصرفوا من عببه، فبخلوا على علي، فبالوا: إن معاوية يزعم



أنك قتلت عثمان.

قال: اللهم لكذب فيما قال، لم أقتله.

فرجعوا إلى معاوية، فأخبروه، فقال لهم معاوية: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالاً.

فرجعوا إلى علي «عليه السلام» فقالوا: إن معاوية يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت ومالأت على قتل عثمان.

فقال: اللهم كذب فيما قال.

فرجعوا إلى معاوية، فقالوا: إن علياً «عليه السلام» يزعم أنه لم يفعل.

فقال معاوية: إن كان صادقاً فليمكننا من قتلة عثمان، فإنهم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده.

فرجعوا إلى علي «عليه السلام» فقالوا: إن معاوية يقول لك: إن كنت صادقاً، فادفع إلينا قتلة عثمان، أو أمكننا منهم.

قال لهم علي: تأول القوم عليه القرآن، ووقعت الفرقة، وقتلوه في سلطانه، وليس على ضربهم قود.

فخصم علي معاوية.

فقال معاوية: إن كان الأمر كما يزعمون فما له ابتز الأمر دوننا على غير مشورة منا، ولا ممن هاهنا معنا.

فقال علي «عليه السلام»: إنما الناس تبع المهاجرين والأنصار، وهم

شهود المسلمين في البلاد على ولايتهم وأمر دينهم، فرضوا بي وبايعوني، ولست أستحل أن أدع ضربَ معاوية يحكم على الأمة، ويركبهم ويشق عصاهم.

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال: ليس كما يقول، فما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر فيؤامروه. فانصرفوا إلى علي «عليه السلام» فقالوا له ذلك وأخبروه.

فقال علي «عليه السلام»: ويحكم، هذا للبدرين دون الصحابة، ليس في الأرض بدرى إلا قد بايعني وهو معي، أو قد أقام ورضي، فلا يغرركم معاوية من أنفسكم ودينكم(1).

### خمس وثمانون فرعة:

#### قال المنقري:

فتراسلوا ثلاثة أشهر، ربيعاً الآخر وجماديين، فيفزعون الفرعة فيما بين ذلك، فيزحف بعضهم إلى بعض، وتحجز القراء بينهم. ففزعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين فرعة، كل فرعة يزحف بعضهم إلى بعض ويحجز القراء بينهم، ولا يكون بينهم قتال.

#### موقف أبي الدرداء وأبي أمية:

قال: وخرج أبو أمية الباهلي، وأبو الدرداء، فدخلا على معاوية

(1) صفين للمنقري ص 188 - 190.

وكانا معه، فقالا: يا معاوية: علام تقاتل هذا الرجل، فوالله لهو أقدم منك سلماً، وأحق بهذا الأمر منك، وأقرب من النبي «صلى الله عليه وآله»، فعلام تقاتله؟!!

فقال: أقاتله على دم عثمان، وأنه أوى قتلته، فقولوا له: فليقدنا من قتلته، فأنا أول من بايعه من أهل الشام.

فانطلقوا إلى علي فأخبروه بقول معاوية، فقال: هم الذين ترون.

فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسر بلين في الحديد، لا يرى منهم إلا الحق، فقالوا: كلنا قتله، فإن شأؤوا فليروموا ذلك منا.

فرجع أبو أمامة، وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً من القتال.

حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن يبايع القراء علياً على القتال أخذ في المكر، وأخذ يحتال للقراء لكيما يحجموا عنه ويكفوا حتى ينظروا(1).

**ونقول:**

لا بأس بالنظر في الأمور التالية:

**القراء ثلاثون ألفاً:**

**وتقدم:** أن القراء الذين حضروا حرب صفين كانوا ثلاثين ألفاً.. وهذا رقم هائل، وهو خاص بمن حضر صفين، دون غيرهم ممن لم

---

(1) صفين للمنقري ص190.

يحضرها.. كما أنه إنما يتحدث عن خصوص الذين اعتزلوا الفريقين، ونزلوا في عسكر خاص بهم، دون الذين جاؤا مع الجيشين المتحاربين، ولم يعتزلوهما. ولعل أعدادهم في جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» كانت كبيرة جداً وتعد بالآلاف أيضاً..

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على شدة اهتمام الناس بحفظ القرآن وتلاوته..

### علامة استفهام حول القراء:

غير أن لنا ملاحظة حول هؤلاء القراء نحب تسجيلها، فإن اعتزالهم للفريقين أثار في نفوسنا عجباً!! فإن قارئ القرآن خصوصاً إذا كان قريباً من عهد النبوة، ويصادف في حياته الكثيرين من صحابة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» والتابعين لهم بإحسان، فإن من المفروض أن يكون قد سمع منهم الكثير من الأحاديث حول معاني الآيات، وسأل عنها، وعن أسباب نزولها، وعن الأشخاص الذين تحدثت عنهم، وعن تاريخ الرسول «صلى الله عليه وآله» وغزواته وحروبه، وعن أهل بيته، وأصحابه، وخصوصياتهم وأحوالهم.. وما إلى ذلك..

ومن البعيد جداً أن لا يكون هؤلاء القراء قد عرفوا الشيء الكثير عن علي «عليه السلام» وتضحياته، وجهاده، وموقعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأقواله في حقه، وفي فضله، وكان هو الذي التزم بنهجه من بعده..

وعرفوا الكثير عن معاوية الذي حارب الرسول «صلى الله عليه وآله» ونابذه، وكان من الشجرة الملعونة في القرآن، ولم يلتزم بنهجه من بعده.

إذن.. كيف نفسر موقف القراء هنا، وهم يرون أن الأمة تواجه خطراً هائلاً، ويجتاحها هذا البلاء العظيم، ولا يكون لديهم أثارة من علم يكون فيها الدواء الناجع، والقول الفصل، والقدر الكافي لديهم من المعرفة بالمحق من المبطل، وما يميزون به المخطئ من المصيب.. ولو فرض أن لهم بعض العذر في هذا الجهل الفظيع والذريع، فلماذا لا يرجعون إلى الأخيار الأبرار، والعلماء الكبار من البدرين وأصحاب بيعة الرضوان، ومن المهاجرين والأنصار.. ليسألوهم إن كان لديهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما ينير الدرب، وتنقشع به عنهم غياهب الجهل..

أو فقل: لماذا لا يلتحقون بعمار، أو ذي الشهادتين، وهاشم المرقال، وأمثالهم.. ويكونون معهم، وإلى جانبهم؟!  
**ألا يحق لنا بعد هذا الذي ذكرناه، وسواه أن نقول:**

إن هؤلاء كانوا من القراء، لا من العلماء، وإن قراءتهم للقرآن، وحفظهم له لا يعني وعيهم لمضامينه، ولا معرفتهم بمعانيه ومبانيه؟! بل هم ممن ينطبق عليهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

**جهل أم سذاجة؟!:**

والحوار الذي جرى للقراء مع علي «عليه السلام»، ومعاوية يظهر كيف أن القراء لم يجيبوا معاوية بحرف واحد على أي من دعاويه الظاهرة البطلان.. مع أن كثيرين من الناس حتى من هم مثل جرير البجلي، وشبث بن ربعي.. كانوا يفندون أقواله، ولا يرون أنهم بحاجة إلى الرجوع إلى علي «عليه السلام» وسماع أجوبتها منه، أو من ولديه، أو من ابن عباس، أو من عمار، أو من أي كان من الناس..

**وذلك إن دل على شيء، فهو يدل على أحد أمرين:**

**1 - إما أن القراء كان على درجة كبيرة من الجهل.**

**2 - أو على درجة أكبر من السذاجة..** وحيث إن هذا الفرض الثاني لا يمكن تصوره بالنسبة لهذا الحشد الهائل الذي يصل عدده إلى ثلاثين ألفاً، فإن الأمر ينحصر بمقولة: فشوَّ الجهل فيهم إلى حد ذريع ومريع..

**أبو أمامة، أو أبو هريرة؟!:**

**ذُكر في كتاب صفين للمنقري:** أن الذي جاء إلى علي «عليه السلام» مع أبي الدرداء هو أبو أمامة الباهلي، وكذا ذكر الدينوري. ولكن النص المذكور في الإمامة والسياسة، قد ذكر أبا هريرة، بدل أبي أمامة. ولعل أبا الدرداء ذهب إلى علي «عليه السلام» مرتين:

**إحداهما: مع أبي هريرة.**

## والأخرى: مع أبي أمامة.

قال ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة:

«وذكروا: أن أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص، وهو بصفين، فوعظاه وقالاه: يا معاوية، علام تقاتل علياً وهو أحق بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة؟! لأنه رجل من المهاجرين الأولين، السابقين بإحسان، وأنت طليق، وأبوك من الأحزاب.

أما والله ما نقول لك أن تكون العراق أحب إلينا من الشام، ولكن البقاء أحب إلينا من الفناء، والصلاح أحب إلينا من الفساد.

فقال معاوية: لست أزعم أنني أولى بهذا الأمر من علي [وإني لأعلم أن علياً لكما وصفتما]، ولكني أقاتله حتى يدفع إليّ قتلة عثمان.

فقالا: إذا دفعهم إليك ماذا يكون؟!!

قال: أكون رجلاً من المسلمين. [أدخل فيما دخل فيه الناس]

فأتيا علياً، فإن دفع إليكما قتلة عثمان جعلتها شورى.

[فقالا: يا هذا! فإننا نكفيك بهذا الأمر]

فقدما على عسكر علي، فأتاهما الأشر، فقال: يا هذان إنه لم ينزلكما الشام حب معاوية، وقد زعمتما أنه يطلب قتلة عثمان، فعمن أخذتما ذلك فقبلتماه؟! أعمن قتله فصدقتموهم على الذنب، كما صدقتموهم على القتل؟! أم عمّن نصره؟! فلا شهادة لمن جر إلى

نفسه!! أم عمن اعتزلوا، إذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله؟! أم عن معاوية وقد زعم أن علياً قتله؟!

انقيا الله، فإننا شهدنا وغبتما، ونحن الحكام على من غاب.

فانصرفا ذلك اليوم، فلما أصبحا أتيا علياً، فقالا له: إن لك فضلاً لا يدفع، وقد سرت مسير فتى إلى سفية من السفهاء [ومعه قوم سفهاء لا يباليون بما قالوا ولا بما قيل لهم]، ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان، فإن فعلت ثم قاتلك كنا معك.

قال علي: أتعرفانهم؟!

قالا: نعم.

قال: فخذاهم، فأتيا محمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر، والأشتر، فقالا: أنتم من قتلة عثمان، وقد أمرنا بأخذكم، فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل.

فقالوا: نحن قتلنا عثمان.

فقالا: نرى أمراً شديداً، ألبس علينا الرجل.

وإن أبا هريرة وأبا الدرداء انصرفا إلى منزلهما بحمص، فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان، فسألهما عن مسيرهما، فقصا عليه القصة، فقال: العجب منكما أنكما من صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أما والله لئن كفتما أيديكما ما كفتما ألسنتكما، أتأتيان علياً وتطلبان إليه قتلة عثمان، وقد علمتما أن المهاجرين والأنصار لو حرموا دم عثمان نصره، وبايعوا علياً على قتله، فهل



فعلوا؟!!

وأعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا، وقولكما لعلي: اجعلها شورى، واخلعها من عنقك، وإنكما لتعلمان أن من رضي بعلي خير ممن كرهه، وأن من بايعه خير ممن لم يبايعه، ثم صرتما رسولي رجل من الطلقاء، لا تحل له الخلافة.

ففسنا قوله وقولهما، فهم معاوية بقتله، ثم راقب فيه عشيرته»(1).

**وحسب نص ابن أعثم:**

ثم أقبل على علي بن أبي طالب فسلما عليه وقالوا: يا أبا الحسن! إن لك فضلاً لا يدفع وشرفاً لا ينكر، وقد سرت مسير من لا يشبهك إلى رجل سفيه ومعه قوم سفهاء لا يباليون بما قالوا ولا بما قيل لهم، وقد زعم معاوية أن قتلة عثمان عندك وفي عسكريك، فادفعهم إليه، فإن فعلت ذلك وقاتلك معاوية بعد ذلك علمنا أنه ظالم متعد!

فقال علي «عليه السلام»: إني لم أحضر عثمان في اليوم الذي قتل فيه، ولكن هل تعرفان من قتله؟!!

فقالوا: بلغنا أن محمد بن أبي بكر فيمن دخل عليه وعمار بن ياسر والأشتر وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلان وفلان.

فقال علي: فانطلقا إليهم فخذاهم.

(1) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج 1 ص 96 و 97 و (تحقيق الشيرازي)

قال: فأقبل أبو هريرة وأبو الدرداء إلى هؤلاء القوم فأخذاهم وقالوا لهم: أنتم ممن قتل عثمان، وقد أمرنا أمير المؤمنين بأخذكم!

قال: فوقع الصيحة في العسكر بهذا الخبر، فوثب من عسكر علي أكثر من عشرة (1) آلاف رجل في أيديهم السيوف وهم يقولون: «نحن كلنا قتلنا عثمان».

قال: فبقي أبو هريرة وأبو الدرداء متحيرين، وأنشأ رجل من أصحاب علي يقول:

الأذهب الخداع فلا خداع	وأبدي السيف عن طبق النخاع
أبا الدرداء لا تعجل علينا	وأنت أبا هريرة غير واعي
هلم للمشورة فانصفانا	فإن النصف حسن الاستماع
وقولا قول من جعلت إليه	حكومة نفسه غير الخداع
فقمتم قتل عثمان علينا	وهذا الأمر مكشوف القناع
أحاط به الرجال فحاصروه	ولو زجروا لكانوا نقع قاع
وكان المسلمون له شهودا	وما أهل المدينة بالبداع
فلم يهتف بنصرته منادي	ولا عالي بنهي القوم داعي
ولو بهم نصاح إذا لكانوا	أذل هناك من ظلف الكراع
فهذا الأمر والتقوال فيه	برجم الغيب أو بهوى مطاع
فإن يك ساءهم ممساة جذل	وإن يك سرهم فسرور واعي
فردا غرب شأوكما وكفا	فليس بالجلائب بالخداع

(1) وفي بعض الروايات عشرون ألفاً.

قال: فخرج أبو هريرة وأبو الدرداء من عسكر علي وهما يقولان: هذا الأمر لا يتم أبداً.

قال: وإذا بصائح يصيح بهما من ورائهما وهو يقول:

أيها الطالبان ثار ابن عفا      ن وللقتل والقصاص رجال  
 إن تكونا أمرتما بدم القا      تل فالناس كلهم قتال  
 بل هم غامس بكف وأرض      عير شك ومذنب جدال  
 ذلك الحق ما أقول وللح      ق ضياء وغير ذلك  
 ضلال

قال: ثم أقبل أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية فأخبراه بما سمعا من عسكر علي، ثم انصرفا(1) إلى حمص، وبها يومئذ عبد الرحمن بن غنم الأشعري صاحب معاذ بن جبل، وهو الذي فقه أهل الشام بعد معاذ بن جبل فأخبراه بالقصة، فقال لهما عبد الرحمن: العجب لكما! تأتيان علياً وتطلبان منه قتلة عثمان وقد علمنا أن المهاجرين والأنصار كانوا بالمدينة حضوراً يوم قتل عثمان فما نصروه ولا دافعوا عنه، وأنتما تعلمان أن من رضي بعلي خير ممن كرهه، وأن من بايعه خير ممن لم يبايعه، ثم إنكما صرتما رسولين لرجل من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة ولا الشورى، فسوءة لكما ولما جئتما به - والسلام -.

(1) بالأصل «انصرفوا» وفي الأخبار الطوال: فخرج أبو الدرداء وأبو أمامة، فلحقا ببعض السواحل، ولم يشهدا شيئاً من تلك الحروب.

قال: ثم أنشأ سعيد بن الحارث الأزدي يقول:

لهف نفسي ولأمور بناء	لابن هند مزين الفحشاء
خدع الدوسي المغفل بالذ	ه ودارت على أبي الدرداء
مشيا يسحبان جهلا إلى الخد	عة أذيال سوءة سواء
مشيا للسراب في البلد الق	فر غروراً والحية الصماء
قال شوري يريد لها من علي	من اسميه من ذوي السخاء
أي شوري تريد بعد رضى النا	س عليا وبيعة الخفاء
لم يقولوا بقتل قاتل عثما	ن ولا تسفك الدما بالدماء
فرأى غير ما رآه ابن هند	ليس والقول في الهوى بسواء
أسواء مهاجر وطليق	ليس في الدين بيعة

الطلاق(1)

ويمكن تأييد ذلك: بأن هناك آخرين قالوا: إن أبا هريرة قد حضر صفين أيضاً، وإنه اعتزل الحرب مع أبي الدرداء، وزعموا: أنه هو القائل: الصلاة خلف علي أقوم، وطعام معاوية أدمم، والقعود على هذا التل أسلم(2). أو نحو ذلك.

(1) الفتوح لابن أعم (طدار الأضواء) ج 3 ص 61 - 64.

(2) راجع: السيرة الحلبية ص 397 و (طدار المعرفة) ج 3 ص 367 والإيضاح لابن شاذان ص 537 وربيع الأبرار للزمخشري، وروض الأختيار (المنتخب من ربيع الأبرار) ص 122 ومستدرك سفينة البحار ج 10 ص 530 وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص 207 والكنى والألقاب ج 1

ولست أدري إن كان أبو هريرة، وأبو الدرداء قد التفتنا إلى قول معاوية لهما: «فإن دفع إلينا قتلة عثمان جعلتها شوري». حيث نصب نفسه ولياً للمسلمين، ينصب ويعزل، ويرفع ويضع.

ولا أدري أيضاً لماذا أصرا على الذهاب إلى علي «عليه السلام» بعد أن احتج عليهما الأشر بما لا مجال لإغماض النظر عنه.

هذا.. والمراد بعبد الرحمن بن عثمان: هو عثمان بن مظعون، لا عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمي، ابن أخي طلحة المقتول في حرب الجمل، لأن هذا كان من الطلقاء، وقد قتل مع ابن الزبير بمكة.

لكن صاحب الإستيعاب قال: إن الذي قال لأبي هريرة وأبي الدرداء ذلك هو عبد الرحمن بن غنم الأشعري<sup>(1)</sup>، وهو من الصحابة. ولعله أقرب إلى الإعتبار، فإن بني تيم لم يكن لهم عشيرة تذكر في حمص ويحتاج معاوية لمراعاة جانبها. والإشتباه في رسم الخط بين غنم وعثمان ليس بعزيز.

---

ص180 وشذرات الذهب ج1 ص64 وثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ط سنة 1326 هـ) ص86 و 87 و (ط سنة 1384 هـ) ص111 و 112.

(1) الإستيعاب ج2 ص402 و (ط دار الجيل) ج2 ص850 وأسد الغابة ج3 ص318.

### أبو أمامة، وأبو الدرداء:

ولا نكاد نصدق أسمعنا، أو أعيننا، حين نسمع، أو نقرأ: أن القراء، وكذلك أبو أمامة، وأبو هريرة، وأبو الدرداء من بعدهم يسألون معاوية عن سبب حربه لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وكأنهم يجهلون، أو يتجاهلون أمراً هو كالشمس في رابعة النهار، وقد طبق الخافقين، وقد جمع معاوية له مئة وعشرين، أو مئة وخمسين ألفاً من جميع بلاد الشام، والأردن وفلسطين، وما والاها..

وجمع له علي «عليه السلام» عشرات الألوف من بلاد العراق واليمن والحجاز، وسواها..

فهل من المعقول أن يجهل مثل أبي أمامة، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وثلاثون ألفاً من القراء ما يعلنه معاوية وعلي «عليه السلام» من سبب، أو من أسباب لهذه الحرب؟!!

### موقف القراء هو الأضر والأشر!!:

لا شك في أن اعتزال القراء كان مضرراً بقضية أمير المؤمنين «عليه السلام» ومفيداً لمعاوية، لأن موقفاً كهذا من شأنه أن يشكك الناس بصحة موقفه «عليه السلام» كما أنه يمهد السبيل لتقوية احتمالات صحة موقف معاوية..

لا سيما وأن الناس كانوا ينظرون إلى علي «عليه السلام» ويتعاملون معه كرجل من الرجال، ولا يتعاملون معه كإمام مفترض

الطاعة، بل هم كانوا مع معرفتهم لبعض فضائله «عليه السلام» يقدّمون الآخرين عليه، وكانوا يطيعون الذين ابتزوا السلطة من صاحبها الشرعي طاعة عمياء.

ومهما يكن من أمر، فإن الناس البسطاء قد يتوهمون أنه إذا كان قراء الأمة بهذه الأعداد الكبيرة يشكون في الأمر، فذلك يعني: أن الأمور لم تكن بالوضوح الذي يدعيه أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه لقضيتهم، لأن الذين يشكون في هذا الأمر هم ثلاثون ألفاً، وليسوا شخصاً واحداً، أو اثنين، لكي يحتمل الإشتباه في حقهم، أو لكي يساء الظن بهم، باحتمال أن يكونوا قد ضلّوا، أو أن أحداً أغراهم بالأموال، أو بالمناصب، ليتخذوا موقفاً لصالحه..

كما أن الشاكين ليسوا أناساً عاديين، بل هم قراء الأمة، الذين يظن، أو فقل: يفترض أنهم من أهل الورع والتقوى.. كما ويفترض أنهم هم الطليعة الواعية، والأكثر معرفة بالدين، وأحكامه..

أما أبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو أمامة.. فهما من الصحابة، الذين يفترض أن يكونوا أيضاً أوفياءً لنبيهم، ولدينه، ومن حملة الأمانة بصدق وإخلاص.. ولا سيما مع التطبيل والتزمير، الذي كانت تمارسه السلطة لرفع شأنهم وتعظيمهم، وتسطير الفضائل لهم، ونسبتهم إلى العلم والزهد، وما إلى ذلك، لأن هذا التعظيم والتفخيم سوف يكون في نهاية الأمر لمصلحة معاوية وبني أمية.. الذي كانوا أحوج ما يكون إلى صحابي، ولو بالإسم.

ولا نريد أن نتحدث عن أبي هريرة، فقد كفانا مؤونة ذلك العلامة الشيخ محمود أبي رية، والعلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين.

أما أبو الدرداء، فقد بلغ من تعظيمهم له أن زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» آخى بينه وبين سلمان (1)، مع أن سلمان إنما أسلم بين أحد والخندق.

**قال الواقدي:** العلماء ينكرون المؤاخاة بعد بدر، ويقولون: قطعت بدر المواريث (2).

(1) أسد الغابة ج 2 ص 221 والإصابة ج 3 ص 119 ومجمع الزوائد ج 8 ص 171 وفتح الباري ج 4 ص 183 وتحفة الأحوذني ج 10 ص 152 والآحاد والمثاني ج 2 ص 92 وج 5 ص 172 والمعجم الكبير للطبراني ج 5 ص 221 وج 8 ص 283 وجزء بقي بن مخلد لابن بشكوال ص 125 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 9 ص 169 و 170 والدر المنثور ج 4 ص 371 والكامل لابن عدي ج 3 ص 207 والثقات لابن حبان ج 1 ص 141 وتاريخ مدينة دمشق ج 21 ص 415 وج 19 ص 417 وسير أعلام النبلاء ج 1 ص 142 والعثمانية للجاحظ ص 162 والمناقب للخوارزمي ص 151 وراجع: أنساب الأشراف ج 1 ص 271 وقاموس الرجال للتستري ج 11 ص 318.

(2) أنساب الأشراف ج 1 ص 271 وقاموس الرجال للتستري ج 11 ص 318 وراجع: فتح الباري ج 4 ص 183 وعمدة القاري ج 11 ص 80 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 84 وسبل الهدى والرشاد ج 3 ص 368.



ومهما يكن من أمر، فقد أراد أبو هريرة، وأبو الدرداء - وربما بالتآمر مع معاوية - اعتزال الفريقين، ظناً منهما: أن ذلك سوف يكون من موجبات إضعاف أمر علي «عليه السلام» لما سيحدثه من ريب وشك في سلامة موقفه «عليه السلام».

خصوصاً وأن الناس ما كانوا يعرفون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأبي الدرداء: إن فيك جاهلية!

قال: جاهلية كفر أم إسلام؟!!

قال: جاهلية كفر (1).

وقد حاول محبوا أبي هريرة وأبي الدرداء الذين جاؤا فيما بعد تبييض صفحة هذين الرجلين، فزعموا: أن أبا الدرداء قد مات سنة ثلاث (2)، أو اثنتين وثلاثين (1).

(1) راجع: تفسير الكشاف ج3 ص537 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص318 عنه، وتخريج الأحاديث والآثار ج3 ص107 والفتح السماوي للمناوي ج3 ص933 وجامع البيان للطبري ج22 ص7 و8 وتفسير البيضاوي ج4 ص373 و374 وتفسير أبي السعود ج7 ص103 وتفسير البحر المحيط ج7 ص224.

(2) المستدرک للحاکم ج3 ص337 وعمدة القاري ج2 ص291 وج16 ص236 و237 وج22 ص256 والآحاد والمثاني ج4 ص82 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1230 وج4 ص1646 والتمهيد لابن عبد البر ج4 ص72 وإكليل المنهج للكرباسي ص555 والطبقات الكبرى

مع أن الحديث المذكور أنفاً عن اعتزاله، ومعه أبو أمامة تارة، وأبو هريرة أخرى الحرب في صفين، يدل على عدم صحة هذا القول في تاريخ وفاته. مع العلم أنه لم يقتصر الأمر في رواية خبر أبي الدرداء في صفين على المنقري، بل رواه أيضاً الدينوري، وابن قتيبة<sup>(2)</sup>. وكثير آخرون.

- 
- لابن سعد ج 7 ص 393 وطبقات خليفة ص 165 و 555 والثقات لابن حبان ج 3 ص 285 والتعديل والتجريح للباقي ج 3 ص 1165 ومشاهير علماء الأمصار ص 84 وتاريخ مدينة دمشق ج 47 ص 96 و 97 وج 47 ص 103 و 200 و 201 وج 50 ص 175 وج 66 ص 222 وأسد الغابة ج 4 ص 160 وتهذيب الكمال ج 22 ص 475 وتذكرة الحفاظ ج 1 ص 25 وج 2 ص 353 والإصابة ج 4 ص 622 وتهذيب التهذيب ج 8 ص 157 ولسان الميزان ج 1 ص 360 وإسعاف المبطأ ص 86 والكامل في التاريخ ج 3 ص 129 و 200 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 404.
- (1) مجمع الزوائد ج 10 ص 13 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج 4 ص 1646 وإكليل المنهج للكرباسي ص 555 وأسد الغابة ج 4 ص 160 والمعارف لابن قتيبة ص 268 والمننظم ج 5 ص 18 والكامل في التاريخ ج 2 ص 262 والإصابة ج 3 ص 45.
- (2) الأخبار الطوال ص 170 والإمامة والسياسة ج 1 ص 108 و (تحقيق الزيني) ج 1 ص 96 و (تحقيق الشيري) ج 1 ص 128 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 288 وتقدمت مصادر أخرى لذلك، فراجع.

وقال الجزري: وقيل: توفي سنة ثمان أو تسع وثلاثين(1).

لا يبالون بما قالوا:

تقدم في رواية ابن أعثم: أن أبا الدرداء وأبا أمامة الباهلي (أو أبا هريرة) قالوا لعلي «عليه السلام»: إن معاوية رجل سفيه، ومعه قوم سفهاء، لا يبالون بما قالوا ولا بما قيل لهم(2).

ونقول:

أولاً: إذا كان معاوية سفيهاً، فكيف يثقوا بقوله: إنه إن دفع قتلة عثمان إليه، فسوف يدخل فيما دخل فيه الناس، أو أنه سيكون أول من يبايعه من أهل الشام؟! (3).

ثانياً: إذا كان معاوية سفيهاً، وكذلك من معه، فكيف يجوز أن يدفع إليه وإليهم قتلة عثمان؟! إذ من الذي يضمن أنهم سيعاملونهم بإنصاف؟! فلعلهم يقتلونهم، وهم لا يستحقون القتل، أو يطلقونهم وهم

(1) أسد الغابة ج 4 ص 160 وراجع ج 3 ص 319 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 1229.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج 3 ص 62.

(3) راجع: الأخبار الطوال ص 170 وبحار الأنوار ج 32 ص 451 والغدير ج 9 ص 158 و 157 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 17 و 18 والبداية والنهاية ج 7 ص 288 ووقعة صفين ص 190. وراجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج 1 ص 96 و (تحقيق الشيري) ج 1 ص 128.

لا يستحقون ذلك، فإن السفيه لا يؤمن على تنفيذ أحكام الله، ولا على أن يتصرف بحكمة وإنصاف.

**ثالثاً:** إذا كان علي «عليه السلام» يرى أنهم يستحقون القتل، فلماذا يتركهم في جيشه يسرحون ويمرحون؟! وإذا كانوا لا يستحقون ذلك، فكيف يسلمهم إلى سفيه يغلب على الظن أنه سوف يقتلهم؟!  
**من هم قتلة عثمان؟!**

وتقدم قول ابن أعثم: إن علياً «عليه السلام» سأل أبا الدرداء وأبا أمامة (أو أبا هريرة): إن كانا يعرفان قتلة عثمان.. فقالا: نعم.  
ثم ذكر اسم عمار، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق، وعدي بن حاتم.. وفلان وفلان. على أنهم هم قتلة عثمان، وأرادا أن يأخذا هؤلاء لمعاوية.

#### ونقول:

**ألف:** إن معنى ذلك: تعريض عمار بن ياسر وهؤلاء الأختيار لخطر القتل، بادعاء استحقاقهم ذلك، لقتلهم عثمان.. فإذا حصل هذا، فيلزم منه تكذيب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن قتلهم إن كان صواباً، وتنفيذاً لحكم الشرع، فهو يناقض قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعمار: تقتلك الفئة الباغية. لأن قتله قصاصاً ليس بغياً، ولا يكون قاتله باغياً، ولا مبطلاً في قتله..

**ب:** كيف عرف أبو الدرداء وأبو أمامة (أو أبو هريرة) أن هؤلاء هم قتلة عثمان، فهل حضروا ما جرى على عثمان وعابنوا ودققوا

النظر، وتأكدوا من مباشرتهم لهذا القتل؟!!

ج: وما الذي كانا يصنعانه في ذلك المكان في تلك اللحظات الصعبة والحاسمة؟! هل كانا مع عثمان، أو ضده؟!!

د: كيف عرفنا أمراً لم يعترف علي «عليه السلام» بمعرفته به؟!!

هـ: إن الطبري وغيره يروون أن قتلة عثمان هما شخصان آخران، وقد قتلا في نفس تلك المناسبة.

و: يلاحظ هنا: أن علياً «عليه السلام» لم يقل لأبي هريرة، وأبي الدرداء: لا أعرف قتلة عثمان، بل قال لهما: لم أحضر عثمان في اليوم الذي قتل فيه..

ابن أعثم.. وسعيد الأزدي:

هذا.. وقد كفانا عبد الرحمن بن غنم، وسعيد بن الحارث الأزدي مؤونة الحديث عن بوار مسعى أبي الدرداء وأبي أمامة (أو أبي هريرة)، وخطل ما جاء به، ومخالفته لأحكام الشريعة وحقائق الدين. فلا حاجة إلى الإعادة، وإن كان فيه الكثير من الإفادة.

المعتزلي يعترض على علي ×:

وذكر المعتزلي: أن القراء الذين مشوا بين علي «عليه السلام» ومعاوية، قد قالوا لأمير المؤمنين «عليه السلام»: إن معاوية يقول لك: إن كنت صادقاً في عدم قتلك عثمان، وعدم أمرك بقتله، فأقدنا من قتلته، فإنهم في عسكرك، وجندك، وعضدك.

فقال «عليه السلام» لهم: إن القوم تأولوا عليه القرآن، فقتلوه في سلطانه. وليس على ضربهم قود..

فقال المعتزلي: «..ولا أدري لم عدل «عليه السلام» عن الحجة بما هو أوضح من هذا الكلام؟! وهو أن يقول:

إن الذين باشرُوا قتل عثمان بأيديهم كانا اثنين، وهما قتر بن وهب، وسودان بن حمران، وكلاهما قتل يوم الدار. قتلها عبيد عثمان.

والباقون الذين جندي وعضدي - كما تزعمون - لم يقتلوا بأيديهم، وإنما أغروا به، وحصروه، وأجلبوا عليه، وهجموا على داره، كمحمد بن أبي بكر، والأشتر، وعمرو بن الحمق، وغيرهم. وليس على هؤلاء قود»(1).

#### ونقول:

إن كلام المعتزلي باطل، وغير دقيق، لما يلي:

أولاً: قلنا أكثر من مرة، أنه ليس لمعاوية، ولا لغيره من أهل الشام أن يطالبوا علياً «عليه السلام» بأن يقيدهم من قتلة عثمان، لأكثر من سبب، منها:

1 - أنهم ليسوا أولياء الدم.

2 - أنهم بغاة على إمامهم، خارجون عليه.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 59.

3 - أن قتلة عثمان هما رجلان، وقد قتلا في نفس يوم قتله. فقتل قتله سودان بن حمران، وقتل نهران الأصبحي، وكنانة بن بشر(1).

4 - أنهم لم يرفعوا أمرهم إلى الخليفة الشرعي، ليقضي بينهم وفق أصول المحاكمة.. بل هم يريدون أن يختاروا من شاءوا من خيار الصحابة ليقتلوه. وأن لا يكون لعلي «عليه السلام» ولا لغيره أن يطالبهم بأدلة إثبات..

ولغير ذلك من أسباب.

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» هو الذي تؤخذ منه الشريعة، وهو أعرف بدقائقها وحقائقها، وليس المعتزلي ولا غيره..

ثالثاً: إن هؤلاء يزعمون أن بعض الكبار، والخيار من أصحاب علي «عليه السلام»، قد شارك في قتل عثمان، فيدعي معاوية أن محمد بن أبي بكر كان يطعن بمشاقصه في أحشاء عثمان(2).

وإدعوا أيضاً: أن عمرو بن الحمق قد طعن عثمان تسع طعنات(3).

بل لقد قال معاوية: والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سمية (يعني

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص393 و 394 وراجع: ص391.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص76.

(3) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص394.

عماراً ما قتله بعثمان. ولكنني أقتله بناتل مولاه (1).

وكذلك الأشتر النخعي، فقد قال بعضهم عن قتل عثمان: بل قتله هذا المارق. (يعني الأشتر) (2).

فهم يطلبون أمثال هؤلاء، ويطلبون علياً «عليه السلام» نفسه أيضاً معهم ليقتلوهم، وليقتلوا كل من انتقد أو عارض، أو حرّض على إنصاف الناس ممن ظلمهم، وإعادة الأمور إلى نصابها.. شرط أن يكونوا من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»..

أما الذين حرّضوا على عثمان، وشاركوا في حصاره، وقادوا الهجوم عليه، وليسوا من أصحاب ولا من محبي أمير المؤمنين «عليه السلام»، من أمثال عائشة التي كفّرت عثمان، وحرّضت على قتله، وأمرت به، وقالت اقتلوا نعتلاً فقد كفر ومن أمثال سعد، وطلحة والزبير، وحتى معاوية، الذي منع الجيش من دخول المدينة لنجدته..

أما هؤلاء وأمثالهم فليس فقط لا يعاقبون، وإنما يجب التسبيح بحمدهم، وتقديسهم، وشد أزْرهم، وتشبيد أركانهم، وتأبيد سلطانهم..

أما الذين شاركوا في قتل عثمان وماتوا، مثل سودان بن حمران، وقتر بن وهب، فليس لهم ذكر، ولا يهتم لهم أحد..

رابعاً: لقد انصبَّ كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» على القود

(1) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 6.

(2) راجع: الصواعق المحرقة ص 115.



الذي يؤسس لقاعدة عامة تحل المشكلة، وتشمل الأحياء والأموات على حد سواء.. وهذا من فرائده وخرائده «عليه السلام» التي لا تجارى، فقد اقتلع القضية من جذورها..

فإنه «عليه السلام» لم يكن بصدد تحديد هوية القاتل، ليقال له: فلان وفلان، ثم يفتح باب التخطئة والتصويب، فيصر هذا، على ما ينكره ذلك..

بل هو قد حسم القضية من أقرب طريق، وقررها بمعزل عن القاتل من هو، وهل هوجي أو ميت، من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو من غيرهم. فبيّن أن قتلة عثمان ليسوا من موارد القود. لأنهم إنما قتلوه، لأنهم وجدوا أنه قد خالف القرآن مستحلاً لذلك، ودليلهم على ذلك: سياساته وسياسات عماله فيما يرتبط بأموال بيت المال، وفيما يرتبط بظلم الناس، وغير ذلك. وازدادوا بصيرة في هذا الأمر حين رأوا ما جرى له مع المصريين، الذين اشتكوا إليه عاملهم. وغير ذلك مما بيناه حين كلامنا عن تلك الحقبة..

ولم يستطع هو أن يجيبهم بشيء، ولا أن يأتي بما يحل العقدة.. وكان حين يتدخل الإمام علي «عليه السلام»، ويحل المشكلة، ويأخذ منه العهود، والوعود، ثم يعود فينقض عهده. حتى لم يعد بالإمكان رتق الفتق. وكان ما كان..

فقتلوه على مخالفته كتاب الله، وما جاء به الرسول «صلى الله عليه وآله».. بالإضافة إلى محاولاته قتل الآخرين، لاعتراضهم عليه

في ذلك، وهذا هو السبب في أنه «عليه السلام» حكم بأنه ليس على قاتلي عثمان، وأشباههم قود.. لا سيما وأن إصرار عثمان على عدم التراجع، بعد وضوح الحجة عليه، قد جعلهم يستحلّون دمه، كما استحل مخالفة حكم القرآن الواضح والصريح..

الفصل الثالث:

سليم يروي الوساطة بالتفصيل..



أبو هريرة وأبو الدرداء في صفين:

ورد في كتاب سليم بن قيس ما يلي:

أبان، عن سليم، وزعم أبو هارون العبدي، أنه سمعه من عمر بن أبي سلمة:

إن معاوية دعا أبا الدرداء، ونحن مع أمير المؤمنين «عليه السلام» بصفين، ودعا أبا هريرة فقال لهما: انطلقا إلى علي فاقرأه مني السلام، وقولا له:

والله إني لأعلم أنك أولى الناس بالخلافة وأحق بها مني، لأنك من المهاجرين الأولين، وأنا من الطلقاء. وليس لي مثل سابقتك في الإسلام وقرابتك من رسول الله، وعلمك بكتاب الله وسنة نبيه.

ولقد بايعك المهاجرون والأنصار بعد ما تشاوروا فيك قبل ثلاثة أيام. ثم أتوك فبايعوك طائعين غير مكرهين. وكان أول من بايعك طلحة والزبير، ثم نكثا بيعتك، وظلماك وطلبنا ما ليس لهما.

وأنا ابن عم عثمان والطالب بدمه. وبلغني أنك تعتذر من قتل

عثمان وتتبرأ من دمه، وترغم أنه قتل وأنت قاعد في بيتك، وأنت قتل حين قتل - واسترجعت -: «اللهم لم أرض ولم أمالي».

وقلت يوم الجمل حين نادوا: «يا لثارات عثمان» - حين ثار من حول الجمل - قلت: «كَبَّ قَتْلَةُ عثمان اليوم لوجوههم إلى النار، نحن قتلناه؟! وإنما قتله هما وصاحبتهما، وأمروا بقتله، وأنا قاعد في بيتي».

وأنا ابن عم عثمان، ووليه، والطالب بدمه، فإن كان الأمر كما قلت فأمكننا من قتلة عثمان، وادفعهم إلينا نقتلهم بآبنا، ونبايعك ونسلم إليك الأمر.

هذه واحدة، وأما الثانية فقد أنبأتني عيوني، وأنتني الكتب من أولياء عثمان - ممن هو معك، يقاتل وتحسب أنه على رأيك، وراض بأمرك وهواه معنا، وقلبه عندنا، وجسده معك - أنك تظهر ولاية أبي بكر وعمر وتترحم عليهما، وتكف عن عثمان ولا تذكره، ولا تترحم عليه ولا تلغنه.

**وبلغني عنك:** أنك إذا خلوت ببطانتك الخبيثة، وشيعتك وخاصتك الضالة، المغيرة الكاذبة تبرأت عندهم من أبي بكر وعمر وعثمان ولعنتمهم. وادّعت أنك خليفة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمته، ووصيه فيهم، وأن الله فرض على المؤمنين طاعتك، وأمر بولايتك في كتابه وسنة نبيه، وأن الله أمر محمداً أن يقوم بذلك في أمته، وأنه أنزل عليه: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ

لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ(1)، فجمع أمته  
بغدير خم، فبلَّغ ما أمر به فيك عن الله، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب،  
وأخبرهم أنك أولى بهم من أنفسهم، وأنت منه بمنزلة هارون من  
موسى.

وبلغني عنك: أنك لا تخطب الناس خطبة إلا قلت قبل أن تنزل  
عن منبرك: «والله إني لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ  
قبض رسول الله».

لئن كان ما بلغني عنك من ذلك حقاً، فَلَظُمُ أبي بكر وعمر إياك  
أعظم من ظلم عثمان، لأنه بلغني أنك تقول:

لقد قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونحن شهود، فانطلق  
عمر وبايع أبا بكر، وما استأمرك ولا شاورك.

ولقد خاصم الرجلان بحقك، وحجتك وقرابتك من رسول الله، ولو  
سلما لك وبايعاك لكان عثمان أسرع الناس إلى ذلك، لقرابتك منه  
وحقك عليه، لأنه ابن عمك وابن عمك.

ثم عمد أبو بكر فردها إلى عمر عند موته، ما شاورك ولا  
استأمرك حين استخلفه وبايع له.

ثم جعلك عمر في الشورى بين ستة منكم، وأخرج منها جميع  
المهاجرين والأنصار وغيرهم، فوليتم ابن عوف أمركم في اليوم

---

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

الثالث، حين رأيتم الناس قد اجتمعوا واخترطوا سيوفهم، وحلفوا بالله «لئن غابت الشمس ولم تختاروا أحدكم ليضربن أعناقكم، ولينفذن فيكم أمر عمر ووصيته»، فوليتم أمركم ابن عوف، فبايع عثمان فبايعتموه.

ثم حوصر عثمان، فاستنصركم فلم تنصروه، ودعاكم فلم تجيبوه، وبيعته في أعناقكم، وأنتم يا معاشر المهاجرين والأنصار حضور شهود. فخليتم عن أهل مصر حتى قتلوه، وأعانهم طوائف منكم على قتله، وخذله عامتكم، فصرتم في أمره بين قاتل، وأمر، وخاذل.

ثم بايعك الناس وأنت أحق بهذا الأمر مني، فأمكنني من قتلة عثمان حتى أقتلهم، وأسلم الأمر لك، وأبايعك أنا وجميع من قبلي من أهل الشام.

#### جواب علي × لمعاوية:

فلما قرأ علي «عليه السلام» كتاب معاوية، وأبلغه أبو الدرداء وأبو هريرة رسالته ومقالته، قال علي «عليه السلام» لأبي الدرداء: قد أبلغتmani ما أرسلكما به معاوية، فاسمعا مني، ثم أبلغاه عني كما أبلغتmani عنه وقولا له:

إن عثمان بن عفان لا يعدو أن يكون أحد رجلين: إما إمام هدى، حرام الدم، واجب النصر، لا تحل معصيته، ولا يسع الأمة خذلانه. أو إمام ضلالة حلال الدم، لا تحل ولايته ولا نصرته. فلا يخلو من إحدى الخصلتين.



والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعد ما يموت إمامهم أو يقتل - ضالاً كان أو مهتدياً، مظلوماً كان أو ظالماً، حلال الدم أو حرام الدم - أن لا يعملوا عملاً، ولا يحدثوا حدثاً، ولا يقدموا يداً ولا رجلاً ولا يبدعوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً، ورعاً، عارفاً بالقضاء والسنة، يجمع أمرهم، ويحكم بينهم، ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه، ويحفظ أطرافهم، ويجبى فيئهم، ويقيم حجهم وجمعتهم، ويجبى صدقاتهم.

ثم يحتكمون إليه في إمامهم المقتول ظلماً، ويحاكمون قتلته إليه ليحكم بينهم بالحق: فإن كان إمامهم قتل مظلوماً حكم لأوليائه بدمه، وإن كان قتل ظالماً نظر كيف الحكم في ذلك.

**هذا أول ما ينبغي أن يفعلوه:** أن يختاروا إماماً يجمع أمرهم - إن كانت الخيرة لهم - ويتابعوه ويطيعوه. وإن كانت الخيرة إلى الله عز وجل وإلى رسوله، فإن الله قد كفاهم النظر في ذلك والإختيار، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قد رضي لهم إماماً وأمرهم بطاعته واتباعه.

وقد بايعني الناس بعد قتل عثمان، بايعني المهاجرون والأنصار بعد ما تشاوروا في ثلاثة أيام، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وعقدوا إمامتهم، ولي ذلك أهل بدر، والسابقة من المهاجرين والأنصار، غير أنهم بايعوهم قبلي على غير مشورة من العامة، وإن بيعتي كانت بمشورة من العامة.

فإن كان الله جل اسمه قد جعل الإختيار إلى الأمة وهم الذين يختارون وينظرون لأنفسهم، واختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها خير لهم من اختيار الله ورسوله لهم، وكان من اختاروه وبايعوه بيعته بيعة هدى، وكان إماماً واجباً على الناس طاعته ونصرته، فقد تشاوروا في واختاروني بإجماع منهم.

وإن كان الله عز وجل هو الذي يختار، له الخيرة، فقد اختارني للأمة، واستخلفني عليهم، وأمرهم بطاعتي ونصرتي في كتابه المنزل وسنة نبيه «صلى الله عليه وآله»، فذلك أقوى لحجتي، وأوجب لحقي. ولو أن عثمان قتل على عهد أبي بكر وعمر، كان لمعاوية قتالهما والخروج عليهما للطلب!؟

قال أبو هريرة وأبو الدرداء: لا.

قال علي «عليه السلام»: فكذاك أنا، فإن قال معاوية: (نعم)، فقولاً: إذا يجوز لكل من ظلم بمظلمة، أو قتل له قتيل أن يشق عصا المسلمين، ويفرق جماعتهم، ويدعو إلى نفسه.

مع أن ولد عثمان أولى بطلب دم أبيهم من معاوية.

قال: فسكت أبو الدرداء وأبو هريرة وقالوا: لقد أنصفت من نفسك.

قال علي «عليه السلام»: ولعمري لقد أنصفتي معاوية إن تم على قوله، وصدق ما أعطاني، فهو لاء بنو عثمان رجال قد أدركوا، ليسوا بأطفال، ولا مولى عليهم، فليأتوا أجمع بينهم وبين قتلة أبيهم، فإن عجزوا عن حجتهم، فليشهدوا لمعاوية بأنه وليهم ووكيلهم في

خصومتهم.

وليقعدوا هم وخصمائهم بين يدي مقعد الخصوم إلى الإمام والوالي الذي يقرون بحكمه، وينفذون قضائه، وأنظر في حجتهم وحجة خصمائهم. فإن كان أبوهم قتل ظالماً وكان حلال الدم أبطلت دمه، وإن كان مظلوماً حرام الدم أقدتهم من قاتل أبيهم، فإن شاءوا قتلوه، وإن شاءوا عفواً، وإن شاءوا قبلوا الدية.

وهؤلاء قتلة عثمان في عسكري يقرون بقتله، ويرضون بحكمي عليهم ولهم، فليأتني ولد عثمان أو معاوية - إن كان وليهم ووكيلهم - فليخاصموا قتلتهم، وليحاكموهم حتى أحكم بينهم وبينهم بكتاب الله وسنة نبيه «صلى الله عليه وآله».

وإن كان معاوية إنما يتجني ويطلب الأعاليل والأباطيل فليتنج ما بدا له، فسوف يعين الله عليه.

قال أبو الدرداء وأبو هريرة: قد والله أنصفت من نفسك، وزدت على النصفة، وأزحت علتهم، وقطعت حجتهم، وجئت بحجة قوية صادقة ما عليها لوم.

ثم خرج أبو هريرة وأبو الدرداء، فإذا نحو من عشرين ألف رجل مقنعين بالحديد، فقالوا: «نحن قتلة عثمان ونحن مقرون راضون بحكم علي «عليه السلام» علينا ولنا، فليأتنا أولياء عثمان، فليحاكمونا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في دم أبيهم، فإن وجب علينا القود

أو الدية اصطبرنا لحكمه وسلمنا».

فقالا: قد أنصفتم، ولا يحل لعلي «عليه السلام» دفعكم ولا قتلكم حتى يحاكموكم إليه، فيحكم بينكم وبين صاحبكم بكتاب الله وسنة نبيه «صلى الله عليه وآله».

**أبو هريرة وأبو الدرداء عند معاوية:**

فانطلق أبو الدرداء وأبو هريرة حتى قدما على معاوية فأخبراه بما قال علي «عليه السلام»، وما قال قتلة عثمان، وما قال أبو النعمان بن ضمان(1).

**فقال لهما معاوية:** فما رد عليكما في ترحمه على أبي بكر وعمر، وكفّه عن الترحم على عثمان، وبراءته منه في السر، وما يدعي من استخلاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياه، وأنه لم يزل مظلوماً منذ قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

**قالا:** بلى، قد ترحم على أبي بكر وعمر وعثمان عندنا، ونحن نسمع.

ثم قال لنا فيما يقول: إن كان الله جعل الخيار إلى الأمة فكانوا هم الذين يختارون وينظرون لأنفسهم - وكان اختيارهم لأنفسهم ونظرهم

---

(1) لعل هذا الرجل هو المتكلم نيابة عن العشرين ألفاً من أصحاب علي «عليه السلام».

لها خيراً لهم وأرشد من اختيار الله واختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله» - فقد اختاروني وبايعوني، فبيعتي بيعة هدى وأنا إمام واجب على الناس طاعتي ونصرتي، لأنهم قد تشاوروا في واختاروني.

وإن كان اختيار الله واختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله» خيراً لهم وأرشد من اختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها، فقد اختارني الله ورسوله للأمة واستخلفاني عليهم، وأمراهم بنصرتي وطاعتي في كتاب الله المنزل على لسان نبيه المرسل، وذلك أقوى لحجتي وأوجب لحقي.

**مناشدات أمير المؤمنين × في صفين:**

**ويتابع أبو هريرة وأبو الدرداء قولهما:**

ثم صعد «عليه السلام» المنبر في عسكره وجمع الناس ومن بحضرته من النواحي، والمهاجرين والأنصار، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

**مناقب علي × لا تحصى:**

يا معاشر الناس، إن مناقبي أكثر من أن تحصى أو تعد، ما أنزل الله في كتابه من ذلك وما قال في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إني سأنبؤكم عن خصال سبعة، قالها رسول الله، أكتفي بها عن جميع مناقبي وفضلي.

أتعلمون أن الله فضل في كتابه الناطق، السابق إلى الإسلام - في غير آية من كتابه - على المسبوق، وإنه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحد من الأمة؟!!

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله، [أتعلمون ما] سئل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن قوله: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (1)، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنزلها الله في الأنبياء وأوصيائهم، وأنا أفضل أنبياء الله، وأخي ووصيي علي بن أبي طالب أفضل الأوصياء؟!!

فقام نحو من سبعين بدرياً، جلهم من الأنصار، وبقيتهم من المهاجرين، منهم: أبو الهيثم بن التيهان وخالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري، ومن المهاجرين عمار بن ياسر وغيره، فقالوا: نشهد أنا قد سمعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول ذلك.

قال: فأنشدكم الله في قول الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (2)، وقوله: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

(1) الآيتان 10 و 11 من سورة الواقعة.

(2) الآية 59 من سورة النساء.

رَاكِعُونَ»(1)، ثم قال: (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ)(2)، فقال الناس: «يا رسول الله، أخاص لبعض المؤمنين، أم عام لجميعهم»؟!!

فأمر الله عز وجل رسوله أن يعلمهم فيمن نزلت الآيات، وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجهم.

فنصبني بغدير خم وقال: «إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبي، فأوعدني لأبلغنها أو يعذبني. قم يا علي». ثم نادى بأعلى صوته بعد أن أمر بلالاً أن ينادي بالصلاة جامعة، فصلى بهم الظهر، ثم قال: «أيها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم. ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله».

فقام إليه سلمان الفارسي، فقال: يا رسول الله، ولاؤه كما ذا؟! فقال: «ولاؤه كولايتي، من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه»، وأنزل الله تبارك وتعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

(2) الآية 16 من سورة التوبة.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا(1).

فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله، أنزلت هذه الآيات في علي خاصة؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة».

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا سلمان، اشهد أنت ومن حضرك بذلك وليبلغ الشاهد الغائب».

فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله، بينهم لنا.

فقال: «علي أخي، ووزير، ووصيي، وصنوي، ووارثي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، وأحد عشر إماماً من ولده. أولهم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد. القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه حتى يردوا علي الحوض».

فقام اثنا عشر رجلاً من البدرين فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما قلت سواء، لم تزد فيه حرفاً ولم تنقص حرفاً، وأشهدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك.

(1) الآية 3 من سورة المائدة.



**وقال بقية السبعين:** قد سمعنا ذلك ولم نحفظه كله، وهؤلاء الاثنا عشر خيارنا وأفضلنا.

**فقال «عليه السلام»:** صدقتم، ليس كل الناس يحفظ، بعضهم أحفظ من بعض.

**فقام من الاثني عشر أربعة:** أبو الهيثم بن التيهان، وأبو أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين «رحمهم الله»، فقالوا: نشهد أنا قد سمعنا قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحفظناه أنه قال يومئذ وهو قائم وعلي قائم إلى جنبه:

«يا أيها الناس، إن الله أمرني أن أنصب لكم إماماً ووصياً يكون وصي نبيكم فيكم، وخليفتي في أمتي، وفي أهل بيتي من بعدي، والذي فرض الله على المؤمنين في كتابه طاعته، وأمركم فيه بولايته. فراجعت ربي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني».

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أيها الناس، إن الله - جل اسمه - أمركم في كتابه بالصلاة وقد بينتها لكم وسننتها، والزكاة والصوم والحج، فبينتها وفسرتها لكم، وأمركم في كتابه بالولاية وإني أشهدكم أيها الناس أنها خاصة لعلي بن أبي طالب، والأوصياء من ولدي وولد أخي ووصيي، علي أولهم، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين ابني، لا يفارقون الكتاب ولا يفارقهم حتى يردوا علي الحوض.

يا أيها الناس، إني قد أعلمتكم مفزعكم وإمامكم بعدي، ودليلكم وهاديكم وهو أخي علي بن أبي طالب، وهو فيكم بمنزلتي فيكم، فقلدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم، فإن عنده جميع ما علمني الله وأمرني الله أن أعلمه إياه، وأعلمكم أنه عنده، فاسألوه وتعلموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلموهم، ولا تتقدموهم، ولا تتخلفوا عنهم، فإنهم مع الحق والحق معهم لا يزايلونه ولا يزايلهم».

ثم قال علي «عليه السلام» لأبي الدرداء وأبي هريرة ومن حوله: أيها الناس، أتعلمون أن الله تبارك وتعالى أنزل في كتابه (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1).

فجمعني رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفاطمة والحسن والحسين معه في كسائه، وقال: «اللهم هؤلاء عترتي وخاصتي، وأهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقال أم سلمة: وأنا يا رسول الله!؟

فقال: «إنك على خير، وإنما أنزلت فيّ، وفي أخي علي، وابنتي فاطمة، وفي ابني الحسن والحسين، وفي تسعة أئمة من ولد الحسين ابني - صلوات الله عليهم» - خاصة ليس معنا غيرنا».

فقام كلهم فقالوا: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك، فسالنا عن ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فحدثنا به كما حدثتنا أم سلمة به.

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب.

ثم قال علي «عليه السلام»: أنشدكم الله، هل تعلمون أن الله جل اسمه أنزل في كتابه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)<sup>(1)</sup>، فقال سلمان: يا رسول الله، أعمامة هي أم خاصة؟! فقال: «أما المأمورون فعمامة، لأن جماعة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصادقون فخاصة لأخي علي بن أبي طالب وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة».

قال علي «عليه السلام»: وقلت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك: يا رسول الله، لم خلفتني؟! فقال: يا علي، إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة فإنه لا نبي بعدي. فقام رجال ممن معه من المهاجرين والأنصار فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك.

فقال «عليه السلام»: أنشدكم الله، أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في سورة الحج: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ

---

(1) الآية 119 من سورة التوبة.

**مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(1).**

فقام سلمان، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله، وما جعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيهم إبراهيم؟!!

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنما عنى بذلك ثلاثة عشر إنساناً أنا وأخي علي بن أبي طالب، وأحد عشر من ولدي، واحداً بعد واحد، كلهم أئمة، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفترقون حتى يردوا علي الحوض.

قالوا: اللهم نعم.

قال علي «عليه السلام»: أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قام خطيباً - ولم يخطب بعدها - وقال: «يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد عهد إلي اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»؟!!

فقالوا: اللهم نعم، قد شهدنا ذلك كله من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال «عليه السلام»: حسبي الله.

**فقام الاثنا عشر من الجماعة البدريين، فقالوا: نشهد أن رسول**

---

(1) الآيتان 77 و78 من سورة الحج.

الله «صلى الله عليه وآله» حين خطب في اليوم الذي قبض فيه قام عمر بن الخطاب شبه المغضب، فقال: يا رسول الله، أكل أهل بيتك؟! فقال: لا ولكن أوصيائي، أخي منهم، ووزيري، ووارثي وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، وأحد عشر من ولده، هذا أولهم وخيرهم، ثم ابناي هذان - وأشار بيده إلى الحسن والحسين - ثم وصي ابني يسمى باسم أخي علي، وهو ابن الحسين، ثم وصي علي وهو ولده واسمه محمد، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن مهدي الأمة. اسمه كاسمي، وطينته كطينتي، يأمر بأمرى، وينهى بنهْيى، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. يتلو بعضهم بعضاً، واحداً بعد واحد حتى يردوا علي الحوض، شهداء الله في أرضه، وحججه على خلقه. من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله.

فقام باقي السبعين البدريين، ومثلهم من الآخرين، فقالوا: ذكرتنا ما كنا نسينا، نشهد أنا قد سمعنا ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم عاد «عليه السلام» إلى السؤال، فلم يدع شيئاً مما سأل عنه في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خلافة عثمان إلا ناشدهم فيه حتى أتى «عليه السلام» على آخر مناقبه وما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، كل ذلك يصدقونه ويشهدون أنه حق

سمعوه من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

### جواب معاوية لأمير المؤمنين ×:

فلما حدث أبو الدرداء وأبو هريرة معاوية بكل ذلك، وبما رد عليه الناس وجم من ذلك، وقال: يا أبا الدرداء ويا أبا هريرة، لئن كان ما تحدثاني عنه حقاً لقد هلك المهاجرون والأنصار، غيره وغير أهل بيته وشيعته.

ثم كتب معاوية إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»: لئن كان ما قلت وادعيت واستشهدت عليه أصحابك حقاً لقد هلك أبو بكر وعمر وعثمان، وجميع المهاجرين والأنصار غيرك وغير أهل بيتك وشيعتك.

وقد بلغني ترحمك عليهم، واستغفارك لهم، وإنه لعلى وجهين ما لهما ثالث: إما تقية، إن أنت تبرأت منهم خفت أن يتفرق عنك أهل عسكرك الذين تقاتلني بهم.

أو أن الذي ادعيت باطل وكذب. وقد بلغني وجاءني بذلك بعض من تثق به من خاصتك بأنك تقول لشيعتك الضالة وبطانتك بطانة السوء: «إني قد سميت ثلاثة بنين لي أبا بكر وعمر وعثمان، فإذا سمعتموني أترحم على أحد من أئمة الضلالة فإني أعني بذلك بني».

والدليل على صدق ما أتوني به ورقوه إلي: أنا قد رأيناك بأعيننا، فلا نحتاج أن نسأل عن ذلك غيرنا، رأيتك حملت امرأتك فاطمة على حمار وأخذت بيد ابنيك الحسن والحسين - إذ بويع أبو بكر

- فلم تدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة إلا دعوتهم واستتصرتهم عليه، فلم تجد منهم إنساناً غير أربعة: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، والزبير.

لعمرى لو كنت محقاً لأجيبوك وساعدوك ونصروك، ولكن ادعيت باطلاً، وما لا يقرون به.

وسمعتك أذناي وأنت تقول لأبي سفيان - حين قال لك: «غلبت يا بن أبي طالب على سلطان ابن عمك، ومن غلبك عليه أذل أحياء قريش تيم وعدي» ودعاك إلى أن ينصرك - فقلت: «لو وجدت أعواناً أربعين رجلاً من المهاجرين والأنصار من أهل السابقة لناهضت هذا الرجل»، فلما لم تجد غير أربعة رهط بايعت مكرهاً.

**كتاب أمير المؤمنين × جواباً لمعاوية:**

قال: فكتب إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»:

**بسم الله الرحمن الرحيم**

أما بعد، فقد قرأت كتابك فكثير تعجبي مما خطت فيه يدك، وأظنبت فيه من كلامك، ومن البلاء العظيم والخطب الجليل على هذه الأمة أن يكون مثلك يتكلم، أو ينظر في عامة أمرهم أو خاصته، وأنت من تعلم وابن من تعلم، وأنا من قد علمت وابن من قد علمت! وسأجيبك فيما قد كتبت بجواب لا أظنك تعقله أنت ولا وزيرك ابن النابغة عمرو، الموافق لك كما وافق شن طبقة، فإنه هو الذي أمرك بهذا الكتاب وزينه لك، وحضر كما فيه إبليس ومردة أصحابه.

والله لقد أخبرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعرفني أنه رأى على منبره اثني عشر رجلاً، أئمة ضلال من قريش يصعدون منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وينزلون على صورة القروذ، يردون أمته على أديبارهم عن الصراط المستقيم. قد خبرني بأسمائهم رجلاً رجلاً، وكم يملك كل واحد منهم واحد بعد واحد. عشرة منهم من بني أمية، ورجلان من حيين مختلفين من قريش، عليهما مثل أوزار الأمة جميعاً إلى يوم القيامة ومثل جميع عذابهم.

فليس من دم يهراق في غير حقه، ولا فرج يغشى حراماً، ولا حكم بغير حق إلا كان عليهما وزره.

وسمعه يقول: «إن بني أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً».

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا أخي، إنك لست كمثلني. إن الله أمرني أن أصدع بالحق، وأخبرني أنه يعصمني من الناس، وأمرني أن أجاهد ولو بنفسي، فقال: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) (1)، وقال: (حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) (2)، فكنت أنا وأنت المجاهدين. وقد مكثت بمكة ما مكثت لم أوامر بقتال، ثم أمرني الله بالقتال، لأنه لا يعرف الدين إلا بي، ولا الشرائع، ولا

(1) الآية 84 من سورة النساء.

(2) الآية 65 من سورة الأنفال.



السنن والأحكام والحدود، والحلال والحرام.

وإن الناس يَدْعُونَ بعدي ما أمرهم الله به، وما أمرتهم فيك من ولايتك، وما أظهرت من حجتك، متعمدين غير جاهلين، ولا اشتبه عليهم فيه، ولا سيما لما أتوك قبل مخالفة لما أنزل الله فيك. فإن وجدت أعواناً عليهم فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً، فاكفف يدك، واحقن دمك، فإنك إن نابذتهم قتلوك، وإن تبعوك وأطاعوك فاحملهم على الحق وإلا فادع الناس، فإن استجابوا لك ووازروك<sup>(1)</sup> ونابذوك فنبذهم، وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك، واحقن دمك. واعلم أنك إن دعوتهم لم يستجيبوا لك، فلا تدعن أن تجعل الحجة عليهم.

إنك يا أخي لست مثلي، إني قد أقمت حجتك، وأظهرت لهم ما أنزل الله فيك، وإنه لم يعلم أنني رسول الله وأن حقي وطاعتي واجبان حتى أظهرت ذلك.

وأما أنت فإنني كنت قد أظهرت حجتك وقمت بأمرك، فإن سكت عنهم لم تأثم، وإن حكمت ودعوت لم تأثم، غير أنني أحب أن تدعوهم وإن لم يستجيبوا لك ولم يقبلوا منك.

ويتظاهر عليك ظلمة قريش، [فدعهم] فإنني أخاف عليك إن ناهضت القوم ونابذتهم وجاهدتم من غير أن يكون معك فئة أعوان

---

(1) لعل الصحيح هو: أن تكون العبارة هكذا: ووازرك. فبها، وإن نابذوك فنبذهم.

تقوي بهم أن يقتلوك فيطفا نور الله ولا يعبد الله في الأرض، والتقوية من دين الله، ولا دين لمن لا تقية له.

وإن الله قد قضى الفرقة والاختلاف بين هذه الأمة، ولو شاء لجمعهم على الهدى ولم يختلف اثنان منهم ولا من خلقه ولم يتنازع في شيء من أمره، ولم يجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء عجل منهم النعمة، وكان منه التغيير حين يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره. والله جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار الثواب والعقاب، (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (1).

فقلت: شكراً لله على نعمائه، وصبراً على بلائه، وتسليماً ورضى بقضائه.

ثم قال «صلى الله عليه وآله»: يا أخي، أبشر فإن حياتك وموتك معي، وأنت أخي، وأنت وصيي، وأنت وزيرِي، وأنت وارثي، وأنت تقاتل على سنتي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه أهله، وتظاهروا عليه، وكادوا أن يقتلوه. فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهروا بهم عليك، فإنها ضغائن في صدور قوم، أحقاد بدر وترات أحد.

وإن موسى أمر هارون حين استخلفه في قومه إن ضلوا فوجد

(1) الآية 31 من سورة النجم.

أعواناً أن يجاهدكم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقن دمه، ولا يفرق بينهم. فافعل أنت كذلك، إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدكم، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك، فإنك إن نابذتهم قتلوك، وإن تبعوك وأطاعوك فاحملهم على الحق.

واعلم أنك إن لم تكف يدك وتحقن دمك إذا لم تجد أعواناً أتخوف عليك أن يرجع الناس إلى عبادة الأصنام والجحود بأني رسول الله، فاستظهر الحجة عليهم، وادعهم، ليهلك الناصبون لك والباغون عليك، ويسلم العامة والخاصة.

فإذا وجدت يوماً أعواناً على إقامة الكتاب والسنة فقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فإنما يهلك من الأمة من نصب نفسه لك، أو لأحد من أوصيائك بالعداوة، وعادى وجد ودان بخلاف ما أنتم عليه.

ولعمري يا معاوية، لو ترحمت عليك وعلى طلحة والزبير ما كان ترحمي عليكم واستغفاري لكم ليحق باطلاً، بل يجعل الله ترحمي عليكم واستغفاري لكم لعنة وعذاباً. وما أنت وطلحة والزبير بأحق جرمًا ولا أصغر ذنباً وأهون بدعة وضلالة ممن استنالك ولصاحبك الذي تطلب بدمه، ووطنًا لكم ظلمنا أهل البيت، وحملاكم على رقابنا، فإن الله يقول: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ

يَلْعَنُ اللهُ فُلْنَ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ (1)، فنحن الناس ونحن المحسودون. قال الله عز وجل: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) (2)، فالملك العظيم أن جعل الله منهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، والكتاب والحكمة النبوة. فلم تقرون بذلك في آل إبراهيم، وتنكرونه في آل محمد؟!!

يا معاوية، فإن تكفر بها أنت وصاحبك، ومن قبلك من طغاة الشام واليمن والأعراب، أعراب ربيعة ومضر جفاة الأمة، فقد وكل الله بها قوما ليسوا بها بكافرين!

يا معاوية، إن القرآن حق ونور وهدى ورحمة وشفاء للمؤمنين. والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر، وهو عليهم عمى.

يا معاوية، إن الله جل جلاله لم يدع صنفاً من أصناف الضلالة والدعاة إلى النار إلا وقد رد عليهم واحتج عليهم في القرآن، ونهى فيه عن اتباعهم، وأنزل فيهم قرآناً قاطعاً ناطقاً عليهم قد علمه من علمه وجهله من جهله. وإنني سمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله»

(1) الآيات 51 - 54 من سورة النساء.

(2) الآيتان 54 و 55 من سورة النساء.

يقول: ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما منه حرف إلا وله تأويل، (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (1)، [وفي رواية أخرى: وما منه حرف إلا وله حد مطلع على ظهر القرآن وبطنه وتأويله (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)] الراسخون نحن آل محمد.

وأمر الله سائر الأمة أن يقولوا: (أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (2)، وأن يسلموا لنا ويردوا علمه إلينا، وقد قال الله: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (3)، هم الذين يسألون عنه ويطلبونه.

ولعمري لو أن الناس - حين قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» - سلموا لنا واتبعونا وقلدونا أمورهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولما طمعت فيها أنت يا معاوية، فما فاتهم منا أكثر مما فاتنا منهم.

ولقد أنزل الله في وفيك خاصة آية من القرآن تتلوها أنت ونظراؤك على ظاهرها ولا تعلمون تأويلها وباطنها، وهي في سورة

(1) الآية 7 من سورة آل عمران.

(2) الآية 7 من سورة آل عمران.

(3) الآية 83 من سورة النساء.

الحاقة: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا) (1) إلى قوله: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ) إلى آخر الآية (2)، وذلك أنه يدعى بكل إمام ضلالة وإمام هدى ومع كل واحد منهما أصحابه الذين بايعوه، فيدعى بي ويدعى بك.

يا معاوية، وأنت صاحب السلسلة الذي يقول: (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ) (3) إلى آخر القصص، والله لقد سمعت ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقوله فيك، وكذلك كل إمام ضلالة كان قبلك ويكون بعدك له مثل ذلك من خزي الله وعذابه.

ونزل فيكم قول الله عز وجل: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمُعَوَّنَةَ فِي الْقُرْآنِ) (4)، وذلك حين رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» اثني عشر إماماً من أئمة الضلالة على منبره يردون الناس على أدبارهم القهقري، رجلاً من حيين مختلفين من قريش، وعشرة من بني أمية، أول العشرة صاحبك الذي تطلب بدمه، وأنت وابنك، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، أولهم مروان، وقد لعنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وطرده، وما ولد

(1) الأيتان 7 و 8 من سورة الإنشقاق.

(2) الآية 25 من سورة الحاقة.

(3) الأيتان 25 و 26 من سورة الحاقة.

(4) الآية 60 من سورة الإسراء.

حين استمع لנסاء رسول الله «صلى الله عليه وآله».

يا معاوية، إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، ولم يرض لنا الدنيا ثواباً.

وقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنت ووزيرك وصويحك، يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا كتاب الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً».

يا معاوية، إن نبي الله زكريا نشر بالمنشار، ويحيى ذبح وقتله قومه وهو يدعوهم إلى الله عز وجل، وذلك لهوان الدنيا على الله. إن أولياء الشيطان قديماً حاربوا أولياء الرحمن، قال الله: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (1).

يا معاوية، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبرني أن أمته سيخضبون لحيتي من دم رأسي، وإني مستشهد، وستلي الأمة من بعدي، وأنت ستقتل ابني الحسن غدرا بالسم، وأن ابنك يزيد لعنه الله سيقتل ابني الحسين، يلي ذلك منه ابن الزانية.

وأن الأمة سيليها من بعدك سبعة من ولد أبي العاص، وولد مروان بن الحكم وخمسة من ولده، تكلمة اثني عشر إماماً قد رأهم

(1) الآية 21 من سورة آل عمران.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتواثبون على منبره تواثب القردة، يردون أمته عن دين الله على أديارهم القهقري، وأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة. وأن الله سيخرج الخلافة منهم برايات سود تقبل من المشرق، يذلهم الله بهم، ويقتلهم تحت كل حجر.

وأن رجلاً من ولدك ميشوم ملعون، جلف جاف، منكوس القلب، فظ غليظ، قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة، أخواله من كلب، كأني أنظر إليه، ولو شئت لسميته ووصفته، وابن كم هو.

فبيعت جيشاً إلى المدينة، فدخلونها فيسرفون فيها في القتل والفواحش، ويهرب منه رجل من ولدي زكي نقي، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وإني لأعرف اسمه وابن كم هو يومئذ وعلامته. وهو من ولد ابني الحسين الذي يقتله ابنك يزيد، وهو الثائر بدم أبيه. فيهرب إلى مكة، ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي زكياً برياً عند أحجار الزيت.

ثم يسير ذلك الجيش إلى مكة، وإني لأعلم اسم أميرهم، وعدتهم وأسمائهم، وسمات خيولهم، فإذا دخلوا البيداء واستوت بهم الأرض خسف الله بهم.

قال الله عز وجل: (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ



قَرِيبٍ(1) - قال: من تحت أقدامكم - فلا يبقى من ذلك الجيش أحد غير رجل واحد يقلب الله وجهه من قبل قفاه.

ويبعث الله للمهدي أقواماً يجتمعون من أطراف الأرض، قزع كقزع الخريف. والله إني لأعرف أسمائهم، واسم أميرهم ومناخ ركابهم. فيدخل المهدي الكعبة، ويبيكي ويتضرع، قال الله عز وجل: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)(2) هذا لنا خاصة أهل البيت.

أما والله يا معاوية، لقد كتبت إليك هذا الكتاب وإني لأعلم أنك لا تنتفع به، وأنت ستفرح إذا أخبرتك أنك ستلي الأمر وابنك بعدك، لأن الآخرة ليست من بالك، وأنت بالآخرة لمن الكافرين. وستندم كما ندم من أسس هذا الأمر لك، وحملك على رقابنا حين لم تنتفعه الندامة.

ومما دعاني إلى الكتاب إليك بما كتبت به: إني أمرت كاتبني أن ينسخ ذلك لشيعتي ورؤوس أصحابي، لعل الله أن ينفعهم بذلك، أو يقرأه واحد ممن قبلك فيخرجه الله به وبنا من الضلالة إلى الهدى، ومن ظلمك وظلم أصحابك وفتنتهم، وأحببت أن أحتج عليك.

(1) الآية 51 من سورة سبأ.

(2) الآية 62 من سورة النمل.

## جواب معاوية الأخير إلى أمير المؤمنين ×:

### فكتب إليه معاوية:

«هنياً لك يا أبا الحسن، تملك الآخرة، وهنيئاً لنا نملك الدنيا!»!

### من أسانيد النصوص السابقة:

ثم ذكر المجلسي: أن ابن عقدة، ومحمد بن همام، وعبد العزيز، وعبد الواحد ابنا عبد الله بن يونس، عن رجالهم، عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر بن راشد، عن أبان بن أبي عياش. وأخبرنا به من غير هذه الطرق: هارون بن محمد، عن أحمد بن عبيد الله بن جعفر بن المعلي الهمداني، عن عمرو بن جامع بن عمرو الكندي، عن عبد الله بن المبارك شيخ لنا كوفي ثقة، عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر، عن أبي عياش عن سليم.

وذكر أبان أنه سمعه أيضاً عن عمر بن أبي سلمة.

قال معمر: وذكر إبراهيم العبدي أنه أيضاً سمعه عن عمر بن أبي سلمة عن سليم: أن معاوية لما دعا أبا الدرداء وأبا هريرة ونحن مع أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» في صفين، فحملهما الرسالة إلى أمير المؤمنين وأديها إليه قال: قد بلغتماني ما أرسلكما به معاوية، فاستمعا مني وأبلغاه عني كما بلغتماني.

قالا: نعم.

فأجابه علي «عليه السلام» الجواب بطوله حتى انتهى إلى ذكر

نصب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياه بغدير خم. وساق الحديث نحواً مما روينا من كتاب سليم إلى قوله: فانطلق أبو الدرداء وأبو هريرة فحدثا معاوية بكل ما قال علي «عليه السلام»، واستشهد عليه وما رد عليه الناس وشهدوا به<sup>(1)</sup>.

### إيضاحات لغوية:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: قال الجوهرى: مالآته على الأمر مما لآة: ساعدته عليه وشايعته.

وفي الحديث: ما قتلت عثمان ولا مالآت على قتله.

وقال: القود: القصاص. وأقدت القاتل بالقتيل أي قتلته به. يقال: أقاده السلطان من أخيه. واستقدت الحاكم: أي سألته أن يقيد القاتل بالقتيل.

وقال: زاح الشيء: بعد وذهب. «ما عليها لون» اللون: الدقل وهو أردأ التمر. أي ما ذكرت في حجتك كلها قوية ليس فيها كلام ضعيف، تشبيهاً بهذا النوع من التمر.

---

(1) كتاب سليم بن قيس ج 2 ص 748 - 776 و (طبعة أخرى) ص 288 - 310 وكتاب الغيبة للنعماني (ط 2) ص 45 وبحار الأنوار ج 33 ص 141 - 159 عن سليم، وراجع ج 89 ص 196 وراجع أيضاً: إثبات الهداة ج 2 ص 186 و 187.

وقال الجوهرى: قولهم: وافق شن طبقة(1) قال ابن السكيت: هو شن بن أفسى بن عبد القيس، وطبق حي من أياد، وكانت شن لا يقام لها، فواقعها طبق، فانتصفت منها، فقيل: وافق شن طبقة، وافقه فاعتنقه انتهى.

### ونقول:

إن ما ذكرناه في هذا الفصل يحتاج إلى بعض البيان والتوضيح.. فاقترض ذلك عقد فصل مستقل، وهو التالي..

---

(1) وشن حي بن عبد القيس، وهو شن بن أفسى، بن عبد القيس، بن أفسى، بن دعمة، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار. منهم الأعر الشني، وفي المثل: وافق [شن طبقه]. كذا في هامش هذا المقام من البحار ط الكمباني.

الفصل الرابع:

بحوث حول الوساطة..



## الأعيب معاوية في رسالته الأولى:

إن ملاحظة ما بعث به معاوية إلى علي «عليه السلام» يعطي أن في استدراج علي «عليه السلام» أهدافاً تسير في أكثر من اتجاه، فهو: أولاً: يحاول تسجيل اعتراف منه لأمير المؤمنين «عليه السلام» بأمور عامة وغائمة، وهي خصوص المسلمات التي يعرفها كل أحد، ويكون إنكارها، أو التشكيك فيها من موجبات اتهام المنكر، أو المرتاب بعدم الإنصاف، وبقلة الدين، وبتعمد إنكار البديهيات، والواضحات، كما أنه يؤكد مظلومية أمير المؤمنين «عليه السلام»، والسعي لابتزازه حقه، وإنكار فضائله، والتجني عليه..

ثانياً: محاولة التشكيك بالنصوص القرآنية والنبوية خصوصاً النصوص الدالة على إمامته «عليه السلام» وبيعته يوم الغدير، وكل ما يدخل في هذا السياق، مما دل على أنه الولي والوصي الذي يصعب التملص والتخلص من تبعات الإقرار به، ونقض ما أبرم فيه.. ويعتبر ذلك من ادّعاءاته هو «عليه السلام».

**ثالثاً:** إنه يطرح نفسه على أنه ولي دم عثمان بصورة عفوية، ويرسل هذا الأمر إرسال المسلمات.. ثم يطالبه بتسليم قتلة عثمان إليه ليقتص منهم.. وذلك بعد أن يوطئ لذلك بالإستشهاد بكلام ينسبه إلى علي «عليه السلام» أنه قاله يوم الجمل.. يظهر فيه إدانته لقتلة عثمان. مع أنه «عليه السلام» كان يقصد بكلامه ذاك طلحة والزبير ومن أطاعهما، وأنهما قتلا عثمان ثم جاءا يطالبانه بدمه بغياً وجحوداً وتعمداً منهما للباطل.

متجاهلاً كون الحق في المطالبة بدم عثمان هو لمن جعله الله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم أولاً، ثم لأبنائه، وليس له.. كما أن من حق ولي الدم أن يطالب بإجراء الحدود، والعمل بشرع الله. وليس من حقه أن يطالب بالتخلي عن ذلك، وتفويض الأمر إليه..

**رابعاً:** إنه يحاول أن يزرع الشكوك حول إخلاص أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيدّعي أن منهم من يقاتل معه، ويتظاهر بالولاء له، وهو في الحقيقة من أولياء أعدائه..

**خامساً:** إنه يحاول أن يدّعي على أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه يظهر ولاية أبي بكر وعمر، ويترحم عليهما في الظاهر، ويتبرأ منهما، ويلعنهما هو وأصحابه في الباطن..

**سادساً:** إنه جعل ذكر علي «عليه السلام» ليوم الغدير، وجهره بأنه قد ظلم وأخذ حقه منذ قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وسائل تحريضه «عليه السلام» على أبي بكر وعمر، واعتبارهما



أحق من عثمان بأن يعاديهما، ويبرأ منهما بسبب شدة ظلمهما له.. فما معنى موالاته لهما وترحمه عليهما، ومجانبة عثمان، وعدم ذكره بدم ولا مدح. فإن عثمان لم يظلمه كما ظلماه، بل لو كان الناس قد بايعوه يوم استشهاد الرسول «صلى الله عليه وآله» لكان عثمان أسرع الناس إلى بيعته لأجل قرابته منه.. كما أنه إنما وصل إلى الخلافة بواسطة الشورى. أما أبو بكر وعمر فوصلا إليها استناداً إلى حق علي «عليه السلام» وحجته، لأنهما احتجا على الأنصار بأنهما أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم. وهذه الحجة تعني أن الحق بالخلافة لعلي «عليه السلام» لأنه أقرب منهما إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

**سابعاً:** إنه ادعى في أمر عثمان أموراً لا صحة لها، كقوله: إنه استنصرهم فلم ينصروه، ودعاهم فلم يجيبوه.. مع أن علياً «عليه السلام» أرسل ولديه إلى عثمان، فأعادهما إلى أبيهما.. كما أن علياً «عليه السلام» هو الذي أوصل الماء إليه..

كما أن عثمان هو الذي طلب من علي «عليه السلام» أن يتركه وشأنه.. وذلك بعد أن كان «عليه السلام» قد توسط بينه وبين المعترضين عليه، وأخذ منه وعوداً وعهوداً، ثم كان عثمان هو الذي نقضها..

**ثامناً:** إن معاوية يعترف بأن قتلة عثمان هم أهل مصر.. لكنه يتهم المهاجرين والأنصار بأنهم كانوا على طوائف: طائفة أعانت على قتله، وأخرى - وهم الأكثر منهم - خذلتها، وطائفة أمرت بالقتل..

**ومن الواضح:** أن عائشة كانت على رأس من أمر بقتل عثمان. وكان طلحة والزبير على رأس من شارك في قتله.. ولم يكن علي «عليه السلام» لا من القاتلين، ولا من الأمرين بالقتل..

كما أنه لم يكن من الخاذلين، لأنه حاول جهده بأن يمنع عن عثمان القتل، فكان عثمان هو الذي يتراجع عن وعوده. ثم أمر علياً «عليه السلام» بأن يتوقف عن جهوده هذه، ويعتزله..

ولما ضاقت عليه الأمور بالحصار، وأرسل إليه ولديه: الحسن والحسين «عليهما السلام»، أرجعهما إليه..

**تاسعاً:** إن معاوية يعطي علياً «عليه السلام» وعداً بأن يسلم الأمر إليه، إن سلمه «عليه السلام» قتلة عثمان.. مع أنه يعترف بأن المصريين هم قتلة عثمان، فضلاً عن طلحة والزبير وعائشة.

وعدا ذلك، فإن قبول هذا العرض من معاوية يعني أموراً لا يمكن القبول بها:

**الأول:** اعتراف علي «عليه السلام» بأن الأمر في النصب والعزل بيد معاوية، مع أنه ليس له ذلك، لأنه طليق وابن طليق..

**الثاني:** إن هذا يعني أن يبطل «عليه السلام» البيعة التي أجمع عليها المهاجرون والأنصار، بما فيهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ورفضها الطلقاء وأبنائهم، وسائر أهل الريب..

**الثالث:** فيه قبول ضمنى: بأن لمعاوية الحق بالمطالبة بدم عثمان.

**الرابع:** فيه تسليم ضمنى أيضاً: بأن علياً «عليه السلام» يحمي قتلة عثمان، وأنهم معه.

**عاشراً:** إنه يحاول أن يدعي أن الناس في اليوم الثالث من الشورى هم الذين بادروا للمجيء إلى المجتمعين وطالبوهم بحسم الأمر.. مع أن عمر بن الخطاب هو الذي وكل تلك الجماعة المسلحة، وأمرهم بقتلهم إن لم يحسموا الأمر.. وقد صرح معاوية نفسه بأنهم كانوا ينفذون أمر عمر ووصيته.

### جواب أمير المؤمنين x:

وقد تضمن جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» حقائق دامغة، ودقائق عميقة، ولطائف رشيقة، وإشارات أنيقة.. يحتاج استخلاصها إلى توفر تام وجهد بالغ، لا يمكننا توفيره لها في حالتنا الحاضرة، فلا محيص عن الإكتفاء ببعض العناوين، واللمحات، فنقول:

**1 -** أشار إلى أنه حين يقتل الخليفة، فإن أول الواجبات هو اختيار الإمام من بعده، وفق مواصفات ذكر «عليه السلام» منها، أربعة أوصاف هي:

**ألف:** أن يكون عفيفاً.

**ب:** عالماً.

**ج:** ورعاً.

**د:** عارفاً بالقضاء والسنة.

2 - ثم ذكر «عليه السلام» وظائف هذا الإمام، وهي:

**ألف:** أن يجمع أمرهم، بإمساكه بزمام الأمور، ويمنع من الهرج والمرج. وبذلك يصون العقد الإجتماعي من الإنفراط، والنظام من السقوط.

**ب:** أن يحكم بينهم، ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه.

**ج:** يحفظ أطرافهم.

**د:** يجبي فيئهم.

**هـ:** يقيم حجتهم (1) وجمعتهم.

**و:** يجبي صدقاتهم.

**وبذلك يكون:**

**أولاً:** قد حفظ الكيان العام، ومنع من التمزق والتشتت، وجمع كلمة الأمة.

**ثانياً:** صان حقوق الناس، ومنع من التعديات، من خلال تفعيل الجهاز القضائي.

**ثالثاً:** حفظ كيان الأمة من العدوان الخارجي عليه، بحفظ ثغوره وأطرافه من أن يتناولها الطامعون، والعابثون، وطلاب اللبانات..

**رابعاً:** حفظ الموارد الإقتصادية التي ترفد الدولة بما تحتاج إليه

---

(1) لعل الصحيح: حجهم، بقرينة قوله وجمعتهم.

في حفظ قوتها، وضمان استمرار مؤسساتها، التي تحتاج إليها للدفاع والأمن من خلال جباية الفيء.

**خامساً:** حفظ الشؤون العامة بحفظ الشعائر في رمزيتها، وأثرها في سلامة التكوين الاجتماعي في مظهره، وشؤونه العامة.

**سادساً:** سلامة المسيرة الاجتماعية من خلال الرعاية، والتواصل والتكافل في المجال الاقتصادي من خلال جباية الصدقات..

**سابعاً:** وحين يتم اختيار الإمام الجامع للشرائط، تنهياً للظروف المواتية لمعاجة مشكلة قتل الإمام السابق.. حيث يصبح بالإمكان الإحتكام فيها إليه.

**ثامناً:** ثم أشار «عليه السلام» إلى طريقة التعاطي القضائي مع هذا الموضوع لكي يبين بذلك المغالطة التي يمارسها معاوية وفريقه حين يدعون أنهم أولياء دم عثمان، ويطالبون بتسليم القتلة إليهم للإقتصاص منهم، فقال «عليه السلام»:

إن على ولي الدم أن يقيم الدعوى عند الإمام الذي يتم اختياره، وتتم البيعة له، ويحاكموا القتلة إليه، ليحكم بينهم بالحق..

فينظر الإمام في الأمر، فإن ظهر أن إمامهم قتل مظلوماً حكم لأوليائه بدمه، فإما أن يقتلوه، وإما أن يعفوا عنه، وإما أن يقبلوا بالدية. وإن كان قتل ظالماً، فإن قاتله لا يقتل به، بل يكون دمه هدرأً.

### من يختار الإمام؟!:

ثم إنه «عليه السلام»، بعد أن ذكر أن أول الواجبات بعد قتل الإمام السابق، هو اختيار الإمام اللاحق إن كان لهم الحق في الإختيار، وإن كان تنصيب الإمام يأتي من قبل الله، فلا بد من تمكينه من القيام بوظيفته، أي أن المطلوب بعد قتل الإمام السابق، وشغور المقام هو ملء الفراغ، وتمكين الإمام اللاحق من مزاوله مهامه، ولذلك قال: «ويتابعوه ويطيعوه» وفق ما رسمه الشرع الشريف.. لكي يحفظ البلاد والعباد. وبعد هذا التمكين، وهذه الطاعة والمتابعة يتقدم أولياء دم المقتول برفع الأمر إليه ليقضي فيه بقضاء الله سبحانه..

### نصب الإمام بيد الله تعالى:

ثم إنه «عليه السلام» من أجل رفع اللبس في هذا الموضوع، عاد ليبين أن الإمام ينصب من قبل الله سبحانه، والرسول هو الذي يكشف ذلك، ويخبر العباد به، وقد كفى الله العباد بالنظر في ذلك.. وأعفاهم من هذا الإختيار.. وتولاه دونهم..

كما أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد عين لهم الإمام وأمرهم بطاعته واتباعه، فلا عذر لهم بالتخلف عنه، وذلك في يوم الغدير الأغر.

كما أن العباد أنفسهم قد بايعوه «عليه السلام» بعد قتل عثمان بما فيهم المهاجرون والأنصار.. ولم تكن بيعتهم له فلتة، بل كانت عن رؤية وتبصر وأناة. والدليل على ذلك: أن المهاجرين والأنصار بقوا ثلاثة

أيام يتشاورون فيه..

فإن كانت هناك شبهة في بيعة أبي بكر، فلأنها كانت فلتة على حد تعبير عمر بن الخطاب.. ثم سرت الشبهة إلى خلافة عمر، لأنها بوصية من أبي بكر، ولم تكن عن تشاور من المهاجرين والأنصار.. فإن البيعة لعلي «عليه السلام» كانت سليمة من هذه العاهة..

**يضاف إلى ذلك:** أن بيعة أهل السابقة من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر لأبي بكر وعمر لم تكن بإجماع منهم، وإن كان بعضهم قد رضيها وبادر إليها.. أما البيعة لعلي «عليه السلام» فكانت بإجماع هؤلاء جميعاً..

**وهناك ميزة أخرى تضاف إلى جميع ذلك، وهي:** أن البيعة لأبي بكر وعمر لم تكن عن مشورة من العامة.. أما البيعة لأمير المؤمنين «عليه السلام» فقد كانت بمشورة من العامة..

ثم إنه «عليه السلام» خلص من ذلك كله إلى ما يلي:

إن كان الله تعالى قد جعل الإختيار إلى الأمة. فإن الأمة قد اختارته «عليه السلام» بإجماع منها بعد تشاور وتبصر وأناة.. فلا بد من اعتباره إمام هدى تجب على الناس طاعته ونصرته..

وإن كان الله جل وعز هو الذي يختار الإمام للناس، فقد اختاره تعالى إماماً للأمة، واستخلفه عليهم، وأمرهم بطاعته ونصرته في كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل «صلى الله عليه وآله».

### لو قتل عثمان في زمن أبي بكر وعمر:

وقد بعث «عليه السلام» لمعاوية بسؤال لا يمكنه الخروج منه، سواء أجاب عليه بالإيجاب، أو أجاب بالنفي، والسؤال هو: أنه لو كان عثمان قد قتل في زمن أبي بكر أو عمر، أكان يجوز لمعاوية أن يخرج عليهما طالباً بدم عثمان، ويقاتلها عليه؟! **فإن قال:** لا يجوز ذلك، قيل له: فلم أجاز لنفسه الخروج على علي «عليه السلام»، فإنه لا فرق بينهما من هذه الجهة في نظر أمثاله..

**وإن قال:** يجوز ذلك، قيل له: فلم لم يجز إذن لكل من ظلم أو قتل له قتيل أن يشق عصا المسلمين، ويفرق جماعتهم، ويخلع الخليفة، وينصب نفسه خليفة وإماماً عوضاً عنه؟!

### معاوية ليس ولي الدم:

وأما ادعاء معاوية أنه ولي دم عثمان، فهو غير صحيح، لأن علياً «عليه السلام» هو الولي، من حيث إنه أولى بالناس من أنفسهم، كما قال النبي «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير، ولأن أبناء عثمان كانوا أحياء يرزقون. وهم رجال بالغون ليسوا بأطفال، ولا قصور لديهم، ليُدعى أن معاوية جعل نفسه ولياً عليهم لصغر سنهم، أو لعدم رشدهم. مع أنه ليس له ذلك، لا لنفسه، ولا لغيره.



### الإقتصاص بعد الإحتجاج:

وقد بين «عليه السلام»: أن الحكم الشرعي في أمر القصاص من القاتل، ليس هو المبادرة إلى قتل القاتل من دون سؤال ولا جواب، بل لا بد من التحقيق والسؤال عن سبب القتل، ومعرفة المظلوم من الظالم، والتأكد من أن القاتل لم يبادر إلى القتل دفاعاً عن نفسه، أو عن عرضه، أو ماله مثلاً، أو أنه لم يقتله على سبيل الخطأ، أو بتسبيب من القتل.. وغير ذلك من حالات.. ولا بد لأولياء المقتول من إقامة الحجة على أن هذا الشخص بعينه هو القاتل، وأن ما يدّعيه من أسباب للبراءة، أو للتخفيف.. لا صحة له..

وفي هذه الحال.. إذا كان أولياء عثمان هم أبناؤه، فهم الذين يقيمون الدعوى على القاتل، وهم الذين يقيمون البيئات، ويأتون بالحجج، والقرائن على صحة ما يدّعون.. فإن عجزوا عن ذلك، فليشهدوا بأن معاوية هو وليهم، ووكيلهم في الخصومة.. فإذا عرضت الحجج للفريقين، فإن القاضي، وهو الإمام سوف يحكم بمقتضى ما يصح عنده منها..

فإن كان المقتول ظالماً، فإنه يبطل دمه، ولا قصاص ولا دية له.. وإن كان مظلوماً.. خير أولياءه بين القصاص، والعفو، وأخذ الدية.

### قتلة عثمان في عسكر علي x:

وقد تضمن كلام علي «عليه السلام» مع أبي الدرداء، وأبي

هريرة: أن قتلة عثمان كانوا معه، وفي عسكره، وأنهم يقرون بقتله.. مع أنه «عليه السلام» يتهم معاوية وطلحة والزبير وغيرهم بقتله. ومع أن الذين باشروا قتلة غير محددتين ولا معروفين بأعيانهم.

### إقتراح عجيب:

ثم إنه عرض على معاوية أن يأتي هو وأبناء عثمان لإقامة الدعوى عنده على قتلة عثمان.. الذين هم في عسكره «عليه السلام»، فإنهم يقرون بالقتل، وينتظرون أولياء الدم لإقامة الدعوى، والإحتجاج عليها.. وهم راضون بحكم الله تعالى الذي يصدره عليهم أمام المسلمين..

وعلي «عليه السلام» مستعد للقضاء بينهم وإجراء حكم الله في القتلة أياً كانوا، ومهما كان الحكم الذي يصدره «عليه السلام» في حقهم..

وقد أثار هذا الإقتراح إعجاب أبي هريرة، وأبي الدرداء، بل فاجأهم وبهرهم.. وقد ازداد عجبهم وانبهارهم حين رأوا رضا أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وهم عشرون ألفاً بالالتزام بتنفيذ هذا الإقتراح، وتسليم رقابهم للسيف، إن كانت نتيجة القضاء هي ذلك..

### بماذا يتهم معاوية؟!:

ويلاحظ: أن معاوية لم يكثرث لهذا العرض الذي ينهي ما كان

يَدَّعِيه عليه معاوية في أمر عثمان، ويخرج الموضوع من التداول نهائياً.. بل كان همه مصروفاً إلى تحاشي ذلك، وعدم التفريط بهذه الوسيلة التي تخدم الجماهير، وتثيرهم ضد علي «عليه السلام»..

**كما أننا نلاحظ:** أنه قد صرف همهته لمعرفة مسار ومصير وسيلته الإعلامية التي كان يخدم بها الآخرين، وهي اتهامه علياً «عليه السلام» بالتحامل على أبي بكر وعمر، والتجريح بهما في مجالسه الخاصة مع أصحابه، حيث كان معاوية يسعى لاستلال اعتراف من أمير المؤمنين «عليه السلام» بشيء من ذلك، أو أن يجد منه غلطة، أو عثرة في هذا الإتجاه، يتمكن بها من تأليب الناس عليه، وإثارتهم ضده.. فركز أسئلته لأبي هريرة، وأبي الدرداء على هذا الموضوع بالذات وتجاهل كل ما عداه. فلم يهتم لما ذكره «عليه السلام» من شواهد ودلائل على عدم صحة ما يدَّعِيه، ويروج له معاوية في أمر عثمان. كما أنه لم يلتفت لما ساقه «عليه السلام» من شواهد ودلائل من الآيات، ومن السنة النبوية على أحقيته بالخلافة، وأن غيره قد ابتزه حقه الثابت..

### المناشآت في صفين:

وقد ذكر أبو الدرداء، وأبو هريرة لمعاوية مناقشات أمير المؤمنين «عليه السلام» للناس، وخصوصاً المهاجرين والأنصار، للإقرار له بما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرره في حقه، وبما نزل في حقه من آيات، وبالمواقف الكبرى التي كانت له «عليه

السلام» في نصرته الإسلام، والتضحيات التي قدمها في سبيل الله سبحانه.

ولا شك في أن لهذه المناشدات أثراً كبيراً في تعريف العراقيين وغيرهم، بما كان معاوية وحزبه يجهدون لكتمانهم عنهم وعن جميع الناس. وقد اغتنمها «عليه السلام» فرصة ثمينة، تمكنه من إقامة الحجة على مناوئيه، وتشد من عزائم الموالين له ومحبيه، وتؤكد حجتهم على أعدائهم..

**وقد صرحت الرواية المتقدمة بالقول:** إنه «عليه السلام» «صعد المنبر في عسكره، وجميع الناس ومن بحضرته من النواحي، والمهاجرين والأنصار».

وقد تضمنت هذه المناشدات التأكيد على حقائق كثيرة اختار سبعة منها كلها من القرآن، لأن القرآن هو الذي يجمع الناس كلهم عليه، ولا بد لهم من قراءة آياته، وهو المرجع والملاذ لهم في كل ما ينوبهم وهو الحجة الباقية التي لا يمكن المساس بها من جميع البشر، ولذلك أثر «عليه السلام» أن تكون مناشداته مشيرة إليه، ومعتمدة عليه، ليكون ذلك أدعى لظهور الحق، وإبطال كيد أهل الباطل، الذين كانوا يجهدون لسرقة فضائله، ونسبتها إلى غير أصحابها، أو تحريفها، وتزييفها، أو إلقاء الشبهات والشكوك حولها على أقل تقدير..

### الآيات المختارة دليل واحد:

إن الآيات التي اختارها «عليه السلام» لها سياق واحد، له بداية

ونهاية، ومسار واضح، يوصل إلى نتيجة واحدة لا مهرب منها، ولا محيص عنها..

فلاحظ ما يلي:

### 1 - لقد ذكر «عليه السلام»:

أولاً: آية: «والسابقون السابقون» واستشهد على أن المراد بها الأنبياء وأوصيائهم، والنبي «صلى الله عليه وآله» هو أفضل أنبياء الله، وعلي أفضل الأوصياء، فقام نحو من سبعين بدرياً، فشهدوا له. لكي يبطل ما كان يحاوله الآخرون من ادعاء أن غيره «عليه السلام» قد سبقه إلى الله ورسوله.. مع أن التحقيق الدقيق يعطي أن ذلك الغير قد أسلم بعد البعثة بسنوات كثيرة..

2 - والسابقون هم الذين نصرُوا هذا الدين وجاهدوا في سبيله، فهم الذين يواصلون مسيرتهم هذه بمقتضى آية الولاية، وبما جرى يوم الغدير كما شهد له بها البدريون أيضاً.. مع أن الفريق المناوئ له كان يجهد من أجل إثارة الشكوك في أن يكون له «عليه السلام» حق في الخلافة.. ثم إنه «عليه السلام» ساق الروايات الواردة عن الرسول ليتبين أنه «عليه السلام» كان يتعمد إبطال الشبهات والتأويلات الباطلة، والدعاوى الزائفة التي كان يتوقع أن يطلقها مناوئوا علي «عليه السلام» في مستقبل الأيام..

فلاحظ مثلاً ما يلي:

ألف: إنه «صلى الله عليه وآله» أشار إلى بطلان القول بأن آية:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (1) عامة لجميع المؤمنين.. فكان ما فعله «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير من البيعة لعلي «عليه السلام» إبطالاً لدعوى عموم الآية المباركة..

مع أن نفس قوله تعالى: (..وَهُمْ رَاكِعُونَ..) يدل أيضاً على اختصاصها بمن أتى الزكاة وهو راع.

ثم صرح «صلى الله عليه وآله»، بقوله: وأمركم في كتابه بالولاية، وإنني أشهدكم - أيها الناس - أنها خاصة لعلي بن أبي طالب، والأوصياء من ولدي، وولد أخي إلخ..

ب: إنه «صلى الله عليه وآله» أشار إلى أن ثمة فريقاً لن يرضى بنصب علي «عليه السلام» إماماً، وسوف يسعون لتكذيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك، وينسبونه إلى طاعة الهوى والعصبية فيه..

ج: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أبطل ما يحاول مناوئوا علي «عليه السلام» أن يشيعوه من أن المقصود بالولاية هو المحبة، أو الصحبة، أو ما إلى ذلك.. حين أجاب سلمان، بأن ولاية علي «عليه السلام» كولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(1) الآيتان 55 و 56 من سورة المائدة.

د: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أبطل ما قد يدعيه مناوئوا أهل البيت «عليهم السلام» من أن ولاية علي «عليه السلام» قد حصلت وانتهت، فمن أين تأتي ولاية أبنائه، وذريته من بعده، لكي يدعى بطلان ولاية غيرهم من الأمويين والعباسيين، فقال «صلى الله عليه وآله»: إن آية إكمال الدين نزلت في علي «عليه السلام» وفي الأوصياء من بعده، الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين «عليهم السلام».

وقد شهد لعلي «عليه السلام» إثنا عشر بدرياً أنهم سمعوا ذلك وحفظوه، وتبعهم بقية السبعين، وجلهم من الأنصار، وبقيتهم من المهاجرين قائلين: إنهم سمعوا ذلك، لكنهم لم يحفظوه كله، وهؤلاء الإثنا عشر بدرياً خيارهم، وهم أحفظ منهم.

وقد صدقهم «عليه السلام» باعتبار أن بعض الناس أحفظ من بعض..

ه: ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد دفع شبهة أن يكون «عليه السلام» وصيه في خصوص الأمور المالية، أو في التصرفات الشخصية، التي ترتبط بقضايا العائلة..

وشبهة أن يكون خليفته في خصوص أهله، وشبهة أن يكون وصيه وخليفته في حياته فقط حين أطلق عليه وصف الإمام، والخليفة في الأمة، حيث قال: «أن أنصب لكم إماماً، يكون وصيي فيكم، وخليفتي في أمتي، وفي أهل بيتي من بعدي».

و: ثم دفع «صلى الله عليه وآله» شبهة عموم الوصاية والولاية لأبناء الحسن، كأبناء الحسين «عليهم السلام»، فقال: «والأوصياء من ولدي وولد أخي ووصيي: علي أولهم، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين «عليهم السلام» لا يفارقون الكتاب، حتى يردوا علي الحوض».

ز: ثم بين «صلى الله عليه وآله» بطلان شبهة عدم لزوم طاعة علي والأوصياء في جميع الأمور حين قال: «وأطيعوه في جميع أموركم»

3 - وهذه الولاية إنما منحت لرجل معصوم، ومطهر من أي ذنب، أو رجس، كما هو مقتضى آية التطهير، التي تؤكد معنى العصمة، الذي يجهد الأخطبوط الأموي، وعلى رأسه معاوية أن يتخلص منه، لأنه يريد أن يتهمه بقتل عثمان، وأن يعتبر ذلك جريمة ما بعدها جريمة، تخول معاوية حرب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ونقض سلطانه، وتقويض بيعته، وتحل لهم قتله «عليه السلام».

وآية التطهير في ما توكله من معنى الطهارة والعصمة، تجعل جهود معاوية كلها في مهب الريح..

بل إن هذه الآية بما لها من وضوح في معناها، وصراحة بالغة في ارتباطها بشخص علي «عليه السلام» وزوجته الصديقة الشهيدة، وابنيه اللذين يخشاها معاوية على مستقبل ابنه يزيد، وسائر بني أمية في الحكم - إن هذه الآية تضع كل جهود معاوية وحزبه في



سياق العدوان، وتكذيب القرآن، والخروج من الإسلام، فضلاً عن الإيمان، فهي بالنسبة إليهم أمضى من السيف والسهم والسنان..

بل هي تدين كل من خالف، أو يخالف علماً «عليه السلام» وأهل بيته، والأوصياء من ذريته «عليهم السلام» وتجعلهم في دائرة الخطأ، والعصيان، حتى لو كان المخالف هو عثمان، فضلاً عن غيره..

4 - وبعد أن يتأكد الناس كلهم من عصمته «عليه السلام» عن الخطأ والعصيان، تأتي الأوامر التي توجب على الناس أن يكونوا معه، ويناصروه على كل من خالفه..

وهذا ما أكدته الآية المباركة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)<sup>(1)</sup> وهي من الآيات الخاصة بعلي «عليه السلام» أيضاً.

5 - ثم يأتي بعد ذلك دور التحذير المبطن لهؤلاء الناس المأمورين باتباعه وطاعته.. من أنهم غير متروكين لأهوائهم، بل هم سوف يحاسبون على أي تقصير يكون منهم، إن لم يكن في الدنيا، ففي الآخرة. وليس هذا مجرد تهديد يطلق في الهواء، بل هو حقيقة صرح بها القرآن، وهي مرعية بعين الله، ومحمية بقدرته وحكمته تعالى..

فقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ

(1) الآية 119 من سورة التوبة.

اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ  
 سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ  
 وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا  
 بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (1). فإن الآية قد  
 صرحت: بأن النبي شهيد على الذين آمنوا، المأمورين بفعل الخير،  
 وبالجهاد والعبادة، الذين اجتباهم الله تعالى.. من دون أن يجعل عليهم  
 في الدين من حرج..

وصرحت أيضاً: بأن هؤلاء شهداء على الناس أيضاً. فدلنا ذلك  
 على أنهم فئة أخرى تتوسط بين الرسول، وبين الناس، وأنهم من ذرية  
 إبراهيم «عليه السلام» وعلى ملته..

وقد شهد أولئك الصحابة: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قال:  
 إنه تعالى عنى بهم: ثلاثة عشر إنساناً هم: النبي «صلى الله عليه  
 وآله»، وعلي «عليه السلام»، والأئمة الأحد عشر من ذريته «عليهم  
 السلام»..

وهذا معناه: أن لدى هؤلاء الأئمة «عليهم السلام» حالات  
 وملكات غير عادية وأنهم واقفون على أفعال الناس، ومواقفهم،  
 وسيشهدون عليهم يوم القيامة..

5 - ثم جاء كلامه الأخير عن حديث الثقلين، ليضيف إلى ذلك

(1) الآية 77 و 78 من سورة الحج.

كله: أن هذه المتابعة والطاعة للأئمة، والتمسك بهم، والإلتزام بأوامرهم، والإنزجار بزواجهم ليس مقصوراً على زمان دون زمان، بل هو باق ومستمر ومستقر، فلزوم طاعة علي «عليه السلام» بعد وفاته، كما في حياته.. فليس لمعاوية ولا لغيره منه خلاص، ولا عنه مفر ومناص، فسعيه للتخلص منه «عليه السلام» لا يجدي، لأن أوامره وتوجيهاته، لازمة للإجراء في كل حال..

كما أن الأئمة من ذريته باقون ما بقي الدهر، ولا بد من طاعتهم، ونصرتهم على من ناوأهم.. وهذا ما شهد السبعون من البدرين أيضاً ونحوهم من غيرهم أنهم سمعوه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وليس هذا من كلام أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل هو حكم رب العالمين، وقد جرى ونطق به سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين.. فليأس الطامعون، فإن (..بِإِذْنِ اللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (1).

#### معاوية يصير على الباطل:

ولكن معاوية لم يعرج على ذلك كله، بل تابع اهتمامه بالعمل على تحريك ودفع أمير المؤمنين «عليه السلام» للوقعة بأبي بكر

(1) الآيتان 4 و 5 من سورة الروم.

وعمر، وقصدهما بالكلام الجارح والنقد اللاذع، لأنه يريد أن يتخذ من ذلك ذريعة لتحريض الناس عليه، ودفعهم لحربه، فكتب إليه «عليه السلام» كتاباً ضمنه فنوناً من الإثارات والتحريكات القوية..

**فأولاً:** حاول أن يلزمه بمقولة: أن ما ادعاه حول أحقيته بالخلافة، وما نزل فيه من القرآن، وما قاله أو فعله الرسول «صلى الله عليه وآله» في تأويلها وتفسيرها وبيان المراد منها: يفضي إلى القول بأن أبا بكر وعمر، وعثمان وجميع المهاجرين والأنصار هالكون، لمخالفتهم لتلك النصوص الواردة في حقه.. والناجي فقط هو علي وأهل بيته «عليهم السلام» وشيعته..

وهذا يدل على أن ترحمه على أبي بكر وعمر واستغفاره لهما لم يكن حقيقياً، بل كان تقيّة، وخوفاً من أن يتفرق جنده عنه، لو جهر بالبراءة منهما..

ثانياً: لو أغمضنا النظر عن موضوع التقيّة، فاللازم القول: بأن ما ينقل عنه من الترحم عليهما، والإستغفار لهما مكذوب عليه، ولم يصدر منه. وبذلك يكون معاوية مصيباً في اتهامه له بالعداوة لهما والبراءة منهما، وغير ملام على عداوته وحربه له.

**ثم أيد الوجه الأول، وهو:** ما ادعاه من التقيّة، بما زعمه، من أنه «عليه السلام» قد سمى أولاده بأسماء أبي بكر وعمر، وعثمان.. لكي يكون ترحمه إذا اضطر إليه ترحماً على أولاده، لا على الخلفاء..

**ثم أيد ذلك كله أيضاً:** بأن بعد بيعة أبي بكر حمل «عليه السلام»

السيدة الزهراء «عليها السلام» على حمار، وأخذ معه ولديه، وقصد بيوت أهل بدر وغيرهم من أهل السابقة يدعوهم إلى نصرته على أبي بكر.. فلم يجبه إلا سلمان وأبو ذر، والمقداد، والزبير..

**وأيده أيضاً:** بما سمعه معاوية منه «عليه السلام» من أنه لو وجد أربعين رجلاً لناهض أبا بكر..

**ويلاحظ:** أنه لم يذكر عماراً في جملة من أجاب علياً «عليه السلام».. وذكر الزبير عوضاً عنه..

**والذي نريد نفت النظر إليه هنا:**

**1 -** إنه إذا وقع اختلاف في أمر بين فريقين، فمن الطبيعي إذا لم يكونا معاً مبطلين في دعواهما: أن يكون أحدهما محقاً، والآخر مبطلاً.. ولكنهما لا يكونا محقين معاً. ومن الطبيعي أيضاً أن يسعى المظلوم لاستنقاذ حقه ممن يرى أنه ظالم له، أو معتد عليه..

وأما الهلاك وعديثاً في نومه «عليه السلام».. فراجع ما أعطاه لسمرة بن جندب(1) ولغيره في ذلك(1).

(1) راجع: الغارات للتقفي ج2 ص840 وفرحة الغري لابن طاووس ص46 والصراط المستقيم ج1 ص152 وكتاب الأربعين للشيرازي ص289 وبحار الأنوار ج33 ص215 وكتاب الأربعين للمحوزي ص386 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص262 وشجرة طوبى ج1 ص97 والغدير ج2 ص101 وج11 ص30 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص73 وشواهد التنزيل ج1 ص132 والكنى والألقاب ج3 ص29 وإحقاق الحق (الأصل) ص196

كما أن معاوية قد كتب إلى الأقطار يأمرهم بأن لا يدعوا فضيلة لعلي إلا ويأتوه بمثلها لغيره من الصحابة المناوئين له (2).

4 - إن كثرة المؤيدين ليست هي المعيار الذي يعطي الحق لهذا، ويسلبه عن ذلك، بل المعيار هو الحجة من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وحكم العقل السليم.. وغير ذلك من الدلائل والشواهد الصحيحة والصريحة في الدلالة..

**وكم رجل يعد بألف شخص وآلاف تمر بلا عداد..**

وإذا كانت القلة هم الأخيار الأبرار، والكثرة هم الفسقة الفجرة والأشرار، فإن قلة من معه لا تضره.. وماذا يضير من كان شاهده أمثال سلمان وعمار، والمقداد، وأبو ذر، ومن شهد الله ورسوله له بأن الحق له ومعه يدور كيفما دار!!

6 - أما حمله «عليه السلام» زوجته وولديه إلى كبار المهاجرين والأنصار، فلا يعني السعي لجمع الناس إلى قتال أبي بكر وعمر، بل يعني طلب المعونة والنصرة منهم في إقامة الحجة، وإفهامهم أن عليهم التراجع عن البيعة التي أعطوها لأبي بكر، ونقضوا بها بيعتهم

---

وسفينة النجاة للتكابني ص 303.

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 63 وقد ذكر منهم السيد شرف الدين في كتابه النص والاجتهاد ص 510: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعروة بن الزبير.

(2) راجع: راجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ص 72 حتى ص 74.

يوم الغدير التي تمت بمحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»،  
وبأمر من الله تعالى..

### الجواب القاطع والصریح:

إن كتاب معاوية المشار إليه آنفاً، قد قطع الشك باليقين، بأن معاوية كان يسعى وراء أمر واحد، وهو حمل علي «عليه السلام» على التصريح بما يتضمن تهجماً على أبي بكر وعمر، ليتخذ منه معاوية ذريعة لتحريض الناس عليه، ودفعهم لحربه، ولم يكن يريد الأخذ بثار عثمان، ولا نفي أو إثبات أي شيء آخر.. فكان لا بد من مواجهة معاوية بما يستحقه من تفریع وإدانة. ومن استخفاف وإهانة..

**ولذلك نلاحظ:** أن جوابه «عليه السلام» على كتاب معاوية الذي تقدمت الإشارة إليه قد جاء قاطعاً وصریحاً. ولكنه لم يتجاوز وصف الواقع كما هو، وبيان الحقائق بوضوح وأمانة تامة..

وهذه الصراحة هي التي يتوهم بعض الناس أنها قسوة، ويظن أنه «عليه السلام» يورد ما يورده على سبيل الشتيمة والسباب. ولكنه غفل عن أنه «عليه السلام» قد اقتصر على بيان الحقائق كما هي.. ولكنها كانت حقائق قاسية، لأنها كذلك في واقع الأمر..

وإلا فإن علياً «عليه السلام» لم يكن في أي وقت من الأوقات سباباً ولا شتماً بل كان صريحاً وصادقاً وحسب..

### علي × لا يغري معاوية بالحرب:

وقد يتوهم البعض: أن علياً «عليه السلام» كان يغري معاوية بالحرب، ويعده بالنصر في الحرب حين أخبره بأنه سيصل إلى مبتغاه في الحكم، وكذلك بقية العشرة من بني أمية، واثنين من قبيلتين مختلفتين من قريش..

### وهو توهم باطل، لأسباب:

**أولها:** إنه «عليه السلام» قد صرح له بزمان وصوله إلى الحكم، وأنه بعد وفاته «عليه السلام».

**ثانيها:** إنه لم يخبره بأنه سوف يصل إلى الحكم بواسطة الحرب، أو بواسطة أخرى.

**ثالثها:** إن الانسان العاقل والمتوازن لا يفرح بخبر كهذا، بل هو يحزن له أشد الحزن، ويؤلمه أمض الألم، ويجعله يتردد في مواصلة بغيه وعدوانه، لأن خبراً كهذا إذا تحقق سيكون شاهداً ودليلاً على صدق وصحة ما جاء به ذلك النبي، فإذا تضمن الخبر المذكور ذماً أو لعناً، وطرداً من رحمة الله لذلك الفريق الذي هو محط النظر، فيجب أن لا يفرح بما سيحصل عليه من مقام، أو مال، أو غير ذلك، لأنه سيكون حاله حال فرعون وقارون في السقوط في الهاوية، والبعد عن رحمة الله، والكون في مواقع الخزي والسقوط والمهانة.. ولا سيما مع تصريحه «عليه السلام»: «بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن هؤلاء القوم يصعدون على منبره، وينزون عليه على صورة القرود،



وأنهم يريدون أمته على أدبارها عن الصراط..  
 ويفترض فيه في هذه الحال: أن يتوب إلى الله تعالى، ويغير  
 مساره، ويصلح ما أفسده، ويعيد الأمور إلى نصابها..  
**وبذلك يظهر:** أن إبلاغ علي «عليه السلام» لمعاوية بهذا الأمر  
 لا يعدو كونه من أساليب إقامة الحجة عليه، ودفع الطرف الآخر  
 للتوبة قبل فوات الأوان..

**النبى / أمر بجهد المتمردين على أمر الله في علي ×:**

**تقدم:** أن معاوية كان يحاول دفع أمير المؤمنين «عليه السلام»  
 للتهجم على أبي بكر وعمر.. وأنه لم يفلح في محاولاته تلك. وكان من  
 جملة براهين معاوية على مزاعمه هذه: أنه سمع علياً «عليه السلام»  
 يقول يوم الهجوم على بيته بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله»  
 لإجباره على البيعة لأبي بكر: لو استمكنت من أربعين رجلاً  
 لناهضتهم..

**وهذا استدلال غير صحيح، للأسباب التالية:**

**أولاً:** لأن ما قصده «عليه السلام» بكلامه هذا أن دفع المهاجم  
 وردعه عن ظلمه وعدوانه أمر يقره الشرع والعقل، وترضاه جميع  
 الأعراف، ولا يدل على سوء نية المدافع، ولا يدينه في شيء.. ولا  
 يصح لأحد أن يشنع عليه، ويقول: لماذا دافعت عن نفسك، ولماذا  
 طلبت من الناس أن يعينوك على الدفاع؟!!

وهذا بالذات هو محط كلام أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه

كان يتمنى أن يجد أربعين رجلاً، ليعينوه على دفع مهاجميه، ويناهضهم حين هجموا عليه، ودخلوا داره، وضربوا زوجته، وأسقطوا جنينها..

بل لا يلام الرجل على الدفاع عن نفسه، وقتال مهاجميه، ولو كان وحده، وحتى لو ظن أنه يقتل.

وقد روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قوله: «ومن قتل دون ماله فهو شهيد<sup>(1)</sup>»، وقوله «صلى الله عليه وآله»: «من قتل دون

(1) راجع: من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 95 و 380 وتهذيب الأحكام ج 6 ص 157 و 10 ص 210 والكافي ج 5 ص 52 و ج 7 ص 296 ودعائم الإسلام ج 1 ص 398 و ج 2 ص 478 والمبسوط للسرخسي ج 24 ص 139 وسبل السلام ج 3 ص 261 وشرح مسلم للنووي ج 13 ص 63 وفتح الباري ج 6 ص 32 و ج 9 ص 570 وعمدة القاري ج 13 ص 33 و 34 و 35 والمعجم الأوسط 2 ص 106 و 175 و ج 6 ص 116 و ج 7 ص 47 و 86 و ج 8 ص 93 و 251 و 303 والمعجم الصغير ج 1 ص 153 والمعجم الكبير ج 7 ص 292 و ج 10 ص 202 ورياض الصالحين للنووي ص 541 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 4 ص 416 و 419 وتفسير نور الثقلين ج 4 ص 210 والجامع لأحكام القرآن ج 3 ص 420 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 28 ص 383 و (الإسلامية) ج 18 ص 589 ومستدرک الوسائل ج 18 ص 197 وغوالي اللآلي ج 1 ص 38 وبحار الأنوار ج 29 ص 407 ومستدرک سفينة البحار ج 8 ص 417 ومستند أحمد ج 1 ص 79 و 187 و 188 و 189 و ج 2 ص 163 و 206 و 217 و 221 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 3

مظلّمة فهو شهيد(1). وقوله «صلى الله عليه وآله» من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد(2).

ص108 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج1 ص87 وسنن ابن ماجة ج2 ص861 وسنن الترمذي ج2 ص435 وسنن النسائي ج7 ص114 و115 و116 والمستدرک للحاکم ج3 ص639 والسّنن الکبری للبيهقي ج3 ص265 و266 وج8 ص335 ومجمع الزوائد ج4 ص176 وج6 ص244 و245 والديباج على مسلم ج1 ص155 وتحفة الأحمدي ج4 ص564 والمصنف للصنعاني ج10 ص114 و115 و116 والمصنف لابن أبي شيبة ج6 ص454 وتأويل مختلف الحديث ص11 و145 ومنتخب مسند عبد بن حميد ص66 ومسند أبي يعلى ج2 ص248 و249 و251 وج4 ص50 وج12 ص146 وحديث خيثة ص79 وصحيح ابن حبان ج7 ص467 و468 وج11 ص112.

(1) راجع: مسند أحمد ج1 ص305 وسنن النسائي ج7 ص117 ومجمع الزوائد ج6 ص244 وفتح الباري ج6 ص32 وعمدة القاري ج13 ص35 وج14 ص127 والمعجم الأوسط ج6 ص7 والمعجم الكبير ج7 ص87.  
(2) راجع: مسند أحمد ج1 ص190 وسنن أبي داود ج2 ص430 وسنن الترمذي ج2 ص436 وسنن النسائي ج7 ص116 والسّنن الکبری للبيهقي ج3 ص266 وج8 ص187 و335 وعمدة القاري ج14 ص127 وبغية الباحث ص201 والسّنن الکبری للنسائي ج2 ص310 و311 ومسند الشهاب ج1 ص222.

**ثانياً:** إنه «عليه السلام» أخبر معاوية هنا: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أخبره بأن ثمة من سوف يعصي أمر الله ورسوله فيه «عليه السلام»، فإن وجد أعواناً عليهم، فليجاهدهم، وإلا فليكفف.. فهو لا يتخذ قرار القتال من عند نفسه، بل هو ينفذ أمر الله ورسوله.. فلا معنى للتشيع عليه، ومؤاخذته فيه.

**ثالثاً:** إنه «عليه السلام» قد بيّن لمعاوية: أن سكوته عن مناوأة أبي بكر وعمر كان أيضاً بأمر من النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه قد أبلغه ضمناً بأنهم حين يخالفون أمر الله تعالى فيه إن أراد أن يجاهدهم بلا أعوان، فسوف يقدمون حتى على سفك دمه، ولذلك قال له: فإن لم تجد أعواناً، فاكفف يدك، واحقن دمك، فإنك إن نابذتهم قتلوك..

فإذا كان لا بد من كف اليد، فلا يعني ذلك الجلوس في البيت، وعدم تحريك أي ساكن.. بل المطلوب منه: أن يظهر الحق، وأن يحتج عليهم، ليعرف الناس: أنهم قد ظلموه، وأخذوا حقه عن سابق علم ومعرفة وتصميم.. لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد أقام عليهم الحجة، وأزال عنهم أي عذر فيه «عليه السلام»..

**هل هذا النص صحيح؟!:**

وقد تضمنت الرسالة الأخيرة المتقدمة في الفصل السابق فقرات لا نستطيع تأييدها، لأنها تخالف ما أظهرته كلمات ومواقف أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين، وفي حرب الجمل وسواها، من

أنه كان يتحاشى الإستجابة لما كان يسعى إليه معاوية من الطعن الصريح بأبي بكر وعمر. وكان يمنع أصحابه من التهجم عليهما.. فما بال هذه الرسالة تقول: إنه «عليه السلام» كتب إليه يقول: «..وما أنت وطلحة والزبير بأحق جرمًا، ولا أصغر ذنبًا، ولا أهون بدعةً وضلالة من الذين أسسوا لك ولصاحبك الذي تطلب بدمه».

إلا إن كان «عليه السلام» يعلم أن معاوية لا يظهر هذا الكتاب للناس لما فيه من إظهار لحقائق كان معاوية يجهد لإخفائها، لأنها تضر بمصلحته، وتفضح سلفه من بني أمية، وتقوض دعاواه التي يسعى لترويجها في الناس.

إلا إن كان المقصود شخصين آخرين غير أبي بكر وعمر، مثل عبد الرحمان بن عوف، وسعد بن أبي وقاص اللذين مكنا لعثمان، ثم إن معاوية تمكن من الشام وأهلها بسبب ابن عمه عثمان.

أو يبقى هذ المقطع من الرسالة موضع شك وريب، إن لم يكن ثمة تصحيف، أو تحريف من النساخ، أو من غيرهم.. والله هو العالم بالحقائق.

### للقرآن ظهر وبطن:

وقد صرح «عليه السلام» في الكتاب المتقدم ذكره: بأن للقرآن ظهراً وبطناً. وهذا ما ينكره بعض الناس.. وقد تحدثنا عن ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» حين

ذكرنا بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأشرنا إلى إعجاز القرآن، وأن له ظهراً وبطناً.. فراجع.

### الشجرة الملعونة في القرآن:

وقد ذكر «عليه السلام» في رسالته المتقدمة: أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية، وأشار إلى الرؤيا التي رآها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حول اثني عشر إماماً من أئمة الضلالة من بني أمية كانوا ينزون على منبره كالقردة سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، منهم خمسة من ولد مروان.

**ومن المعلوم:** أن الخلفاء من بني أمية أكثر من ذلك.. ولكن الذين هم أئمة الضلالة منهم، وقد طال حكمهم، وكان له أثر بعيد في الفساد والضلال هم اثنا عشر..

أما عمر بن عبد العزيز مثلاً، وكذلك معاوية بن يزيد، فلم يكن لهما ذلك الأثر الكبير في الضلال والإضلال، فلعلهما لم يكونا في جملة من رآهم «صلى الله عليه وآله» في عالم الرؤيا أنهما نزوا على منبره نزو القردة..

### في الكتاب اضطراب:

**ويلاحظ:** أن الكتاب الطويل المذكور في آخر الفصل السابق. لا يخلو من بعض الإضطراب.. وهو أمر متوقع في النصوص الطويلة،

التي يتناقلها الرواة عبر الأجيال.

### السفياني.. والامام المهدي:

وقد ورد في أواخر الرسالة الأخيرة المتقدمة في الفصل السابق:  
أن رجلاً من ولد معاوية مشؤوم وملعون، فظ وغلبيظ يبعث جيشاً إلى  
المدينة، فيدخلونها ويسرفون فيها في القتل والفواحش..

فإن كانت هذه الفقرات تشير إلى وقعة الحرة، التي حصلت في  
عهد يزيد بن معاوية «لعنه الله» حين أرسل مسلم (أو فقل: مسرف)  
بن عقبة إلى المدينة، فدخلها، وأباحها لجيشة ثلاثة أيام. فقتلوا ونهبوا  
الأموال، ووطأوا النساء، حتى حملت في تلك السنة ألف بكر من أهل  
المدينة، كما قيل - فإن كانت تشير إلى ذلك - فهو لا يتلاءم مع قوله  
بعد ذلك مباشرة: «ويهرب منهم رجل من ولدي، زكي، تقي، الذي  
يملاً الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً..»

إلى أن قال: وهو من ولد ابني الحسين «عليه السلام» الذي يقتله  
ابنك يزيد. وهو الثائر بدم أبيه، فيهرب إلى مكة ويقتل صاحب ذلك  
الجيش رجلاً من ولدي زكياً بريئاً عند أحجار الزيت، ثم يصير ذلك  
الجيش إلى مكة..

إلى أن قال: فإذا دخلوا البيداء، واستوت بهم الأرض خسف

بهم».

فإن المقصود بالرجل الذي من ولد الإمام الحسين «عليه السلام» هو الإمام المهدي.. ويكون المقصود بالرجل الذي من ولد معاوية هو السفيناني، ولا مانع من أن يفعل السفيناني بأهل المدينة ما يشبه فعل يزيد في وقعة الحرة..

ولكن الإشكال هنا يبقى قائماً، لأن السفيناني، كما تصرح به بعض الروايات، يأتي بنفسه مع جيشه إلى المدينة(1) مع أن النص المنقول عن سليم يصرح بأنه يرسل جيشاً إلى المدينة بقيادة شخص آخر(2).

وتبقى هنا ملاحظة أخرى، وهي: تصريحه بأن الرجل الذي يقتل عند أحجار الزيت، سيقتل حين ظهور الإمام المهدي «عليه السلام».. مع أن في الروايات ما يدل على أن الإمام الصادق «عليه السلام» قد أخبر عبد الله بن الحسن بأن ولده محمداً هو الذي يقتل في المدينة عند أحجار الزيت، وقد حصل ذلك في عهد الإمام الصادق «عليه السلام»، وقتل محمد بن عبد الله بن الحسن هناك بأمر من المنصور،

(1) الغيبة للنعماني ص 304 وبحار الأنوار ج 52 ص 252.

(2) وتؤيده رواية أخرى رواها في الإختصاص ص 255 عن جابر الجعفي، عن الإمام الباقر «عليه السلام». وراجع: المستدرک للحاكم ج 4 ص 520 والغيبة للطوسي ص 269.



فراجع (1). وتكرر الحدث، مع التوافق في الاسم والنسب، والمكان، واليوم، والشهر، بعيد، إن لم يكن محالاً.

---

(1) مقاتل الطالبين ص256 و 233 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص355  
وبحار الأنوار ج46 ص269 وج47 ص131 و 160.



## الباب الثالث:

### الجيشان في الميدان..

الفصل الأول: الصحابة في صفين..

الفصل الثاني: حقائق لا بد من بيانها..

الفصل الثالث: التعبئة الشاملة.. والقتال..

الفصل الرابع: خطب.. ومواقف..

الفصل الخامس: هكذا يحارب علي ×..

الفصل السادس: الحرب عبادة..



الفصل الأول:

الصحابة في صفين..



## الصحابية، وأهل بدر في صفين:

قال عبد الرحمن بن أبزى: شهدنا مع علي «عليه السلام» صفين في ثمانمائة من بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر (1).

وعن الحكم: شهد مع علي «عليه السلام» صفين ثمانون بدرياً، وخمسون ومائتان ممن بايع تحت الشجرة (2).

---

(1) شرح الأخبار ج 1 ص 492 وج 2 ص 9 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 1138 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 10 ص 104 والدرجات الرفيعة ص 257 وتاريخ خليفة بن خياط ص 148 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص 102 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 545 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 264 و 265.

(2) المستدرك للحاكم ج 3 ص 104 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج 2 ص 580 والملاحم والفتن ص 226 وكتاب الفتوح لابن أعمش ج 2 ص 450 و(ط دار الأضواء) ج 2 ص 544 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 23

وعن الحكم بن عيينة: وكان في جيشه ثمانون بدرياً ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة (1).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى: سبعون رجلاً من أهل بدر، ويقال: مئة وثلاثون رجلاً (2).

وقال الزبير بن بكار: شهد صفين مع أمير المؤمنين «عليه السلام» من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر رجلاً من المهاجرين وسبعون من الأنصار.

وأما من باقي الصحابة فكان معه ألف وثمان مئة، منهم تسعون رجلاً بايعوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة (3).

وعن سعيد بن جبير: كان مع علي «عليه السلام» يومئذ ثمان مئة رجل من الأنصار، وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة (4).

---

ص 288 و شرح الأخبار ج 2 ص 9.

(1) البداية والنهاية ج 7 ص 255 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 283.

(2) مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 167 و بحار الأنوار ج 32 ص 572.

(3) تذكرة الخواص ص 81 و 82 وراجع: المعيار والموازنة ص 22 ومستدرك الحاكم ج 3 ص 104 والغدير ج 10 ص 163 عن بعض المصادر الأخرى.

(4) الملاحم والفتن لابن طاووس ص 226.



وروي عن سعيد بن جبير: ثمان مئة رجل من المهاجرين، وتسع مئة من الأنصار (1).

وعن الأعمش: كان معه ثمانون بدرياً. وثمان مائة من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» (2).

#### وقال اليعقوبي وغيره:

كان مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً، وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل (3).

#### وقال المسعودي:

كان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً: منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة؛ وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة (4).

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص167 وبحار الأنوار ج32 ص572.

(2) كتاب الفتوح لابن أعمش ج2 ص450 و (ط دار الأضواء) ج2 ص544.

(3) تاريخ اليعقوبي ج2 ص188 وتاريخ مدينة دمشق ج19 ص442.

(4) مروج الذهب ج2 ص361 والدرجات الرفيعة ص39.

وقال الأشر: إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين، قريب من مائة بدري سوى من حولكم من أصحاب محمد، أكثر ما معكم (1).  
وعن السدي، أنه قال: شهد مع علي «عليه السلام» من أهل بدر ثلاثون ومائة (2).

### قال العلامة الأميني «رحمه الله»:

وقد أجمع أهل السير أنه شهد البصرة مع علي «عليه السلام» ثمانمائة من الأنصار وتسعمائة من أهل بيعة الرضوان وسبعون من أهل بدر (3).

وفي صفين شهد معه الإمامان السبطان الحسنان وممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مائتان وخمسون (4). ويقال: ثمانمائة نفس فقتل منهم ثلاثمائة وستون نفساً (5)، وكان معه ثمانون بدرياً على رواية ابن ديزيل والحاكم (6)، وجاء في خطبة سعيد بن قيس: سبعون بدرياً (7)، وفي كلام لمالك الأشر: قريب من مائة بدري (1)، ومن

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 191 ووقعة صفين للمنقري ص 238.

(2) شرح الأخبار ج 2 ص 10.

(3) الفصول المختارة ص 216.

(4) المستدرك للحاكم ج 3 ص 104.

(5) الإصابة ج 2 ص 389 لكن في الإستيعاب (ترجمة عمار) ثلاث وستون.

(6) المستدرك للحاكم ج 3 ص 104 والبداية والنهاية ج 7 ص 254.

(7) صفين للمنقري ص 236 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 189.

أولئك الصحابة وفي مقدمهم البدريون:

- 1 - أسيد بن ثعلبة الأنصاري. بدري.
- 2 - ثابت بن عبيد الأنصاري. بدري قتل بصفين.
- 3 - ثعلبة بن قبيظي بن صخر الأنصاري. بدري.
- 4 - جبر بن أنس بن أبي زريق. بدري.
- 5 - جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي. بدري.
- 6 - الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسي. بدري.
- 7 - الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسي. بدري.
- 8 - حصين بن الحارث بن المطلب القرشي. بدري.
- 9 - خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري. بدري.
- 10 - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسي. بدري قتل بصفين.

- 11 - خليفة - ويقال: عليفة - بن عدي بن عمرو البياضي. بدري.
- 12 - خويلد بن عمرو الأنصاري السلمي. بدري.
- 13 - ربعي بن عمرو الأنصاري. بدري.
- 14 - رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي. بدري.
- 15 - زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي. بدري.

---

(1) صفين للمنقري ص238 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص191.

- 16 - جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي. بدري.
- 17 - خباب بن الأرت أبو عبد الله التميمي. بدري.
- 18 - سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي. بدري.
- 19 - سماك بن - أوس بن - خرشة الأنصاري الخزرجي. بدري.
- 20 - صالح الأنصاري. بدري.
- 21 - عبد الله بن عتيك الأنصاري. بدري.
- 22 - عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري. بدري.
- 23 - عمار بن ياسر المطيب الطيب الشهيد بصفين. بدري.
- 24 - عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي. بدري.
- 25 - عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي. بدري.
- 26 - قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي. بدري.
- 27 - كعب بن عامر السعدي. بدري.
- 28 - مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري. بدري.
- 29 - أبو الهيثم مالك بن التيهان البلوي المستشهد بصفين. بدري.
- 30 - أبو حبة عمرو بن غزية. بدري.
- 31 - أبو عمرة بشر بن عمرو بن محسن الأنصاري المستشهد بصفين. بدري.
- 32 - أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفين. بدري.
- 33 - أبو محمد الأنصاري. بدري.

- 34 - أبو بردة هاني بن نيار - ويقال: نمر - بدري.  
 35 - أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي.  
 بدري.

- 36 - أسود بن عيسى بن أسماء التميمي.  
 37 - أشعث بن قيس الكندي كان أميراً على الميمنة يوم صفين.  
 38 - أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي.  
 39 - الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي.  
 40 - أعين بن ضبيعة الحنظلي. أحد الأمراء بصفين.  
 41 - بريد الأسلمي. قتل بصفين وفيه يقول أمير المؤمنين:

جزى الله خيرا عصابة أسلمية حسان الوجوه صرعوا حول  
 هاشم  
 بريد وعبد الله منهم ومنقذ وعروة ابنا مالك في  
 الأكارم

- 42 - البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي.  
 43 - بشر - بشير - بن أبي زيد الأنصاري.  
 44 - بشير بن أبي مسعود الأنصاري.  
 45 - ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري.  
 46 - جارية بن زيد المستشهد بصفين  
 47 - جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي.

- 48 - جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري.
- 49 - جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري.
- 50 - جندب بن زهير الأزدي الغامدي كان من أمراء الجيش بصفين.
- 51 - جندب بن كعب العبدي أبو عبد الله الأزدي الغامدي.
- 52 - الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.
- 53 - حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفين.
- 54 - الحبشي بن جنادة نصر السلولي.
- 55 - الحجاج بن عمرو بن عزية الأنصاري.
- 56 - حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير، كان من الأمراء يوم صفين.
- 57 - حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي.
- 58 - حنظلة بن النعمان الأنصاري.
- 59 - حيان بن أبجر الكناني.
- 60 - خالد بن أبي خالد الأنصاري.
- 61 - خالد بن أبي دجانة الأنصاري.
- 62 - خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي كان من أمراء علي يوم صفين.
- 63 - خالد بن الوليد الأنصاري، كان ممن أبلى بصفين.

- 64 - خرشة بن مالك بن جرير الأودي.
- 65 - رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي.
- 66 - ربيعة بن قيس العدواني.
- 67 - ربيعة بن مالك بن وهيل النخعي.
- 68 - زبيد بن عبد الخولاني شهد صفين مع معاوية وكانت معه  
الراية فلما قتل عمار تحول إلى عسكر علي «عليه السلام» أخذا بقوله  
«صلى الله عليه وآله»: عمار تقتله الفئة الباغية.
- 69 - زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبي الخزرجي.
- 70 - زيد بن جارية الأنصاري.
- 71 - زيد بن حيلة - بالمهملة والياء ويقال: بالمعجمة والموحدة -.
- 72 - زياد بن حنظلة التميمي.
- 73 - سعد بن الحارث بن الصمة الأنصاري استشهد يوم صفين.
- 74 - سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.
- 75 - سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد.
- 76 - سليمان بن سرد بن أبي الجون أبو المطرف الخزاعي،  
كان أميراً على رجاله الميمنة يوم صفين.
- 77 - سهيل بن عمرو الأنصاري، قتل بصفين مع علي «عليه  
السلام».
- 78 - شبت بن ربيعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس.

- 79 - شبيب بن عبد الله بن شكل المذحجي.
- 80 - شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك أبو المقدم الحارثي.
- 81 - شيبان بن محرث.
- 82 - صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي.
- 83 - صعصعة بن صوحان العبدي.
- 84 - صفر بن عمرو بن محسن. وقتل بصفين.
- 85 - صيفي بن ربعي بن أوس.
- 86 - عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربي الجسري.  
المستشهد بصفين.
- 87 - عائذ بن عمرو الأنصاري.
- 88 - عامر بن وائلة بن عبد الله أبو الطفيل الليثي.
- 89 - عبد الله الأسلمي ممن استشهد بصفين وأثنى عليه مولانا  
أمير المؤمنين كما مر ص 364.
- 90 - عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.  
قتل بصفين.
- 91 - عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم. كان على  
الميسرة يوم صفين.
- 92 - عبد الله بن خراش أبو يعلى الأنصاري.
- 93 - عبد الله بن خليفة البولاني الطائي.



- 94 - عبد الله بن ذباب بن الحارث المذحجي.
- 95 - عبد الله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائي.
- 96 - عبد الله بن كعب المرادي، قتل يوم صفين وكان من أعيان أصحاب أمير المؤمنين.
- 97 - عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري الأوسي.
- 98 - عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من شهداء يوم صفين.
- 99 - عبد الرحمن بن حسل الجمحي. قتل بصفين.
- 100 - عبيد بن خالد السلمي.
- 101 - عبيد الله بن سهيل الأنصاري.
- 102 - عبيد بن عازب أخو البراء بن عازب.
- 103 - عبيد بن عمرو السلماني أبو عمرو صاحب ابن مسعود.
- 104 - عبد خير بن يزيد بن محمد الهمداني. من كبار أصحاب الإمام «عليه السلام».
- 105 - عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي.
- 106 - عروة بن زيد الخيل الطائي.
- 107 - عروة بن مالك الأسلمي قتل بصفين وأثنى عليه الإمام «عليه السلام» كما مر ص364.
- 108 - عقبة بن عامر السلمي.

- 109 - العلاء بن عمرو الأنصاري.
- 110 - عليم بن سلمة الفهمي.
- 111 - عمرو بن بلال كان من المهاجرين.
- 112 - عمير بن حارثة الليثي.
- 113 - عمير بن قرّة السلمي.
- 114 - عمار بن أبي سلامة بن عبد الله بن عمران.
- 115 - عوف بن عبد الله بن الأحمر الأزدي.
- 116 - الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري الأوسي الخطمي. قتل بصفين.
- 117 - قيس بن أبي قيس الأنصاري.
- 118 - قيس بن المكشوح أبو شداد المرادي. من شهداء صفين.
- 119 - قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي.
- 120 - كرامة بن ثابت الأنصاري.
- 121 - كعب بن عمر أبو زعنة.
- 122 - كميل بن زياد النخعي، يقال: أدرك من الحياة النبوية ثماني عشرة سنة وكان شريفاً مطاعاً ثقة(1).

---

(1) الإصابة ج 3 ص 318 و (ط دار الكتب العلمية) ج 5 ص 485 و 486 والغدير ج 9 ص 367 عنه، وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج 50 ص 249

- 123 - مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأثتر.
- 124 - مالك بن عامر بن هاني بن خفاف الأشعري.
- 125 - محمد بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من شهداء صفين.
- 126 - محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي يقال: قتل بصفين.
- 127 - مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي، كان على راية الأزدي بصفين.
- 128 - معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي.
- 129 - المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي.
- 130 - منقذ بن مالك الأسلمي أخو عروة بن مالك ممن استشهد بصفين كما مر في شعر مولانا أمير المؤمنين ص364.
- 131 - المهاجر بن خالد بن المخزومي. استشهد بصفين.
- 132 - نضلة بن عبيد الأسلمي أبو بريزة.
- 133 - النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقي.
- 134 - هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال. كان صاحب الراية واستشهد بصفين.
- 135 - هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي.

---

وتهذيب التهذيب ج8 ص402 وتاريخ الإسلام للذهبي ج6 ص176 و  
177 والوافي بالوفيات ج24 ص278 وتاريخ الكوفة ص366.

كان من أمراء علي «عليه السلام».

136 - وداعة بن أبي زيد الأنصاري.

137 - يزيد بن الحويرث الأنصاري.

138 - يزيد بن طعمة بن جارية بن لوذان الأنصاري الخطمي.

139 - يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي

الحنظلي. يقال: إنه قتل بصفين.

140 - يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدي.

141 - أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح

الحميري ثم الأبرهي قتل مع علي «عليه السلام» بصفين.

142 - أبو ليلى الأنصاري والد عبد الرحمن.

143 - أبو جحيفة السوائي.

144 - أبو عثمان الأنصاري.

145 - أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصاري(1).

#### سبب اختلاف الأقوال:

وآخر ما نشير إليه هنا: أن هذا الاختلاف يدل على أن الذين

لقيهم أو سمع بمشاركتهم كل رجل من هؤلاء الناقلين للعدد هم بهذا

المقدار، أو أنه حين أراد أن يتذكر من لقيهم منهم استطاع أن يتذكر

(1) راجع: الغدير ج 9 ص 362.

هذا المقدار.

لأن المفروض أنهم كانوا متفرقين في جيش يعد بعشرات الألوفا.. ولم يكونوا في كتيبة على حدة.

### استشهاد أويس القرني:

وقد استشهد أويس القرني «رحمه الله» في صفين في الرجالة بين يدي علي «عليه السلام»، كما رواه الحاكم النيسابوري وغيره (1). وفي بعض المصادر، عن سعيد بن المسيب، قال عنه: «عاد في أيام علي «عليه السلام»، فقاتل بين يديه، فاستشهد في صفين أمامه، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة: من طعنة، وضربة، ورمية» (2).

وعن الأصبع بن نباتة، قال كنا مع علي «عليه السلام» بصفين، فبايعة تسعة وتسعون رجلاً، ثم قال: أين تمام المائة؟! لقد عهد إلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل. قال: إذ جاء رجل عليه قباء صوف متقلداً بسيفين، فقال: أبسط يدك أبايعك، قال علي «عليه السلام»: علام تبايعني؟!!

قال: علي بذل مهجة نفسي دونك.

(1) المستدرک علی الصحیحین ج 3 ص 460 و 461 رقم 5727 و 5728.

(2) تاریخ مدينة دمشق ج 9 ص 434 وسیر أعلام النبلاء ج 4 ص 32 نحوه.

قال: من أنت؟!!

قال: أنا أويس القرني.

قال: فبايعه، فلم يزل يقاتل بين يديه، حتى قتل، فوجد في الرجالة(1).

**ومن المعلوم:** أن أويس القرني كما تقدم كان من الزهاد المعروفين، وقد ذكره رسول الله في بعض كلامه.. الأمر الذي دعا عمر إلى أن يطلبه في أيام خلافته لكي يدعو أو يستغفر له.. فلحضره في صفين إلى جانب أمير المؤمنين «عليه السلام» واستشهاده معه مغزى خاصاً، وأثراً معيناً لدى فريق كبير من الناس، بما يمثله من تأييد لفريق، وإدانة للفريق الآخر.

وقد تحدثنا عن ذلك في مواضع سابقة من هذا الكتاب.

---

(1) رجال الكشي ج1 ص 315 و 156 وخصائص الأئمة «عليه السلام» ص53 وراجع: المستدرک علی الصحیحین ج3 ص455 ح5718 وشرح الأخبار ج2 ص12 و 400.

الفصل الثاني:

حقائق لابد من بيانها..





## نصائح ابن العاص لمعاوية:

روى نصر، عن عمر بن سعد، قال: أبو يحيى عن الزهري قال: وخرج في ذلك اليوم (يعني في اليوم الخامس) شمر بن أبرهة بن الصباح الحميرى، فلحق بعلي «عليه السلام» في ناس من قراء أهل الشام، ففت ذلك في عضد معاوية وعمر بن العاص، وقال عمرو:

يا معاوية، إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلا له من محمد «صلى الله عليه وآله» قرابة قريبة، ورحم ماسة، وقدم في الإسلام لا يعتد أحد بمثله، ونجدة في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله».

وإنه قد سار إليك بأصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» المعدودين، وفرسانهم، وقرائهم، وأشرفهم، وقدمائهم في الإسلام، ولهم في النفوس مهابة.

فبادر بأهل الشام مخاشن الوعر، ومضايق الغيظ، واحملهم على الجهد، وأتهم من باب الطمع قبل أن ترفههم، فيحدث عندهم

طول المقام مللاً، فيظهر فيهم كآبة الخذلان.  
ومهما نسيت فلا تنس أنك على باطل.

فلما قال عمرو لمعاوية ذلك زوق معاوية خطبة، وأمر بالمنبر فأخرج، ثم أمر أجناد أهل الشام فحضروا خطبته، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، أعيرونا أنفسكم وجماجمكم، لا تفشلوا، ولا تخاذلوا، فإن اليوم يوم خطر، ويوم حقيقة وحفاظ، فإنكم على حق، وبأيديكم حجة، وإنما تقاتلون من نكت البيعة، وسفك الدم الحرام، فليس له في السماء عاذر.

ثم صعد عمرو بن العاص مرقاتين من المنبر فحمد الله وأثنى عليه  
ثم  
أيها الناس، قدموا المستلئمة، وأخروا الحاسر، وأعيروا جماجمكم ساعة، فقد بلغ الحق مقطعه، وإنما هو ظالم ومظلوم (1).

**علي × يجهر بالحقائق:**

روى نصر عن عمر بن سعد، عن أبي يحيى، عن محمد بن طلحة، عن أبي سنان الأسلمي قال: لما أخبر علي بخطبة معاوية وعمرو، وتحريضهما الناس عليه أمر الناس فجمعوا.

(1) صفين للمنقري ص 222 و 223 وبحار الأنوار ج 32 ص 463 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 180.

قال: وكأني أنظر إلى علي متوكئاً على قوسه، وقد جمع أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنده، فهم يلونه.

و [كأنه] أحب أن يعلم الناس أن أصحاب رسول الله متوافرون عليه، فحمد الله ثم قال:

أيها الناس، اسمعوا مقالتي، وعوا كلامي، فإن الخيلاء من التجبر، وإن النخوة من التكبر، وإن الشيطان عدو حاضر، يعدكم الباطل.

ألا إن المسلم أخو المسلم، [ف] لا تتابذوا ولا تخانلوا، فإن شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق، ومن فارقتها محق.

ليس المسلم بالخائن إذا أوّتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق، ومن فعالنا القصد، ومنا خاتم النبيين، وفينا قادة الإسلام، ومنا قراء الكتاب، ندعوكم إلى الله وإلى رسوله، وإلى جهاد عدوه، والشدة في أمره، وابتغاء رضوانه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، وتوفير الفيء لأهله.

ألا وإن من أعجب العجائب أن معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص السهمي، أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما. وقد علمتم أنني لم أخالف رسول الله «صلى الله عليه وآله» قط،

ولم أعصه في أمر قط.

أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها  
الفرائص.

نجدة أكرمني الله بها، فله الحمد. ولقد قبض رسول الله «صلى الله  
عليه وآله» وإن رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي،  
تقلبه الملائكة المقربون معي.

وأيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على  
[أهل] حقها، إلا ما شاء الله.

قال: فقال أبو سنان الأسلمي: فسمعت عمار بن ياسر يقول:

أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأمة لن تستقيم عليه [أولاً،  
وأنها لن تستقيم عليه آخراً].

ثم تفرق الناس، وقد نفذت بصائرهم في قتال عدوهم، [فتأهبوا  
واستعدوا] (1).

---

(1) صفين للمنقري ص 222 - 225 ونهج السعادة ج 2 ص 170 - 173  
وراجع: الأمالي للمفيد ص 234 و 235 والأمالي للطوسي ص 10 و 11  
وبحار الأنوار ج 32 ص 463 و 464 وبحار الأنوار ج 32 ص 595 و  
596 وج 34 ص 146 وج 74 ص 396 و 397 وموسوعة أحاديث أهل  
البيت للنجفي ج 7 ص 85 و 86 وج 9 ص 135 و 136 وج 11 ص 285 و  
286.

## ونقول:

## القرء يلتحقون بعلي ×:

لا ريب في أن للقرآن آثاراً نورانية على القلوب اللينة، التي تبتهج له، وتخضع لتلاوته، وتخضع لآياته.. قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (1).

وأما القلوب القاسية، فإنها تجلب الويل لأصحابها، حتى وهم يقرأون القرآن. إذ رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه (2).

ولذلك نرى: أن طائفة من قراء أهل الشام، قد انتفعت بالقرآن، ووفقت لمعرفة الحق وأتباعه. واندفعت لتكون من حزبه ومع أهله، وقد كان أمير المؤمنين «عليه السلام» مع القرآن، والقرآن معه. كما ورد في النصوص عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» (3).

- 
- (1) الآية رقم 2 من سورة الأنفال، وراجع: الآية رقم 124 من سورة التوبة.  
(2) مستدرك الوسائل ج4 ص249 و 250 وبحار الأنوار ج89 ص184 و 185 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص461 وتفسير الألوسي ج22 ص192 واللمعة البيضاء ص666 ومجمع البحرين ج3 ص478.  
(3) راجع: دلائل الصدق ج2 ص303 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج18 ص72 وعبقات الأنوار ج2 ص324 عن السندي في دراسات اللبيب ص233 وكشف الغمة ج2 ص35 وج1 ص141 - 146 والجمل لابن شذقم ص11 والجمل للمفيد ص36 و 231 وتاريخ بغداد ج14 ص321

فلا غرابة إذا رأينا أن طائفة من القراء من أهل الشام تنضم إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين.. ولم نجد من سائر الجماعات إلا أفراداً ينضمون إليه، ولم يبلغ الأمر بهم إلى حد أن يصبحوا جماعة تختار الحق، وترفض الكون في معسكر الباطل..

### الصحابة مع علي ×:

وقد سجل عمرو بن العاص اعترافاً بقوة موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» من عدة جهات.

**فأولاً:** حتى لو أغمضنا النظر عن كل ما نزل من القرآن في علي «عليه السلام»، وما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه، خاصة قوله «صلى الله عليه وآله»: يا علي، حربك حربي وسلمك سلمتي (1). فإن قرابته القريبة، ورحمه الماسة برسول الله «صلى الله

---

والمستدرك للحاكم ج 3 ص 119 و 124 وربع الأبرار ج 1 ص 828 و 829 ومجمع الزوائد ج 7 ص 234 ونزل الأبرار ص 56 وفي هامشه عنه، وعن: كنوز الحقائق ص 65 وعن كنز العمال ج 6 ص 157 وملحقات إحقاق الحق ج 5 ص 77 و 28 و 43 و 623 و 638 و ج 16 ص 384 و 397 و ج 4 ص 27 عن مصادر كثيرة.

(1) راجع: مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص 50 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 18 ص 24 وينايع المودة ص 85 و 71 وكنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج 2 ص 179 وبحار الأنوار (ط مؤسسة الوفاء) ج 37 ص 72 و ج 40 ص 43 و 177 و 190 وروضة الواعظين ج 1

عليه وآله»، فإنها تشكل حاجزاً قوياً يمنع الناس من الإقدام على حربه، ويجعل قرار محاربته صعباً.. **ثانياً:** لعلي «عليه السلام» قدم راسخة في الإسلام، فهو المسلم الأول، والمناصر، والمحمي، والمجاهد الأعظم في سبيل هذا الدين منذ اللحظات الأولى للبعثة الشريفة، وإلى تلك اللحظة..

ولم يكن في المسلمين أحد يمكن أن يجاريه في ذلك.. مما يعني أنه لا مجال لطرح اسم أي شخص في مقابله لمجاراته «عليه السلام»..

**ثالثاً:** إنه «عليه السلام» ليس من الأشخاص الذين يمكن التهويل عليهم، أو أخذهم بالترهيب، ولا يمكن أن يُدعى لأحد مثل نجدته وإقدامه وشجاعته في الحروب، ليتمكن جمع الناس حوله، والإحتماء به في مقابله..

**رابعاً:** إنه سار إلى معاوية بصحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولهم امتيازات وخصوصيات لا يضارعهم فيها أحد، الأمر الذي يزيد الأمور صعوبة، بل خطورة وتعقيداً، فهم:

---

ص113 وتلخيص الشافي ج2 ص135 وراجع: ميزان الاعتدال ج2 ص75 ولسان الميزان ج2 ص483، ففيهما حديث معناه ذلك أيضاً، والأماي للطوسي ج1 ص374 وج2 ص100 والأماي للصدوق ص343 وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص440 وج4 ص258 وج7 ص296 وج13 ص70 عن مصادر كثيرة.

**ألف:** من الكثرة بحيث يصح أن يقال: إنهم جميعاً قد جاؤا معه، أما الشاذ النادر ممن لا شأن له ولا قيمة، فلا يلتفت إليه. ولذلك قال عمرو بن العاص:..قد سار إليك بأصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» إلخ..

ولو كان المراد طائفة منهم لم يصح قوله هذا.. بل كان يجب أن يقول: سار إليك بجماعة أو بطائفة من أصحاب محمد، أو نحو ذلك..

**ب:** إن هؤلاء الأصحاب لم يكونوا من رعا ع الناس. بل هم «أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» المعدودون» الذين لهم شأن، وبحسب لهم ألف حساب وحساب..

**ج:** إنهم فرسان الصحابة، المجربون في الحرب، المشهود لهم بالشجاعة، والفروسية، والخبرة.. مما يعني: أنهم هم الذين دافعوا عن هذا الدين، وناضلوا من أجله وفي سبيله..

**د:** إنهم القراء وحلفاء القرآن من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» مما يعني أنهم أهل بصيرة ودراية، وثقافة قرآنية، واهتمام ظاهر بأمر هذا الدين..

**هـ:** إنهم أشرف أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» وأهل السؤدد منهم.. الذين تكون كلمتهم مسموعة، ولهم مكانة مرموقة واحترام بين الناس.. وليسوا من الأراذل والأوباش. ولا من الحواشي والأتباع..

**و:** إنهم قدماء أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».. الذين



لهم تاريخ عريق في الإسلام، وواجهوا المشكلات من أجله.. وعاشوا أجواء الإيمان فيه، وتفاعلوا مع تعاليمه، ومفاهيمه، وانسجموا معه، ومارسوه، وذاقوا حلاوة الإستقامة على طريق الحق والخير، والهدى والصالح.. وثبتوا عليه، بالرغم من كل ما واجهوه من متاعب ومصاعب. وما حل بهم من مصائب ونوائب..

فهم ليسوا من الطلقاء، ولا من أبناء الطلقاء الذين ما أسلموا، ولكنهم استسلموا، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم..

ز: إن لهؤلاء الصحابة مهابة وعظمة، واحترام في نفوس الناس تمنع من الإقدام على مخالفتهم، فكيف بمحاربتهم؟!

### الحل الذي اقترحه ابن العاص:

وبعد أن قرر عمرو بن العاص لمعاوية المشكلة، وأبعادها على هذا النحو، وبين له مدى خطورتها. قدم له اقتراحاً شيطانياً للحل، يتمثل بما يلي:

1 - أن يشغل أهل الشام بأنفسهم، ويبعدهم عن النعيم والرفاهية، وعن لذائذ الحياة، ليعيشوا شظف العيش، ووعورته، وفرض حياة الخشونة عليهم، حتى لا يطيب لهم العيش، ولا يتعلقوا بالحياة، فتتراخي عزائمهم، ولتبقى فيهم نفحة من القوة والغلظة..

وهذا وإن كان في نفسه صحيحاً في تربية الجند، ولكنه يريد أن يستفيد من هذا في سفك دماء المسلمين، وفي تضعيف أمرهم، وتشتيت شملهم.

2 - أن يأخذهم بمضائق الغياض<sup>(1)</sup>، فعلى معاوية أن يواجه أهل الشام بالتقتير عليهم بقلّة الإمكانيات وبالصعوبات.. لكي يشغلهم البحث عن الحلول لها عن التفكير بما هو حق وباطل. وخطأ وصواب..

3 - عليه أن يغدق عليهم الوعود، التي تثير طمعهم، فإن ذلك يستثير مخيلتهم، ويشغلهم ذلك عن التفكير في كل ما عداه، كما أن مطامعهم هذه، ورجاء الخروج من متاعبهم ومصاعبهم تهون عليهم ممالة الباطل، ونصرة أهله على أهل الحق، ولا يبقى لديهم حصانة وجدانية من ارتكاب العظائم والجرائم والموبقات.

وهذا الطمع هو الذي يسهل عليهم الإنتظار، ويهون عليهم طول المقام، كما أن مداعبة مخيلتهم بهذه الأحلام تبعد حالة الملل والسأم عنهم..

4 - وبدون إنكاء روح الطمع فيهم، فإن طول المقام، سيجعلهم يشعرون بالفشل والعجز عن تحقيق ما يصبون إليه من التخلص من المصاعب التي هم فيها، وتسيطر عليهم كآبة الخذلان. وينهزمون نفسياً، وبذلك تتمهد السبل لانهمهم في ساحة الحرب والقتال..

5 - ثم ذكر عمرو بن العاص: أن على معاوية أن يتذكر دائماً أنه على باطل. مما يعني أن عليه أن يبعد الناس باستمرار عن الحجاج

---

(1) الغياض: جمع غيض، وهو القليل. يقال: غيض من فيض، أي قليل من كثير..

والإحتجاج، لأن ذلك يسهم في فشله، ويعجل بهزيمته..

### خطبة معاوية:

وقد أثرت كلمات عمرو بن العاص المتقدمة في قلب معاوية، ودعته للإسراع بتنفيذ وصية عمرو.. فأورد خطبته في أهل الشام.. وقد تضمنت بالتصريح أو بالتلميح ما يلي:

1 - إنه لجأ إلى أسلوب إثارة الحماس لدى أهل الشام.. وتحريك أريحياتهم للإقدام والبذل والعطاء، فقال لهم: «أعبرونا أنفسكم وجماكمم».

وشتان ما بين قول معاوية هذا، الذي يريد أن يصل به إلى غاياته الشخصية، ولو بإزهاق أرواح الناس، وبين قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «أعر الله جمجتك..» الذي يريد أن يكون العمل لله تعالى.

2 - أثار فيهم روح الأنفة من الفشل والخيبة، لأن ذلك مما تنفر منه الطباع.. ويأباه أهل النجدة، والكرامة لأنفسهم، فقال لهم: «ولا تفشلوا»..

3 - طلب منهم أن لا يخذل بعضهم بعضاً، لأن التخاذل صفة لا يرضى أهل الشرف أن تنسب إليهم..

4 - اعتبرهم في يوم مراهنه. يطلب فيه كل طرف ربح الرهان.. وهذا يثير حماسهم، ليكونوا في جملة الرابيين..

5 - اعتبر ذلك اليوم يوم ظهور الحقائق، وتبلورها وتجليها،

وذلك يدعوهم لتحسين أدائهم القتالي، ليظهروا بالمظهر اللائق..  
 وكل ما ذكره آنفاً، وإن كان من الأمور المرضية عند أهل  
 التدبير، ولكنها كلمات حق أريد بها باطل، وأي باطل. فإنه يهدف إلى  
 هدم أركان الدين، وضرب وحدة المسلمين، وإذهاب ريحهم، وإسقاط  
 هيبته، وإعادتهم إلى جاهليتهم الأولى.

**6 -** ثم آثار حميتهم على أعراضهم وحرماتهم، حين اعتبر ذلك  
 اليوم يوم دفاع عن الحرمات، مشيراً بذلك إلى أن التواني في الحرب  
 معناه التفريط بتلك الحرمات، وتعريضها للهتك والعبث والعدوان..  
**ومن الواضح:** أن هذا يستبطن التجني على أهل الحق، واتهامهم  
 بالباطل بهدف تحقيرهم، ونسبة الرذائل إليهم، لتنفير الناس منهم،  
 وإسقاط محلهم عندهم..

**7 -** ادعى لهم: أنهم على حق. وأن بأيديهم حجة، من دون أن  
 يدخل في التفاصيل، مع أنهم لو عادوا إلى أنفسهم لوجدوها خاوية من  
 أي شيء من ذلك..

**8 -** ثم تابع كلامه ليسجل بعض المفتريات، والأضاليل، فيدعي  
 أن علياً ومن معه قد نكثوا ببيعة عثمان.. مع أن أمير المؤمنين «عليه  
 السلام» كان يسعى لإصلاح الأمور بين عثمان وبين الثائرين عليه..  
 ولكن عثمان كان ينقض ما يتعهد به مرة بعد أخرى.. كما أن الذين مع  
 علي «عليه السلام» لم يقتلوا عثمان، لأن معاوية يعترف أن  
 المصريين هم الذين قتلوه..

وحتى إن كان بعض الأفراد الذين شاركوا في انتقاد عثمان حاضرين في جيش علي «عليه السلام»، فإنهم كانوا من القلة بحيث لا يمكن قياسهم بهذا الجمع العظيم.. وكان غيرهم أعظم أثراً في قتل عثمان منهم، ولا سيما عائشة، وطلحة والزبير، وحتى معاوية، فضلاً عن غيرهم..

على أن نكت بضعة عشرات من الرجال لبيعة خليفة سابق، لا يبرر الحرب على الخليفة اللاحق من أي كان من الناس.. لا سيما بعد أن أجمع الصحابة بكل فئاتهم على بيعته..

**9 - إن سفك بضعة رجال الدم الحرام، وتحريضهم على قتل عثمان لو صح.. لا يبرر لمعاوية ولا لغيره سفك دم سبعين أو ثمانين ألفاً من أهل القبلة، وليس هو خليفة، ولا قاضياً، ولا هو من أولياء دم عثمان..**

**علي × يبطل كيدهم:**

وقد بادر علي «عليه السلام» إلى بيان الحقائق التي حاول معاوية وعمرو بن العاص التعمية عليها، فجمع الناس حوله، وخطبهم.. وأقام الحجة عليهم، ولم يُبق لهم عذراً لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة..

ونستطيع أن نتلمس في موقفه هذا، وفيما قاله الكثير الكثير من الإشارات والحقائق، واللطائف والدقائق..

**ونختار منها هنا ما يلي:**

1 - إنه «عليه السلام» لم يترك معاوية وابن العاص يتصرفان، ويقولان ما يشاءان دون ردّ، بل آثر بيان فساد ما جاؤا به، فإن سياسة أمير المؤمنين «عليه السلام» كانت تعتمد على توعية الناس، ووضعهم أمام الحقائق كما هي، ثم إيكال الأمر إلى وجدانهم، وما تحكم به عقولهم.. ولم يكن يعطي لنفسه الحق في أن ينوب عنهم، ولا أن يعتبر فهمه وعلمه بالحقيقة يغني عن علمهم بها، ولم يسمح لنفسه فرض القرار عليهم بالإستناد إلى ذلك..

ولأن معاوية وابن العاص قد حاولا تعمية الأمور على الناس، وأوردا الأمور على شكل مسلمات قطعية. وهذا قد يزعزع يقين بعض من لم يتمرس في الأمور، ولم تحكمه التجارب، ويثير بلايل صدره، فإن من واجب أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يضع الأمور في نصابها، ويحفظ يقين هؤلاء، ويعيد للحق إشراقته ووضوحه في وجدانهم، ويعيد السكينة إلى قلوبهم بالدليل الساطع، والبرهان القاطع..

2 - إنه «عليه السلام» قد استحضر للناس صورة المصمم على الحرب، المستعد، حين خرج إليهم متوكئاً على قوسه، ليعرفّهم أنه لا يريد أن يحارب بهم عدوه، وإنما أن يحارب معهم أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء الدين والحق، وأعداء أهل الحق والدين. وأنهم إن تخلفوا عن واجبهم الديني، والعقلي والوجداني هذا، فإن ذلك لا يثنيه عن عزمه، ولا يؤثر على قراره المستند إلى الحجة الواضحة..

3 - إنه «عليه السلام» قد جمع أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنده، فهم حوله.. لأن الناس حين يجتمعون إليه، ويريد أن يكلمهم، فإن الأنظار سوف تتوجه إليه، وسوف تستوعب تلك النظرات هذا المشهد المهيّب المحيط به، ويعطيهم بذلك الإيحاء بأن قرار الحرب هو خيار وقرار: الخيار، والكبار، والأشراف، والقادة، والفرسان، والقدماء، وأهل السابقة، والأبرار من صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» على حسب توصيف عمرو بن العاص لهم عند خدينه معاوية..

ولا يستطيع أحد أن يدعي أن هؤلاء يجتمعون ويتفقون على نصره الباطل، ويطلبون - كلهم - حطام الدنيا، ويفرطون بدينهم، ويعرضون هذه الألوف من المسلمين لخطر القتل، من أجل أغراض هي محض شخصية، وأهواء وشهوات دنيوية..

وفي مقابلهم الطلقاء وأبناؤهم، الذين حاربوا الإسلام منذ لحظة ظهوره، وانفجار نوره، واستمروا على محاربتة إلى أن عجزوا، واضطروا إلى الإستسلام، فتظاهروا بالإسلام..

4 - أما خطبته «عليه السلام» فيمكن تلخيص بعض مضامينها

على النحو التالي:

**دعائم استند إليها معاوية:**

إنه «عليه السلام» قد حذر الناس من الأصول التي أقام عليها معاوية وعمرو بن العاص دعوته لأهل الشام إلى الحرب..

**ألف:** إنه «عليه السلام» بعد أن بدأ كلامه بطلب سماع مقالته، ووعي مضامينها قرر أن معاوية قد اعتمد على تزيينات وتخيلات لا واقع لها، مع أن على الإنسان أن يتعامل مع الأمور بواقعية، وصدق، ولا يقع تحت تأثير الأوهام، والإنفخات الكاذبة، والزهو والخيلاء، التي تنشأ عن رؤية الكثرات والأحجام.. وأن لا يغتر بالشعارات، والبهرجات، لأن ذلك ينتهي به إلى التجبر عوضاً عن مراعاة الحقوق.. وإلى العدوان، عوضاً عن العدل والإنصاف.. ولذلك قال «عليه السلام»: «فإن الخيلاء من التجبر».

**ب:** إن العدوان على الناس، وإزهاق أرواحهم، لا يمكن أن يكون مستنداً إلى مجرد النخوة، والحماس التي تنشأ عن حالة من التكبر، التي تؤدي إلى رؤية الأمور بمنظار غير واقعي، لأن هذه الحالة تعني أن يضخم الصغير ويصغر الكبير، تبعاً للميل والهوى.. بل لا بد أن يستند إلى الحجة التي توصل إلى الحق، ليكون هو المعيار، والفيصل في الأمور. والمرجع عند الاختلاف.. ولعل هذا ما يرمي إليه بقوله «عليه السلام» أيضاً: «والنخوة من التكبر».

**ج:** ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «وإن الشيطان عدو حاضر، يعدكم الباطل»، إلى أن على الناس أن لا ينساقوا وراء الوعود والأمانى، وأن يتذكروا أن ثمة فرقاً كبيراً بين وعود أهل الباطل وما وعد الله عباده، فوعد أهل الباطل هي تلك الوعود التي يكون للشيطان حظ فيها، ولو من خلال أدواته، الذين يريدون لهذه



الوعد أن توصلهم إلى غايات شخصية دنيوية. ويتخذونها مصادم ومكائد، تهدف إلى اغتيال دين الناس، وأخلاقهم وقيمهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وجعلها وقوداً لشهوات وغرائز ممثلي الشيطان وجنوده من الإنس. والذين فرضوا على الناس خيارهم وقرارهم..

أما ما وعد الله تعالى به عباده المجاهدين في سبيله، والعاملين في خط طاعته على لسان أنبيائه ورسله، وأوصيائهم، وحملة الأمانة الإلهية، فهي الرضوان من الله، والفوز بمنازل الكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة..

### المنطلقات والمعايير عند أهل الحق:

ثم إنه «عليه السلام» بادر إلى إعادة تذكير الناس بالمنطلقات الإيمانية، والحقائق الراهنة، والضوابط والمعايير الشرعية، والوجدانية، والعقلية، التي تحفظ الحق وأهله، وتكرس لهم الفوز والفلاح، والسعادة والنجاح في الدنيا والآخرة، فقرر «عليه السلام» القواعد التالية:

1 - إن دين الإسلام يقول: المسلم أخو المسلم.. لأن المجتمع الإيماني بحسب النظرة الإلهية بمثابة عائلة واحدة، كما قال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (1)، أو (..فَاتَّقُونِ) (2)

(1) الآية رقم 92 من سورة الأنبياء.

(2) الآية رقم 52 من سورة المؤمنون.

ولهذه العائلة مرب واحد يهتم بشؤونها، ويدبر أمورها من موقع العقل والحكمة، والشرع والدين، والمحبة.. وهو النبي أو الوصي، وفق ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»(1).

(1) راجع: البرهان (تفسير) ج 1 ص 369 ومعاني الأخبار 52 و 118 و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 85 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 1 ص 91 و علل الشرائع ص 127 وكمال الدين ص 261 والأمالى للصدوق ص 65 و 411 و 755 و بحار الأنوار ج 16 ص 95 و 364 و ج 23 ص 128 و 259 و ج 26 ص 264 و 342 و ج 36 ص 6 و 9 و 11 و 14 و 255 و ج 38 ص 92 و 152 و ج 39 ص 93 و ج 40 ص 45 و ج 66 ص 343 و مستدرك سفينة البحار ج 9 ص 264 و ج 10 ص 455 و مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 300 و روضة الواعظين ص 322 و خاتمة المستدرك ج 5 ص 14 و الغارات للثقفي ج 2 ص 717 و 745 و كنز الفوائد ص 186 و العمدة لابن البطريق ص 345 و الروضة في فضائل أمير المؤمنين ص 133 و سعد السعود ص 275 و العقد النضيد والدر الفريد ص 70 و المحتضر للحلي ص 73 و الصراط المستقيم ج 1 ص 242 و 243 و تفسير أبي حمزة الثمالي ص 159 و نور الثقلين ج 4 ص 237 و 238 و كنز الدقائق ج 1 ص 286 و ج 2 ص 440 و مفردات غريب القرآن ص 7 و تفسير الألوسي ج 22 ص 31 و بشارة المصطفى ص 97 و 254 و نهج الإيمان ص 625 و 629 و ينابيع المودة ج 1 ص 370 و مشارق أنوار اليقين ص 43 و 289 و غاية المرام ج 1 ص 177 و 250 و ج 2 ص 179 و 211 و ج 3 ص 70 و ج 5 ص 118 و 122 و 299 و 301 و 303 و ج 6 ص 66 و 155 و 166 و

وسائر المؤمنين والمسلمين أعضاء في هذه الأسرة، وهم بمثابة الأخوة في هذه العائلة. ولذلك قال «عليه السلام» هنا: «إن المسلم أخو المسلم»..

2 - ثم ذكر «عليه السلام» أن هذه الأخوة ليست مجرد شعار يطلق أو زينة يتجمل بها المتجملون، وليس وراءها إلا الخواء والهباء.. بل هي أخوة مسؤولة، ومنتجة، وفاعلة على الصعيد العام، ولها تأثيرها القوي في الواقع العملي والممارسة، والمشاركة في كثير من شؤون الحياة. ولكنها مشاركة لصالح الإخوة أنفسهم، وليس لصالح فريق آخر يستغلهم، ثم يلقي بهم في سلة المهملات، فلا يبقى لهم أثر، لا في الذكر ولا في الذاكرة.

وقد أشار «عليه السلام» بقوله: «فلا تناذبوا، ولا تخاذلوا» إلى هذه المسؤولية التي فرضتها هذه الأخوة.

فعدم التناذب والتخاذل نشأ عن معنى الأخوة، التي قررها الله سبحانه، ولم يفرض ذلك عليهم قرار حاكم يريد أن يكون عدم التناذب والتخاذل سبب قوة يستفيد منها في الوصول إلى شهواته، وطموحاته الباطلة، التي تتجسد ظلماً وعدواناً، وإغضاباً لله سبحانه.. بل إن ذلك

---

167 و ج7 ص128 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص100 و 227 و 366 و ج5 ص95 و ج7 ص216 و ج13 ص77 و ج15 ص518 و 519 و ج20 ص230 و ج22 ص280 و 282 و 346 و ج23 ص580 و 621.

الحاكم نفسه قد يبذل كل جهده لزرع بذور التناوب والتخاذل بين إخوانه حين يريد أن يستفيد من ذلك لخدمة مشاريعه الهدامة، وأهدافه الشريرة..

3 - ثم ذكر «عليه السلام» مسلمة أخرى تقول: «..فإن شرائع الدين واحدة» فلا يمكن أن تختلف في شيء، فإذا اختلفت يعلم أن الاختلاف لم يأت من قبل الشرع، لأن حكم الله واحد، وما عداه باطل وزائف..

4 - وإذ قد اختلفت هذه الأمة في بعض الأمور، فلا بد من البحث عما هو حق، والأخذ به، ومعرفة الباطل، واجتنابه، والتحرز منه.

**ومن الواضح:** أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وضع للناس ما يعرفهم بالحق ويوصلهم إليه، ولذلك قال «عليه السلام» عن الدين الذي هو الحق: «وسبله قاصدة».. أي أن الطرق التي توصل إلى الدين وأحكامه، وحقائقه قاصدة أي مستقيمة، ليس فيها التواء أو انحراف.

وقد صرح رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأن علياً مع الحق، والحق مع علي «عليه السلام»، وبأن عماراً تقتله الفئة الباغية.. وأخذ «صلى الله عليه وآله» البيعة لعلي «عليه السلام» يوم الغدير..

وهؤلاء أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» المعدودون، وقرائهم، وأشرافهم، وقدمائهم في الإسلام يرى الناس

بأم أعينهم أنهم مع علي «عليه السلام» وحوله، كما صرح به عمرو بن العاص لمعاوية، فلا مبرر لارتياب أحد من الناس؟! ولماذا يتعامون عن الحق الواضح؟! ولماذا يعطون قيادهم باختيارهم لأصحاب الأهواء وطلاب اللبانات ليخدعوهم، وليضلّوهم، وليقودوهم إلى المهالك في الدنيا والآخرة؟!!

5 - ثم بيّن «عليه السلام» ضرورة الأخذ بشرايع الدين، وسلوك سبله، وبلوغ مقاصده.. لأن هذا هو الخيار الصحيح، الذي أكد «عليه السلام»، ودعا إليه، ورفض ما عداه، والسبب في ذلك: أن الأمر يدور بين ثلاثة خيارات، هي:

**ألف:** الأخذ بهذه الشرايع.. ونتيجة ذلك: هي اللحوق بمنازل الأبرار، من الأنبياء وأوصيائهم، ومن سار على نهجهم.

**ب:** أن يترك هذه الشرايع ولا يهتم برعايتها.. فتكون نتيجة ذلك هي المروق والخروج من الدين، وتجاوز حدوده، بصورة عملية، وإن لم يتعمد ذلك..

**ج:** أن يتعمد مخالفة الدين في شرائعه وأحكامه، فيكون قد أهلك نفسه، بل محققا بحيث لا يبقى أي أثر يدل عليها، لأن تعمد مخالفة شرائع الدين معناه: أن تتناهشه أنياب الحوادث والنوائب من كل جانب ومكان، حتى تمحوه عن صفحة هذا الوجود.. ثم يكون من الهالكين في اليوم الموعود، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وهذا هو المراد بقوله «عليه السلام»: «من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق، ومن فارقتها محق».

### علامات أهل الباطل:

ولكي يعرف الناس ما يميز الفريقين المتحاربين في صفين بيّن «عليه السلام» سمات وصفات كل منهما عن الآخر، وقد ظهر أنه «عليه السلام» يريد أن يحدد للناس فريق أهل الباطل، ولكن بطريقة ذكر الضابطة، وإفساح المجال للناس أنفسهم ليطبقوها على أصحابها. ولكنه حين تحدث عن فريق أهل الإيمان بادر هو نفسه إلى ممارسة هذا التطبيق، فالبنسبة لأهل الباطل أعطى «عليه السلام» علامات ثلاث، تميز المسلم، ويعرف بها..

**ويلاحظ:** أنه «عليه السلام» قال: «المسلم» ولم يقل: «المؤمن»

وهذه العلامات هي:

**أولاً:** ليس المسلم بالخائن إذا أوّتمن..

**ثانياً:** ليس بالمخلف بوعدده إذا وعد..

**ثالثاً:** ليس بالكذاب إذا نطق..

فعرّف الناس بغير المسلم ببيانه للصفات والعلامات التي لا يتصف بها المسلم، ولا تكون فيه.. ولو فكر سامعوه بتلمس هذه العلامات، فسيجدون أن الخيانة للأمانة، والخلف بالوعد، والكذب في القول.. هي من أظهر سمات الفريق الذي جاء لحرب أمير

المؤمنين «عليه السلام»، فيجب أن يدلهم ذلك على أن في إسلام هؤلاء القوم ريب وشبهة، يجب أن تحجز الناس عن الإنسياق معهم، وتدعوهم لمراجعة حساباتهم..

### علامات أهل الإيمان:

ثم إنه «عليه السلام» حين أراد أن يتحدث عن أهل الإيمان والإسلام، جعل نفسه وهو قائد فريق أهل الإيمان، ومحور تلك الأوصاف، وطبقها مباشرة على نفسه، وبلا موارد، وقد اشتملت على ما يلي:

1 - إنهم «عليهم السلام» أهل بيت الرحمة.. وقد بدأ بهذه الصفة، ليعرفهم أنه داعية سلم وأمان، ومحبة، وهناء وسعادة.. وليس داعية حرب، وسفك دماء، وتعريض عشرات الألوف من المسلمين للمصائب والبلايا، والكوارث والرزايا، لتثمر آلام الناس للحكام والمتسلطين ما يصبون إليه من مباحج، وملذات، وإشباع للغرائز والشهوات..

إنهم أهل بيت رحمة وعطف وحنان، يعيشون ذلك نهجاً وطريقة، وسلوكاً، تبلور في ظل عمل تربوي هيمن على الأسرة، وأصبح جزءاً من خلفيات مختلف العناصر المكونة لها..

فهو ليس استثناء تفرد به فرد منها لأسباب توفرت له، ولم تتوفر لغيره..

**وليلاحظ:** أن قوله «عليه السلام»: «نحن أهل بيت الرحمة» قد

جاء في المورد الحاجة إليه، وحيث يشعر الناس بفقده، أو بضعف حضوره.. لأنهم في ساحة حرب يشارك فيها عشرات، بل مئات الألوف، يشعر الإنسان فيها بجفاف عاطفي هائل، بسبب أجوائها العدوانية، وحيث يرى السيوف والرماح تحاصره، وتسد أمامه طرق النجاة والخلص..

إنها حرب يتوقع أن يقتل فيها عشرات الألوف.. مما يعني أن النفوس مهيأة لتقبل قتل من يقتل، وجرح من يجرح، وراضية بما يترتب على ذلك من ترميل للنساء، وتفكك في العائلات، ومن مشكلات إجتماعية، ومأس عاطفية وإنسانية..

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول: إن الأمر بالنسبة إليه ليس كذلك، فإن الرحمة جزء من تكوينه، ومن طبيعته، ومن حياته، ومن بيئته، والمحيط الذي نشأ فيه. وهي المبدأ والأساس الذي يقوم عليه البناء الأخلاقي والنفسي والروحي لشخصيته الإنسانية.

**ويلاحظ هنا:** أن ثمة فرقاً ظاهراً بين ما قاله الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا، فإنه اقتصر على الإشارة إلى أنهم أهل بيت الرحمة.. وبين ما قاله الإمام الحسين «عليه السلام» لمروان ولوالي المدينة، حين أرادوا إجباره على البيعة ليزيد: «إننا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي والتنزيل، بنا فتح الله وبنا يختم.. ويزيد رجل فاسق، فاجر، قاتل للنفس المحترمة،



شارب للخمر، معلى بالفسق ومثلى لا يبايع مثله»(1).

فإنه «عليه السلام» لم يشر هنا إلى الرحمة، بل تحدث عن النبوة والرسالة، ليبين الأساس الأهم الذي تقوم عليه الإمامة. وهو الوحي والنص..

والتكوين، والأهلية الروحية والأخلاقية، والتوازن في الشخصية، وفي الملكات الإنسانية، من خلال النشأة، والبيئة، والتربية.. بالإضافة إلى الطهارة التي يعيشها الإنسان.. والعلم الصحيح الذي يتلقاه بالوحي، لأن بيته «عليه السلام» بيت النبوة، ومعدن الرسالة..

أما أمير المؤمنين «عليه السلام» فكان يريد أن يفهمهم أن الرحمة، كل الرحمة الحقيقية هي في بيته، ومنه، وإليه.. ولذلك جاء بكلمة الرحمة محلاة بكلمة «أل» التي تشير إلى الحقيقة كلها، ولم يقل: نحن أهل بيت رحمة، لأن هذا التعبير قاصر عن إفادة أن حقيقة الرحمة كل الرحمة، كامنة في ذلك البيت بجميع حالاتها، ومختلف مراتبها.. بل إن استغراق بيته «عليه السلام» في الرحمة قد بلغ حداً جعله ينتسب إليها، ويصير «بيت الرحمة» وكأنه ليس فيه سواها..

---

(1) راجع: مقتل الحسين «عليه السلام» للمقرّم ص139 ومثير الأحران لابن نما الحلبي ص24 والفتوح لابن أعمّ ج5 ص18 وبحار الأنوار ج44 ص325 والعوالم، الإمام الحسين ص174 ولواعج الأشجان ص25 واللهور في قتلى الطفوف ص17.

أوليس لها بيت سواه.

2 - ثم قال «عليه السلام»: «وقولنا الصدق»، ولم يقل: أقوالنا صادقة، أو نصدق في قولنا، بل أخبر عن اسم الذات، وهو القول، باسم المعنى، وهو الصدق، فهو من قبيل: زيد عدل.. ليدل على أن التلازم بين أقوالهم، وبين صفة الصدق لا ينفك، حتى صارت هذه الصفة كأنها عين أقوالهم، حتى ليصح الإخبار بها عنه..

وأما سائر الصيغ، فلا تدل على ذلك، إذ يكفي في صحة انتسابها إلى القول مجرد حصول الصدق، ولو اتفاقاً..

أما مناوئوه، فإنهم على ما وصفهم به: «المخلفون إذا وعدوا، والكاذبون إذا نطقوا»، وبذلك يظهر البون الشاسع بين هذا الفريق وذاك..

3 - والصفة الثالثة، هي قوله «عليه السلام»: «ومن فعالنا القصد».

والقصد: ضد الإفراط والتوغل، والقصد أيضاً: هو الإستقامة، والعدل في النفقة، والتوسط بين الإسراف والتقتير، والرشد.

وأين هذه المعاني؟! الرشد، والعدل، والإستقامة، والتوسط في الأمور من صفات أعدائهم «عليهم السلام»، التي منها: الخيلاء، والتكبر، والتجبر، والخيانة للأمانة، وخلف الوعد، والتناؤذ، والتخاذل، وغير ذلك من الصفات الظاهرة فيهم، حسبما أشار إليه «عليه السلام».

كما أن من يكون من صفاته الوفاء، والقصد، والصدق، وغير ذلك مما تقدم لا يمكن أن يقبل في حقه ما يدعيه عليه أعداؤه ومناوئوه..

4 - ثم قال «عليه السلام»: «ومنا خاتم النبيين».. مما يعني أنهم «عليهم السلام» هم الأدلاء على الله، والعارفون بشرعه، ودينه، فيجب على العباد أن يرجعوا إليهم، ويأخذوا منهم وعنهم..

5 - ثم قال «عليه السلام»: «ومنا قادة الإسلام»..

وذلك يسقط كل دعاوى الآخرين فيما يرتبط بالإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله». كما أنه يحبط مساعي معاوية لادعاء الإمامة لنفسه، أو لغيرهم من السلف والخلف، لأنه «عليه السلام» قد فرغ من إثبات حقه حين يقول: بأن منهم قادة الإسلام، ومنهم خاتم النبيين، ولهم سائر الصفات.

وقد دل بذلك أيضاً: على أن معاوية وفريقه، بل جميع من يرى علي «عليه السلام» غاصب لحقه ليسوا من أهل بيت الرحمة، الذين منهم خاتم النبيين، وقادة الإسلام.

**يضاف إلى ذلك:** أن كل من كان يرى علي «عليه السلام» قد أخذ حقه لم يكن من قادة الإسلام سواء في ذلك عثمان أو غيره.. ولم نجد في بيوتات قريش من يستحق أن يقال: إنه من أهل بيت الرحمة الذي خرج منه خاتم النبيين سوى بني هاشم..

وإذا نظرنا إلى هذا البيت، فلا نجد فيه بعد رسول الله «صلى الله

عليه وآله» من هو مثل علي والحسن والحسين «عليهم السلام»، وهم الذين نزلت الآيات، وجاءت الأحاديث الكثيرة التي لا تكاد تحصى عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في فضلهم، وطهارتهم، وعصمتهم، وعلمهم، وإمامتهم، وتقدمهم، وما إلى ذلك من مقامات سامية عند الله تعالى.

**والخلاصة:** إنه «عليه السلام» بكلامه المشار إليه إنما يقصد نفسه، وأبناءه.. بل الظاهر أنه يقصد الأئمة الإثني عشر «عليهم السلام» جميعاً، لأنهم هم الذين أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن أنهم الخلفاء والأمراء والأئمة من بعده..

وبذلك يكون «عليه السلام» قد أبطل كل ما كان يحاول مناوئوه التسويق له.. من أن أبا بكر وعمر وعثمان هم من الأئمة الإثني عشر الذين أخبر «صلى الله عليه وآله» عنهم..

**6 -** أما قوله «عليه السلام»: «ومنا قراء الكتاب»، فبالإضافة إلى ما له من دلالة إثباتية بالنسبة لمواصفات الإمام من أهل البيت «عليه السلام».. فإنه يدل بالتعريض والإلماح على أن الفريق الآخر فاقد لهذا الأمر الذي لا بد منه في الإمام والإمامة..

كما أن فيه إلماحة أخرى إلى أن من يدعون أنهم من القراء إنما هم مجرد حفاظ يرددون ألفاظ القرآن، وليسوا قراءً بالمعنى الدقيق والعميق لهذه الكلمة التي تعني التدبر في القرآن، ومعرفة محكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وسائر ما يرتبط به، وليس هؤلاء

إلا الأئمة الإثنا عشر «عليهم السلام»، حيث يقصد بها حصر القراء للكتاب بأهل بيت الرحمة، الذين منهم خاتم النبيين، وهذا يشعر بأن غير هؤلاء فاقد لهذه الميزة الفريدة.

**ما يدعو إليه قادة الإسلام:**

ثم إنه «عليه السلام» أعلن الخطوط العريضة لما يدعو الناس إليه، فدعاهم إلى أمور عشرة، وهي التالية:

- 1 - دعاهم إلى الله تعالى.
- 2 - دعاهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».
- 3 - ثم دعاهم إلى جهاد عدو الله.
- 4 - الشدة في أمر الله.
- 5 - إلى ابتغاء رضوان الله.
- 6 - إقام الصلاة.
- 7 - إيتاء الزكاة.
- 8 - حج البيت.
- 9 - صيام شهر رمضان.
- 10 - توفير الفيء لأهله.

وإذا أردنا أن ننقل نظرة على هذه الأمور، نقول:

## إلى الله ورسوله:

أما قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ندعوكم إلى الله وإلى رسوله»، ففيه إشارة إلى العديد من الأمور:

أولاً: قوله «عليه السلام»: «ندعوكم».. يشير فيه إلى:

ألف: إن هذه الدعوة ليست دعوة من شخص علي «عليه السلام»، بل هي دعوة جميع أهل بيت الرحمة.

ب: إن أهل بيت الرحمة لهم دعوة واحدة.

ج: إن دعوته «عليه السلام» هي دعوة جميع قادة الإسلام، وقراء الكتاب، وأهل بيت الرحمة.

هـ: إنه «عليه السلام» قد أوضح أنه ليس ممن يتعاملون مع الناس بمنطق العصا والجزرة. فهو لا يفرض قراراته على أحد، بل يرى أنهم هم الذين يتخذون القرار في أكثر الأمور حساسية. ومنها الأصول العشرة التي أشار إليها «عليه السلام»..

ولأجل ذلك دعا «عليه السلام» الناس باسم جميع أهل بيت الرحمة، وقادة الإسلام إلى أن يقرروا موقفهم من هذه الأمور المعروضة عليهم..

ثانياً: قوله «عليه السلام»: «إلى الله» يظهر الفرق بين دعوة أهل الباطل، ودعوة أهل بيت الرحمة.. فأهل الباطل يدعو الناس إلى أن يعيروهم أنفسهم وجماعهم. فالمستعير هو زعماء أهل الباطل،

وإنما يستعيرون ذلك لأنفسهم، والمستعار هو الأنفس والجماعم..  
 أما أهل بيت الرحمة وقادة الإسلام، فهم يدعون الناس لا  
 لأنفسهم، ولا ليقضوا لهم حوائجهم، بل يدعونهم إلى الله سبحانه..  
 وحين يدعونهم إلى الله لا يدعونهم ليموتوا، بل ليعيشوا في رحابه  
 سبحانه، ويفوزوا بسعادة القرب والزلقى عنده تعالى.. وليكون الله  
 تعالى هو قائدهم ورائدهم، والهادي والمحرك لهم، وليس أصحاب  
 المصالح، والأهواء والمطامع.  
 وذلك يظهر الفرق الشاسع ما بين دعوة أهل الباطل، ودعوة أهل  
 بيت الرحمة، وقادة الإسلام..

**ثالثاً:** قال «عليه السلام»: «وإلى رسوله».. ولم يقل: إلى الله  
 ورسوله.. مع أنه لا شيء في اللغة العربية يمنع من حذف حرف  
 الجر..

#### ويبدو أن سبب ذلك:

**ألف:** أن الله تعالى مرجع للناس، ورسوله «صلى الله عليه وآله»  
 أيضاً مرجع مستقل لهم..

**ب:** إن ذلك يدل على أن ثمة هامشاً واسعاً يرتبط برسول الله  
 «صلى الله عليه وآله» أوكل الله تعالى الأمور فيه إليه، وأذن له  
 بالتصرف فيه، ولا بد للأمة من أن تتعاطى معه «صلى الله عليه  
 وآله» فيه.. وهذا يشبه في بعض وجوهه: أنه تعالى أوكل لملك الموت  
 قبض الأرواح، وأذن «للمدبرات أمراً» أن تدبر وتتصرف في بعض

الشؤون.. وأذن لعيسى «عليه السلام» بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.. وسخر الجبال والرياح، وأخضع الطير والوحوش، وسواها لسليمان وداود..

**ج:** إن الإرجاع إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن إليه كشخص، وإنما كرسول معني بأمر الدين، ونشره، وإقامة دعائه، والإلتزام بأحكامه..

**د:** قد ظهر: أن إضافة كلمة: «إلى» في قوله: «وإلى رسوله» لم يكن عبثاً، ولا لمجرد التشريف والتكريم، ولا لأنه مجرد مبلغ عن الله تعالى، وقد مضى دوره وانتهى، وصار بالإمكان الإكتفاء بالإرتباط بالله عن الرجوع إلى الرسول.. بل ليدل على أنه لا بد من الرجوع إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» بصورة فعلية وعملية. كما لا بد من الأخذ بأوامره، وتوجيهاته، واستنطاق مواقفه وأفعاله..

**رابعاً:** ثم دعاهم أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى جهاد عدو الله.. ولم يقل: جهاد عدوه هو «عليه السلام».. ولكن معاوية وابن العاص طلبا من الناس أن يعيروهما أنفسهم وجماعهم. مما يعني أنهما يريدان لهم أن يموتوا دفاعاً عنهما..

**خامساً:** ثم دعاهم «عليه السلام» إلى الشدة في إجراء أمر الله سبحانه.. لا أن تكون الشدة هي تلك التي تنتجها الأهواء والعصبية الجاهلية، ولا التي ينتجها الخيلاء، والتجبر أو النخوة والتكبر، أو الإستكبار والتبخر. ولا الشدة في حمل الناس على الظلم والعدوان،



والأذى للناس، ومخالفة الشرع والدين، ولا التشدد في إجراء الأحكام الشيطانية، أو التي تنتجها الأهواء والمصالح الشخصية، أو العشائرية، وما إلى ذلك..

**سادساً:** دعاهم «عليه السلام» إلى ابتغاء أمر الله سبحانه، لا إلى ابتغاء حطام الدنيا، أو الحصول على المقامات والمناصب، وما يرضي الشيطان، ويغضب الرحمان..

**سابعاً:** دعاهم إلى الإلتزام بأحكام الشريعة، وعبادة الله سبحانه وحده لا شريك له، لأن ذلك يحفظ إيمانهم، ويساعدهم على الإلتزام بأحكام الدين، والإبتعاد عن الهوى والباطل والمعاصي..

**ثامناً:** وأخيراً.. دعاهم «عليه السلام» إلى توفير الفيء لأهله.. وهذا يذكر الناس بسياسات مناوئي أهل البيت، ومنهم معاوية وفريقه، وما كان في عهد عثمان.. من استنثار بالفيء وإعطائه لغير أهله حتى ثار الناس على عثمان وقتلوه.

ولم يزل معاوية يتابع سياسة عمال عثمان، ويتخذ عباد الله خولاً، ومال الله دولاً.. ويريد بحربه هذه إعادة الأمور في البلاد والعباد إلى ما كانت عليه في ذلك العهد، والقضاء على النهج الذي بدأه علي «عليه السلام» في أمر الفيء، وتوفيره على أهله، وعدم المفاضلة بين الناس فيه..

ولا بد أن يربطوا بين هذا كله، وبين ما صرح به عمرو بن العاص في وصيته المتقدمة لمعاوية: بأن عليه أن يقتر على الناس،

ويحرمهم، ويذيقهم طعم الحاجة، ويحملهم على الجهد. وأن يكتفي بإزجاء الوعود لهم..

### أعجب العجائب عند علي ×:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن أعجب العجائب عنده أن معاوية وعمرو بن العاص أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما..

وقد أطلق «عليه السلام» كلامه هذا بحيث يفهم منه: أن هذا الأمر هو من أعجب العجائب حقيقة وواقعاً وعند جميع الناس، ولا ينسب هذا التعجب لنفسه وحسب..

وكأنه «عليه السلام» يريد أن يقول: إن من يعرف حال هذين الرجلين وتاريخهما، وما يفكران به، وما يمارسانه من أعمال سيدرك هذه الحقيقة، من خلال إدراكه لمدى التنافر بين طبائع وحالات وسلوك هذين الرجلين، وبين الدين وآدابه وأخلاقه وشرائعه، وشعائره، وحقائقه، وغير ذلك..

وكأن من يطلب لديهما شيئاً من الدين كمن يطلب جذوة نار في أعماق البحر المحيط.. أو يطلب من الشيطان أن يكون ملاكاً، أو نبياً.. فمن يصدق هذا وذاك يمكنه أن يصدق أن عمرو بن العاص ومعاوية يحرضان الناس على طلب الدين بإخلاص وصدق..

ثم إنه «عليه السلام» لم يتكل على معرفة الناس به، ولا اكتفى

بمجرد إطلاق الدعوى، بل شرع في تنفيذها بالشاهد والدليل، الذي كان الناس يعرفونه ويتداولونه، وهذا ما صرح به للناس حيث قال لهم: إنهم يعلمون ما يقوله لهم..

والأمور التي ذكرها للناس، أو ذكّرهم بها، مصرحاً بأنهم يعلمونها هي التالية:

**الأول:** إنهم يعلمون بأنه «عليه السلام» لم يخالف رسول الله «صلى الله عليه وآله» قط.

**الثاني:** إنهم يعلمون بأنه «عليه السلام» لم يعص الرسول في أمر قط.

والفرق بين هذين الأمرين واضح، فإن المخالفة لأمر النبي «صلى الله عليه وآله» والتمرد عليه يعد مخالفة للأمر، ومعصية للرسول «صلى الله عليه وآله».

ولكن المخالفة للرسول في غير موارد الأمر والنهي، لا تعد معصية لأمر أو لنهي الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولكنها تكون مخالفة محرمة له، حيث يلزم منها: التكذيب المتعمد.. أو غير محرمة إذا كان جاهلاً بما قاله «صلى الله عليه وآله» له.. وهذا إنما يكون في غير موارد التشريع، كما لو خالفه في بعض ما يخبر به عن السابقين، أو عن بعض الأمور الكونية، أو أي شيء آخر، فإن ذلك يعد مخالفة له «صلى الله عليه وآله» وليس مخالفة لأمره، أو نهيه لعدم وجود أمر ولا نهى من الأساس..

**الثالث:** إنهم يعلمون: أنه «عليه السلام» كان يقي النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه في الشدائد القصوى التي تنكص فيها الأبطال.. وذلك يشير إلى أنه «عليه السلام» لم يكن مع الرسول «صلى الله عليه وآله» بهدف الإستفادة منه، أو من دعوته: مقاماً، أو جاهاً، أو مالاً، أو أمناً وسلامة لشخصه، أو أي شيء آخر، بل كان معه في حروبه بهدف حفظ الرسول والدفاع عنه وعن دينه، وتقديم التضحيات في هذا السبيل، وكانت نفسه «عليه السلام» هي أول ما يضحي بها، ولذلك كان يقي النبي بنفسه في أشد الأحوال، وحيث تنكص الأبطال، وتتخلى عنه الرجال..

وكانه «عليه السلام» يريد أن يقول: إن معاوية يدّعي للناس أنه جاء يطلب الدين من علي، مدعياً أن الدين مفقود عند علي «عليه السلام»، مع أن علياً هو عصارة الدين، وخالصة الإيمان، وعين اليقين والإخلاص، ومحض الإلتزام بأمر الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» وهو الباذل لنفسه في سبيله..

فكان معاوية بحربه لعلي «عليه السلام» يقول للأنبياء وأوصيائهم، وكل صالح وتقي: أن الشيطان ملاك، وأنتم الفسقة الفجرة الذين يجب قتلهم وتخليص الدين منهم..

فهل هذا إلا مثل ادعاء أن الملاك شيطان؟!!

ولكنه «عليه السلام» استدرك على هذا التذكير الذي يعرف الناس مضمونه: بأنه لا يريد أن يوظف هذه التضحية والوقاية

لرسول «صلى الله عليه وآله» بنفسه لصالحه كشخص، بل هو لا يريد أن ينسبها لنفسه أصلاً.. كما أنه لا يريد يدعي أن لديه قدرة خارقة، يستطيع أن يميز بها نفسه عن سائر عباد الله. وإنما هو ينسب ما لديه من قدرة إلى الله سبحانه، لأنها منحة، وكرامة أكرمه الله بها يرى نفسه ملزماً بأداء واجب الحمد له تعالى عليها..

**الرابع:** ثم أضاف «عليه السلام» إلى ما تقدم: أنه «عليه السلام» هو الذي كانت له الخصوصية برسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الحد الذي لا يستطيع أن يدّعيه من الأمة لنفسه، إلا مُدْلِ بباطل، أو متعمد الكذب..

كما أن له «عليه السلام» ارتباطاً بالملأ الأعلى، لأنه هو الذي غسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحده، وكانت الملائكة تغلبه له..

**فهل يمكن أن يقال لمن هذا حاله:** إنك تخالف الدين، ونريد أن نحملك على العودة إليه، والإلتزام به؟! وهل يمكن لأحد أن يجمع الجيوش لقتاله «عليه السلام» تحت هذا الشعار، وعلى هذا الأساس؟! ثم تخاض حروب تزهق فيها أرواح عشرات الألوف من أهل القبلة؟! أليس هذا من العجائب والغرائب، وما عشت أراك الدهر عجباً!!

**ظهور أهل الباطل على أهل الحق:**

**والأهم من كل ما تقدم:** أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان يواجه في صفيين حرباً هائلة وخطيرة، وكان بأمس الحاجة إلى

الإحتفاظ بالمقاتلين، بل واستجلاب المزيد منهم.

**ومن المفترض:** أن يكون جهده مصروفاً إلى إثارة الحماس لديهم، وأن يثير حميتهم، ورغبتهم في القتال.. والذي يبعث الحماس فيهم، ويشد من عزيمة المقاتلين، ويزيد من رغبتهم في المشاركة، هو توقع حصول النصر على أيديهم، وتحقيق الغايات، وإسقاط مقاومة العدو في تلك المعركة..

**والمتوقع من القائد هو:** أن يمنع من أي نشاط يؤدي إلى تثبيط العزائم عن المشاركة في الحرب، أو يؤدي إلى التخلي عنه.

ولكننا نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو القائد والرمز، والرجل الأول، والمستهدف أكثر من غيره من قبل الأعداء، ليس فقط يتساهل في هذا الأمر، وإنما يكون هو المبادر لإخبار الناس كلهم: بأن المتوقع هو ظهور عدوه عليه، لأن السنة قد جرت في أن يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وهذا الأمر ليس في صالحه، بل هو يشد من عزائم أعدائه، ويصيب أوليائه بالفشل والإحباط..

إنه «عليه السلام» يقول للناس، كل الناس، ويقسم لهم على ما يقول والناس متيقنون من صدقه، لأنه وهو من أهل بيت قولهم الصدق: «وأيم الله، ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، إلا ما شاء الله».

وهذا ما لم نسمع أنه حصل في أي تاريخ من تاريخ الأمم، قبل علي «عليه السلام» أو بعده، إلا من ولده الإمام الحسين بن علي

«عليهما السلام» حين سار إلى كربلاء..

وهذا يمثل الغاية التي ما بعدها غاية.. في الصدق والنصيحة للأمة، وهو يعطي: أنه «عليه السلام» لا يريد أن يغرر بالناس، ويدفعهم بالشعارات المبهمة إلى حرب يوهمهم أنها ستقضي على الباطل وأهله، وسينعم أهل الحق بالنصر المؤزر، وتصفو لهم الدنيا، وتمنحهم خيرها، ولا يصيبهم بعد ذلك شيء من شرها..

**يخبرهم بعدم النصر، ويحاربون معه!!:**

وقد جاءت المفاجأة الأكبر والأهم: أن عمار بن ياسر قد ترجم للناس صراحة ما يرمي إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال لهم: إنه «عليه السلام» يخبرهم بأن الأمة لن تستقيم عليه أولاً، ولن تستقيم عليه آخراً..

ولكن الناس لم تضعف عزيمتهم عن نصرته، بل نفذت بصائرهم في قتال عدوهم وعدوه، فتأهبوا واستعدوا..

**لماذا اختاروا الحرب!؟:**

والذين كانوا معه «عليه السلام»، وإن كانوا في معظمهم لا يعتقدون بإمامته، ولكن بياناته الكافية والشفافية قد كشفت عن بصيرتهم ولو بنسبٍ متفاوتة، ووضعتهم أمام خيار الحرب دون سواه، لأنهم وجدوا أنها أهون الشرين، وأقل الضررين، بالرغم من كل أخطارها الجسام، وفداحة الخسائر فيها..

فقد تبين لهم من خلال معاناتهم مع الولاة قبل أمير المؤمنين، وما عانوه من الناكثين الذين أوسعوهم قتلاً، وظلماً وإذلالاً، وما عرفوه عن معاوية وأهل الشام، وما أوضحه لهم أمير المؤمنين «عليه السلام» عن طريقة ونهج، وتاريخ الطلقاء وأبنائهم، وعلى رأسهم معاوية الذي عُرفَ بمكره، ومكائده، وأحاييله ومصائده.. والذي جاء بجيوشه ليمارس أبشع عدوان على رجل لم ير منه أحد إلا الفضائل الظاهرة والكرامات الباهرة، والعلم الغزير، والطهر والصدق، والعدل، والعبادة والزهادة، والشهامة والكرامة، والصراحة والوضوح.. والإستقامة على الحق، والهدى..

نعم، لقد تبين لهم بعد كل هذا: أن فالتفريط بأمير المؤمنين «عليه السلام» هو تفريط بالحياة، وبكل شيء، بما في ذلك السعادة والخير والفلاح في الدنيا والآخرة، وهو إلقاء لأنفسهم في براثن معاوية وفريقه، الذين لن يجدوا عندهم سوى القتل والبغي والظلم، وأبشع أنواع الإنتقام.. التي رأوا نماذج عنها في أفاعيل الناكثين بهم بالرغم من أن الذي كان على رأسهم هو عائشة أم المؤمنين، وبنات أبي بكر، ومدللة عمر بن الخطاب، ومعها طلحة والزبير، ولا شك في أن حالهم مع معاوية سيكون أشد سوءاً، وأعظم شراً وضرراً وخطرأ..





الفصل الثالث:

التعبئة الشاملة .. والقتال ..



## العبادة في ليلة القتال:

### وقالوا:

عن عمرو بن شمر، عن مالك بن أعين، عن يزيد بن وهب، أن علياً قال في هذه الليلة: «حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا؟!»  
قال: فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر، [أو بعد أن صلى العشاء الآخرة] فقال:

الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، ولا ينقض ما أبرم.

ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ولا من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جدد المفضول ذا الفضل فضله. [(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ)].<sup>(1)</sup>

وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار حتى لفت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء لعجل النقمة، ولكان منه

---

(1) الآية 89 من سورة الأعراف.

التغيير حتى يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده دار [الجزاء] والقرار، (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (1).

ألا إنكم لاقو العدو غداً إن شاء الله.

فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، واسألوا الله الصبر والنصر، والقوهم [وعليكم بالحدز] بالجد والحزم، وكونوا صادقين.

[زاد ابن أعثم: ألا! وقد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، فإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين، حتى بلغوا فيكم ما بلغوا، وأنا غاد عليهم غداً ومحاكمهم إلى رب العالمين].

قال: فوثب الناس الخ.. (2).

**وحسب قول المنقري:**

ثم انصرف.

(1) الآية 253 من سورة البقرة.

(2) كتاب الفتوح لابن أعثم ج3 ص289 و (ط دار الأضواء) ج3 ص171 وصفين للمنقري ص225 و 226 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص13 والكامل في التاريخ ج2 ص372 و (ط دار صادر) ج3 ص295 و 296 والبداية والنهاية ج7 ص262 و (دار إحياء التراث العربي) ج7 ص291.

ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، فمر عليهم كعب بن جعيل التغلبي وهو يقول:

[قد قلت والعين سجال تنسكب] أصبحت الأمة في أمر عجب  
 والملك مجموع غدا لمن غلب فقلت قولاً صادقاً غير كذب  
 إن غداً يهلك أعلام العرب غداً نلقى ربنا فنحتسب  
 يا رب لا تشمت بنا ولا تصب من خلع الأنداد كلا والصلب  
 غداً يكونون رمادا قد كذب بعد الجمال والحياء  
 والحسب(1)

### تعبئة الجيشين:

فلما كان الليل خرج علي فعبا الناس ليلته كلها حتى أصبح، وعقد الأولوية وأمر الأمراء، وكتب الكتائب.

وبعث علي منادياً فنادى: يا أهل الشام، اغدوا على مصافكم.

فضج أهل الشام في عسكرهم، واجتمعوا إلى معاوية، فعبا خيله وعقد الأولوية وأمر الأمراء، وكتب الكتائب، ثم نادى معاوية: أين

(1) كتاب الفتوح لابن أعمش ج3 ص288 و 289 و (ط دار الأضواء) ج3 ص170 و 171 وراجع: صفين للمنقري ص225 و 226 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص13 والكامل في التاريخ ج2 ص372 و (ط دار صادر) ج3 ص296 والبداية والنهاية ج7 ص262 و (دار إحياء التراث العربي) ج7 ص291.

## الجند المقدم؟!!

فخرج أهل حمص في راياتهم عليهم ذو الكلاع الحميرى.

ثم نودي: أين أهل الأردن؟!!

فخرجوا في راياتهم عليهم [أبو الأعور] سفيان بن عمرو

السلمى.

ثم نودي: أين أهل قنسرين؟!!

فجاءوا في راياتهم عليهم زفر بن الحارث.

ثم نودي: أين جند الأمير؟!!

فجاء أهل دمشق على راياتهم وهم القلب، وعليهم الضحاك بن

قيس الفهرى، فأطافوا بمعاوية.

وسار أبو الأعور، وسار عمرو بن العاص [ومن معهما] حتى

وقفوا قريبا من أهل العراق. فنظر إليهم عمرو فاستقلهم وطمع فيهم،

وكان أهل الشام أكثر من أهل العراق بالضعف.

ثم رجع عمرو بن العاص إلى معاوية، فقال: قد عرفت وعلمت

ما بيننا من العهد والعقد، فاعصب هذا الامر برأسي، وأرسل إلى أبي

الأعور [فنحه عني ودعني والقوم.

فأرسل معاوية إلي أبي الأعور]: إن لأبي عبد الله رأياً وتجربة

ليست لى ولا لك، وقد وليته أعنة الخيل، فسر حتى تقف أنت وخيلك

على تل كذا، [ودعه والقوم.

فسار أبو الأعور]، فأقبل عمرو بن العاص ثم نادى ابنه: يا عبد الله بن عمرو.

قال: لبيك.

وقال: يا محمد بن عمرو.

قال: لبيك.

قال: قدما لي هذه الدرّع وأخرا عني هذه الحُسّر، وأقيما الصف قص الشارب، فإن هؤلاء قد جاءوا بخطة بلغت السماء.

فمشيا براياتهما، وعدلا الصفوف، وسار بينهما عمرو حتى عدل الصفوف، وأحسن الصف ثانية، ثم حمل قيساً وكلباً وكنانة على الخيول، ورجل سائر الناس.

وقعد على منبره، وأحاط به أهل اليمن وقال: لا يقربن هذا المنبر أحد إلا قتلتموه كائناً من كان (1).

**قبائل العراق مقابل قبائل الشام:**

روى نصر، عن عمر، عن الحارث بن حصيرة وغيره قال: لما قام أهل الشام وأهل العراق، وتواقفوا وأخذوا مصافهم للقتال، قال معاوية: من هؤلاء في الميسرة؟! ميسرة أهل العراق.

(1) صفين للمنقري ص 226 و 227 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 182



قالوا: ربيعة.

فلم يجد في أهل الشام ربيعة.

فجاء بحمير فجعلهم بإزاء ربيعة على قرعة أقرعها من حمير وعك، فقال ذو الكلاع: «باستك من سهم لم تبغ الضراب».

كأنه أنف من أن تكون حمير بإزاء ربيعة، فبلغ ذلك الخندق الحنفي، فحلف بالله لئن عاينه ليقتلنه، أو ليموتن دونه.

فجاءت حمير حتى وقفت بإزاء ربيعة، وجعل السكون والسكاسك بإزاء كنده وعليها الأشعث، وجعل بإزاء همدان من أهل العراق الأزدي وبجيلة، وبإزاء مذحج من أهل العراق عكا.

فقال راجز من [عك] أهل الشام:

ويل لأم مذحج من عك وأمهم قائمة تبكى  
نصكهم بالسيف أي صك فلا رجال كرجال عك  
[سيعلم الله من المذكى بكل قطاع حسام الشك] (1)

وجعل بإزاء التميم من أهل العراق هوازن وغطفان وسليماً.

وقد قيدت عك أرجلها بالعمائم، ثم طرحوا حجراً بين أيديهم وقالوا: لا نفر حتى يفر هذا الحكر (بالكاف).

(1) الأبيات في صفين للمنقري ص 227 وفي الفتوح لابن أعم (ط دار الأضواء) ج 3 ص 64 و 65.

وعك تقلب الجيم كافاً.

وصف القلب خمسة صفوف، وفعل أهل العراق أيضاً كذلك.

قال: ثم قال عمرو بن العاص:

يا أيها الجند الصليب الإيمان قوموا قياماً واستعينوا الرحمن  
إني أتاني خبر فأشجان أن علياً قتل ابن عفان

ردوا علينا شيخنا كما كان

فرد عليه [أهل العراق وقالوا]:

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن نرد نعثلاً كما كان  
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن [ذلك شأن قد مضى وذا  
شأن]

وصاح رجل من أهل الشام:

ردوا علينا شيخنا ثم بجل أو لا تكونوا جزراً من الأسل  
فقال رجل من أهل العراق:

كيف نرد نعثلاً وقد قحل نحن ضربنا رأسه حتى انجفل  
لما حكى حكم الطواغيت الأول وجار في الحكم وجار في العمل  
وأبدل الله به خير البديل أقدم للحرب وأنكى للبطل

وقال إبراهيم بن أوس بن عبيدة السلمى، من أهل الشام:

لله در كتائب جئاتكم تبكى فوارسها على عثمان  
سبعون ألفاً ليس فيهم قاسط يتلون كل مفصل ومثان

يسألون حق الله لا يعدونه ومجيئكم للملك والسلطان  
فأتوا ببينة على ما جنتم أو لا فحسبكم من العدوان  
وأتوا بما يحو قصاص خليفة لله، ليس بكاذب خوان  
هل هذه حرب عشائرية؟!:

ويتابع المنقري كلامه، فيقول:

وبات علي ليلته كلها يعبي الناس، حتى إذا أصبح زحف بالناس  
وخرج إليه معاوية في أهل الشام، فأخذ علي يقول: من هذه القبيلة؟!  
ومن هذه القبيلة؟! يعنى قبائل أهل الشام - فيسمون له.

حتى إذا عرفهم، وعرف مراكزهم قال للأزد: اكفوني الأزد.

وقال لخنعم: اكفوني خنعماً.

وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام، إلا  
قبيلة ليس منهم بالشام أحد، مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم إلا عدد  
يسير، فصرفهم إلى لخم.

ثم تناهض القوم يوم الأربعاء فاقتتلوا اقتتالاً شديداً نهارهم كله،  
وانصرفوا عند المساء وكل غير غالب(1).

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

(1) راجع النصوص المتقدمة في كتاب: صفين للمنقري ص 225 - 230 وفي  
شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 183 - 186.

## لماذا لا تناهض القوم؟!:

لعل أمير المؤمنين «عليه السلام» قد شعر بأن معاوية يراهن على المماطلة، وإطالة أمد الحرب لأسباب، ومنها:

1 - إنه لا يرى نفسه في حرج كبير من تأخير الحرب، بل يرى فيه السلامة له، ولمن معه، وفيه الإبتعاد عن مواضع الخطر بتلافيهم الدخول في حرب طاحنة وحاسمة قدر الإمكان.

2 - إن أهل الشام كانوا في بلدهم وبين أهلهم، وتأتيهم أخبار ذويهم بصورة منتظمة، وسهلة..

أما أهل العراق، فهم بعيدون عن عوائلهم، وأهلهم، ويصعب عليهم جداً التواصل معهم، إلا بصورة نادرة، وغير كافية، ولا وافية، ولا شاملة..

وحتى حين يتم هذا التواصل عن بعد فإن الأخبار حين تصل من أهلهم وإليهم تصل متأخرة، وبعد زمان قد يكون حافلاً بالمستجدات، ولعل من بينها ما هو كبير وخطير..

3 - كان جيش الشام قادراً على التحرك في كل اتجاه، لأن الناس ناسه، والبلد بلده، ولديه من القدرة على بلوغ مقاصده، والحصول على حاجاته، وحل المشكلات التي ربما تواجهه ما لم يكن متوفراً لجيش علي «عليه السلام» لأنه كان في محيط يعاديه، ويرفض التعاون معه، بل هو يحاصره، ويمنعه من التحرك ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

4 - إن طول المقام في ديار الغربية يدعو للسأم والملل، فكيف إذا كان ذلك في أجواء ترقب وخوف مستمر. مع غموض ظاهر، وغيوم وهموم تحجب الرؤية، وتلقي بالإنسان في غياهب المجهول، فلا يعرف كيف ومتى تنتهي المحنة التي هو فيها، ويحل أسره..

5 - إن هذه الحالة تجعل القرار والمبادرة بيد معاوية وأهل الشام بدل أن تكون في يد علي «عليه السلام» وأصحابه.. ومن شأن هذا أن يضعف موقف علي «عليه السلام»، فإن طول مقامه يجعله عرضة للإستهتار، بل للمهانة والإبتذال حتى لدى أصحابه..

6 - إن لأمير المؤمنين «عليه السلام» مهمات كبيرة وخطيرة حيث يفترض فيه أن ينصرف ليضطلع بشؤون الرعية، ويدبر أمورها، ويحل مشكلاتها، ويوفر عليها الفياء ويدفع عنها العدو، وينميها ويربيها، ويعلمها شرائع الدين، ويزرع فيها مكارم الأخلاق، ويشيع فيها الفضيلة، ويطرد عنها كل سوء ورتيلة..

7 - إن استمرار هذا الوضع (أعني طول المقام لجيش بهذا الحجم الكبير) من شأنه أن يستهلك جهد الأمة، وطاقتها المالية، ويستنزف قدراتها، ويعيقها عن التقدم والعمل المنتج.. ويمنعها من التعويض عن ذلك، الأمر الذي من شأنه أن يجعل إقتصادها يتجه نحو الضمور، حتى ينتهي إلى التلاشي والإندثار..

أما معاوية.. فلم يكن يهمله شيء من ذلك كله.. لأنه لم يكن يهتم إلا بالوصول إلى ما يصبو إليه، ولا يهمله ما يصيب الأمة من مصائب وبلايا

وكوارث ورزايا في دينها، وأخلاقها، ووضعها الاجتماعي، والإقتصادي.. وما إلى ذلك..

ولذلك رأينا أن علياً «عليه السلام» كان يريد أن يحسم أمر الحرب، ويناهض عدوه بعد أن لم يبق جدوى من الإحتجاج، ولا سبيلاً للإقناع بالعودة إلى الحق، فقد اصطدم بقلوب قد قست، فهي كالحجارة أو أشد قسوة.. وظهر أن لهؤلاء القوم قلوباً لا يعقلون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون.. وأنهم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً..

### المناهضة الشاملة:

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد أفهم الناس في الليلة التي أعلن فيها عزمه على مناهضة القوم: أنه يريد أن يناهضهم مناهضة شاملة وعامة، فقال: «حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا؟!»

وكان «عليه السلام» يريد بذلك دعوة جيشه إلى الجهوزية القصوى والعامة.. لكي يواجه جيش معاوية بنحو لا يستطيع أي من أفراده أن يستثني نفسه من مواجهة أهوال الحرب، ويزيقهم طعمها.. لكي يفقدهم جميعهم كل أمل بتجنيب نفسه عن الدخول في المعركة في تسهيل الأمور للمقاتلين.

كما أن هذا الإستعداد والتحفز للقتال في جيش علي «عليه السلام» والدخول في الحرب بالفعل، يذهب رهبة الحرب من نفوسهم على قاعدة: «إذا هبت أمراً فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف

منه»(1)، ويبيدهم عن السأم والملل، ويعزز أملهم بقرب حسم الأمور..

مع العلم بأن جيش معاوية كان ضعف جيش علي «عليه السلام» كما سيمر معنا بعد قليل.. وهذه الكثرة إن كانت تشجع جيش معاوية على خوض الحرب في البداية، فإنها سوف تصبح من موجبات هزيمته، ووهنه الروحي، إذا لمس لدى الجيش الآخر هذه الدرجة القصوى من الصلابة والقوة، والعزيمة، فكيف إذا رأى أن كثرته لم تثمر له إلا الزيادة الهائلة في عدد قتلاه، في حين أن من يقتل من الجيش الآخر قد لا يصل إلى نصف العدد الذي من الجيش الأكبر، والأكثر عدداً، وربما كان الأحسن عدة..

وسيزيد الأمر خطورة وسوءاً بنظرهم: أن هذا الذي كان إنما حصل في عقر دار ذلك الجيش الأكثر عدداً، وأحسن عدة، والأيسر والأوفر مدداً في المال والرجال، مع أن الحرب على أرضه وفي محيط أمنه، وما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فكيف إذا جاء هذا الغزو بهذه النتائج التي هي عكس كل التوقعات؟!

وبغض النظر عن جميع ما تقدم، فإنه لا غرابة في أن يكون

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص42 الكلمات القصار، الكلمة رقم 175 وخصائص الأئمة ص110 وعيون الحكم والمواظ للواسطي ص132 وبحار الأنوار ج68 ص362 وج72 ص357 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص576 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج18 ص406.

الجيش الأكثر عدداً وأحسن عدة، وأيسر مدداً هو الأكثر عرضة للفشل، لأن كثرتة وقلة الجيش المقابل له ربما يكون لها الأثر الكبير في ابتلاء أفراده بداء التواكل، واعتماد كثير من عناصره على جهد الكثرة التي يملكونها، وبذلك تتحول تلك الكثرة إلى قلة، من حيث حجم مشاركتها في الجهد الحربي، ومستوى إنجازاتها..

أما الجيش القليل، فإن أفراده يحاولون تعويض قلتهم ببذل مزيد من الجهد والعطاء، لأنهم يرون ذلك دفاعاً عن انفسهم، فيتضاعف الاعتماد على قدراتهم الذاتية، وتكون قلتهم من أسباب تعاضدهم، وذب بعضهم عن بعض، فيبذل كل فرد منهم قوته ويربح جهده، ثم يضيف إليه جهداً جديداً يحصل عليه من نجدة أخيه له، ونجدته لأخيه..

كما أن ذلك يجعلهم يتطلعون إلى الغيب، ويلتمسون المدد من الله سبحانه، ويعيشون روح الإخلاص له والتوكل عليه، ولو بمستويات متفاوتة.

فلعل كل هذا الذي ذكرناه وسواه هو الذي دعا علياً «عليه السلام» إلى هذا الإستنفار العام.

**هل يستدل علي × بالجبر الإلهي؟!:**

**1 -** وفي خطبته «عليه السلام» ليلة القتال، نلاحظ: أنه «عليه السلام» قد بدأها بقوله: «الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، ولا ينقض ما أبرم. ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة، ولا من خلقه، ولا



تنازعت الأمة في شيء».

**فقد يتوهم متوهم:** أنه «عليه السلام» يريد أن يفهم من معه أن هذه الحرب مكتوبة عليهم من قبل الله، فلا جدوى من محاولة الخلاص منها.. فكلامه هذا يؤيد ما يعتقده البعض في الجبر الإلهي، وينقض قول الشيعة في هذه المسألة..

وهذا توهم باطل، وقد كان الأولى لهذا المتوهم أن يقول: إنه «عليه السلام» يريد بكلامه هذا نقض عقيدة الجبر، وإبطالها، فإن هذا أقرب وأصوب.. لأنه «عليه السلام» قد حمد الله تعالى: على أن أحداً لا يستطيع أن يؤثر في فعله تعالى، لا في نقضه، ولا في إبرامه.

**مما يعني:** أن ما يفعله الناس من معاص ليس معناه أنهم قد نقضوا ما أبرمه، أو أنهم أبرموا ما نقضه، كما قد يدور بخلد بعض السطحيين.. بل معناه: أن مشيئته تعالى التكوينية لم تتعلق بنقض، ولا بإبرام فيما يرتبط بأفعال الإنسان، لأنه ترك الأمر فيها لاختيار الإنسان نفسه، ولو تعلقت مشيئته بأفعال الناس لأجراها الله تعالى وفق ما أراد، ولذلك قال «عليه السلام»: «ولو شاء ما اختلف اثنان».. ولم يقل: إن مشيئته تعالى تعلقت باختلافهما، إذ فرق شاسع بين قولك: تعلقت إرادة الله في شيء، وبين قولك لم تتعلق إرادته تعالى به أو بضده..

فعبارته هذه توضح: أنه «عليه السلام» يريد أن ينفي تعلق مشيئته تعالى بحصول الأمور التي ذكرها لأهل الفصل، والتنازع بين

الناس.. ولو كان يريد أن يثبت ذلك، لقال: الحمد لله الذي شاء التنازع والإختلاف في الأمة.. وشاء أن يجحد المفضول فضل صاحب الفضل..

وقد زاد في وضوح ذلك قوله حسب رواية ابن أعثم: «ولو شاء ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يشاء» أي أنهم هم الذين شأوا القتال، ولم يتدخل الله تعالى لمنعهم من ذلك.

ولكن عدم تدخله هذا لا يعني عجزه وقدرتهم، وضعفه، وقوتهم.. لأن الله قادر على أن يفعل ما يشاء.

فعدم فعله في مورد لا يكون دليلاً على عجزه، بل هو دليل على حكمته وتدبيره، لأنه إنما لم يفعل ذلك لأجل مصلحة اقتضت حكمته ورحمته وتدبيره رعايتها..

وما أروع قول الرسول «صلى الله عليه وآله» في هذا المعنى: «إن الله لا يطاع جبراً، ولا يعصى مغلوباً، ولم يهمل العباد من المملكة، ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه، والمالك لما ملكهم إياه، فإن العباد إن استمروا بطاعة الله لم يكن منها مانع، ولا عنها صاد، وإن عملوا بمعصيته، فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل، وليس مَنْ إن شاء أن يحول بينك وبين شيء [فعل]، ولم يفعله، فأتاه الذي فعله، كان هو الذي أدخله فيه» (1).

(1) تحف العقول ص 37 وبحار الأنوار ج 74 ص 140 عنه، ومستدرک سفينة

2 - أما قوله «عليه السلام»: إن الأقدار ساقطهم حتى جمعت بينهم في ذلك المكان، فلا يعني أنهم كانوا مجبرين على ذلك أيضاً.. لأن المقصود هنا هو: أن الأمور التي يوجدها الله تعالى بقدرته إنما تتقدر وتتحدد بحدود وجودها، التي تنتجها الأسباب التي تتقدمها، فإذا كانت المسببات من قبيل الأفعال، فإن من جملة أسبابها هو إرادات البشر. أي أن الله تعالى إنما يفيض الوجود على الأمور، وفق نظام معين، وسنن، ومقدمات تركز إليها وتعتمد عليها، وتنبثق عنها.. ومن هذه المقدمات: إرادات البشر أنفسهم التي تعتمد على تصور الأمور المطلوبة، وتقدير صلاحها وفسادها، وترجح الراجح منها بنظرهم، ثم اختياره، إرادته المتمثلة بالشوق المحرك للعضلات نحوه.. فحينئذ تأتي مشيئة الله، وتفيض الوجود على ذلك الأمر المطلوب.

فقد نظم الله الوجود بحيث تجري فيه صفات فعله، وهي رحمته، ورازقته، وخالقته، وهدايته، وحفظه، ونحو ذلك، كلما وجد ما يتطلب ذلك، وتحققت مقدماته وأسبابه، ومنها نفس اختيار البشر انفسهم.. وهذا معنى قولهم «عليهم السلام»: إن الله المشيئة في كل شيء، أي بنحو لا يبطل تأثير مشيئة العبد، لأن مشيئة العبد هي التي تطلبت مشيئة الله تعالى..

فظهر أن المقادير، وإن أوصلت الفريقين إلى الإلتقاء في ذلك

المكان، ولكن اختيار الناس، وإراداتهم كان لها أثر في تجسد الخصوصيات، وفي تعلق الإرادة الإلهية بحدود الوجود وإرادته تعالى للمسببات، وإيجادها وفق ما تقتضيه أسبابها، التي منها: إرادات، واختيارات البشر أنفسهم كما قلنا..

**3 -** ولم يتدخل الله سبحانه في تلك الأسباب، ولا ألغى تأثيرها، وإن كان تعالى قادراً على ذلك، لأن هذا التدخل، يبطل تأثير الأسباب والسنن التي يأبى الله إلا أن تجري الأمور إلا بها.. كما أنه يلغي الثواب والعقاب، ولا يبقى مجال لتمييز الظالم من المظلوم، لأن التدخل الإلهي يلغي اختيار البشر وإرادتهم، وبذلك يكون الجبر الإلهي لهم، قد أسقط عنواني الظالم والمظلوم، وألغاهما من الأساس.. وهذا نقض للغرض الإلهي كما أنه لا يبقى أي مبرر لعقوبة ولا لمثوبة، لأن الإنسان لم يمارس اختياره، ولا أعمل إرادته..

**4 -** وينشأ من ذلك محذور آخر، وهو أن لا تعود الدنيا دار العمل، والآخرة دار جزاء. ولا يبقى مورد ولا محل لقوله تعالى: **(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)**(1).

لأن أحداً منهم لم يعمل، ولم يسيئ، ولم يحسن..

---

(1) الآية رقم 31 من سورة النجم.

### قراءة القرآن والعبادة ليلة القتال:

وقد تقدم: أنه «عليه السلام» قد قال للناس في تلك الخطبة أيضاً: «ألا إنكم لاقوا العدو غداً إن شاء الله، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثرُوا تلاوة القرآن».

وهذا يعطينا درساً في التوجيه والتدبير العسكري، حيث دلّ على أنه «عليه السلام» يهتم بالبناء والإعداد الروحي للمقاتل، أكثر مما يهتم بأي شيء آخر..

إنه «عليه السلام» لم يطلب منهم في تلك الليلة القيام بتمارين بدنية من شأنها أن تعطي الجسم مرونة وليونة، تساعد على سرعة الحركة، وسهولة الإنعطاف، حين يحتاج المقاتل إلى ذلك.

ولا طلب منهم القيام بتمارين على السلاح، للتأكد من حسن تصرفهم القتالي فيه.. ربما لأنه يعلم أن ذلك لا يحتاج إلى الحث، والتحريض عليه، لأن الدافع الذاتي إليه قائم، من جهة أن الحرص على حفظ النفس يدعوهم إلى القيام بكل ما يرون أنه يفيدهم في ذلك..

وقد رأينا كيف أنهم بمجرد فراغه «عليه السلام» من خطبته وثبوا إلى آلتهم الحربية يصلحونها، ويُعدّونها، بالرغم من أنه «عليه السلام» لم يطلب منهم ذلك.

بل طلب منهم ممارسة العبادة الروحية، التي تعطيهم مزيد بصيرة في حقيقة الدنيا، والآخرة، وتعمّق ارتباطهم بالله، وثقتهم به، واعتمادهم عليه، والتجاءهم إليه والطمع بما عنده. والرضا بما يختاره

لهم، والرغبة فيما يدعوهم إليه..

كما أنه «عليه السلام» يريد تصفية نفوسهم، وتزكيتها وتطهيرها، وإعطاءها الفرصة للتوبة، من كل ذنب، ليعيشوا فرحة اللقاء به تعالى، إن قدر لهم ذلك، وليعيشوا السكينة والطمأنينة والثبات، والعزيمة في قتال أعدائه، والمتمردين على أحكامه، والنابذين لكتابه، والمحاربين لخلقه في سبيل مطامع رخيصة، وحطام زائل..

إن عبادة الله في الليلة التي تسبق يوم ملاقاته العدو لها طعمها الخاص لدى العاملين من أهل الإيمان، وهي التي تمكنهم من تذوق حلاوة التضحية في سبيله تعالى، وحلاوة الصلة به، والإرتباط بأبيائه، وأوليائه وأصفيائه..

وهي التي تؤهلهم للشهادة اللذيذة، والخالصة، إن قدر لهم نيل هذه الكرامة..

وهي التي تنير قلوبهم بحب الله، وحب الحق والخير، والهدى..  
إن قدر لهم النصر والفوز على عدو الله وعدوهم.

**وكونوا صادقين:**

أما وصيته «عليه السلام» لهم، التي ذكرت لهم ما يطلبه منهم، في كيفية تعاطيهم مع ما هم مقدمون عليه، فهي درس هام في البناء الروحي للمقاتلين، وهو ينقسم إلى قسمين:

**أحدهما:** ما يطلبونه من الله تعالى، وهو أمران:

**ألف:** الصبر..

**ب:** النصر..

**الثاني:** ما يجب عليهم مراعاته في ساحات القتال، وهو - فيما

يبدو - أربعة أمور، هي التالية:

1 - الحذر.

2 - الجد.

3 - الحزم.

4 - قال لهم أخيراً: وكونوا صادقين.

**نظرة في هذه النقاط:**

**وبعدما تقدم نلاحظ ما يلي:**

**ألف:** إذا ألقينا نظرة على الأمور التي أمرهم أن يطلبوها من الله

تعالى، فسنجد ما يلي:

**أولاً:** أوصاهم «عليه السلام» بطلب الصبر أولاً، لأن الصبر هو

الذي يستنزله النصر.. ومن لا يصبر لا يستحق النصر..

كما أن الناس يتوهمون عادة أن الصبر جهد شخصي، وإنجاز

لهم، وخاص بهم. مع أن الصبر هبة من الله سبحانه، وتفضل منه

تعالى.. يستحقه الإنسان حين يخلص لله تعالى، ويسعى للكون في

مواقع رضاه..

وهذا لا يتنافى مع قوله تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (1). وقوله تعالى: (إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (2).

وقوله تعالى: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (3). لأن للصبر مراتب، فإذا كان في مرتبته الدنيا يأتي بمبادرة من العبد، بسبب توفيق الله تعالى، من خلال معرفته به سبحانه، ويقينه بلطفه، وبصدق وعده، فإن مراتبه العليا إنما هي منحة ربانية، وعطاء إلهي.. بل إن المراتب الأولى أيضاً إنما استطاع الإنسان أن يحصل عليها بسبب ما هياه الله تعالى له من آيات ودلائل أوصلته إلى اليقين بوعد الله، وهياته لتقبل العطاء الإلهي لمراتب الصبر الواحدة تلو الأخرى.

ثانياً: طلب النصر منه تعالى، فلا يظن أحد أن كثرة العدد، وحسن العدة هي التي تأتي بالنصر. كما ربما يتوهمه الضعفاء والمهزومون، حيث يظنون أن النصر كامن في الوسائل المادية، التي لديهم كالسلاح والكثرة البشرية..

### ويدلنا على ذلك:

**ألف:** أن التاريخ حافل بالهزائم الساحقة والماحقة لجيوش هائلة

(1) الآية 156 من سورة البقرة.

(2) الآية 10 من سورة الزمر.

(3) الآية 46 من سورة الأنفال.



العدد العدة، ومتفوقة في علم القتال. على يد أقلية لم تكن ترضى تلك الكثرة بأن تعتبرها موجودة، أو أن تحسب لها أي حساب.. وقد قال تعالى: (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)(1). وقال عز وجل: (..إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ..)(2).

وتاريخ الإسلام في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفي عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» أروع شاهد على ذلك..  
ب: أما فيما يرتبط بالأمور الأربعة التي هي مطلوبة من المقاتلين في ساحات المواجهة، فنقول:

أولاً: بالنسبة لمراعاة الحذر في ساحات الحرب، فلا نرى حاجة إلى التأكيد على أهميته، فإنه من أهم ما يجب مراعاته في الحرب، وبه تحفظ النفوس، وتصان الحرمات، ويكبت العدو، ويخيب سعيه، ويبور كيده، ويهدر جهده.. وهو من أهم أسباب بوار الخدع الحربية، التي قال عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «..الحرب خدعة..»(3).

(1) الآية 249 من سورة البقرة.

(2) الآية 65 من سورة الأنفال.

(3) مسند أحمد ج 6 ص 459 ومجمع الزوائد ج 8 ص 81 وشرح الأخبار ج 1 ص 297 ونيل الأوطار ج 8 ص 83 وبحار الأنوار ج 69 ص 254 والمصنف للصنعاني ج 11 ص 162 وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي

**ثانياً:** إن الجد في الحرب، وعدم تضييع الفرص هو العامل الآخر الذي لا غنى عنه فيها، فإنك إن لم تقتنص الفرصة من عدوك، اقتنصها منك..

**ثالثاً:** إن الحزم وعدم التردد في اتخاذ القرار يجعل الأمور تسير بصورة سليمة، وبدون ذلك، فإن عدم التشدد في تنفيذ القرارات سيفسح المجال لبعض الكسالى والخائفين، والمتردددين للتراخي في تنفيذ الأوامر، ولا يؤمن من استغلال العدو لهذه الثغرة، والتسلل إلى مكامن القوة، ونسفها وتدميرها.

بالإضافة إلى أن هذا التراخي سيؤدي إلى الإختلال في سير الأمور، وعدم وضوح الرؤية لدى القيادة، وأن لا تتمكن من اتخاذ

---

الدنيا ص 251 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 15 ص 32 والجامع الصغير ج 1 ص 599 وج 2 ص 276 واللمع في أسباب ورود الحديث ص 94 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 3 ص 630 و 633 و 634 وج 4 ص 358 و 469 و 471 وج 10 ص 295 وفيض القدير ج 2 ص 58 وج 3 ص 575 وج 5 ص 14 والثقات لابن حبان ج 1 ص 270 وأسد الغابة ج 5 ص 34 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 2 ص 242 والكامل في التاريخ ج 2 ص 182 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 293 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 4 ص 128 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 30 والسيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 712 وعيون الأثر ج 2 ص 43 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 214 وسبل الهدى والرشاد ج 4 ص 384 والسيرة الحلبيية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 649.

القرارات المناسبة، لأجل انعدام الثقة بتنفيذ القرارات السابقة..

**رابعاً:** وهو الأمر الأهم: أنه لا بد من الصدق في الحرب في النوايا، وفي الأقوال، والأفعال، وفي كل حركة وسكون.. (إلا فيما يرتبط بالإعلام الموجه إلى العدو) ولولا هذا الصدق.. فإن كل شيء سوف ينهار ويتلاشى.. ويحل الخسران وبوار الجهد في الدنيا والآخرة، بل قد ينهار كل شيء بسبب انعدام الصدق في مورد واحد..

**متى كانت هذه الخطبة؟!:**

ثم إننا نحب لفت النظر إلى أننا قد ذكرنا هذه الخطبة هنا، لأننا نؤثر الالتزام بالسياق الذي جرى عليه نصر بن مزاحم المنقري في كتابه «صفين»، لأنه في سياقه، وفي جامعته، وكذلك في أحكام وسلامة نصوصه، أفضل مما عداه، ولذلك آثرنا اقتباس نصوصه، والالتزام بسياقه دون السياق الذي جرى عليه ابن أعثم في فتوحه، أو الطبري في تاريخه..

**كما أننا قد لاحظنا:** أن مضامين هذه الخطبة ربما تتناسب مع ترجيح كونها حصلت في بدايات الحرب، أي قبل المعارك الفاصلة الكبرى، وهذا ما جرى عليه المنقري أيضاً، لاسيما وأنها جاءت لتعالج النواحي الإيمانية، والبناء الروحي للمقاتلين..

ولكننا وجدنا ابن أعثم يورد في آخر هذه الخطبة عبارة تدل على أنها كانت في نهايات حرب صفين، وربما بعد ليلة الهرير أيضاً، فقد نقل عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال فيها: «ألا وقد بلغ بكم

وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس إلخ..».

### غير أننا نقول:

إن ذلك بعيد، وذلك للأسباب التالية:

**1 -** إن الأبيات المنقولة عن كعب بن جعيل تجعلنا نتردد في صحة هذا، لأن أبياته تناسب أن يكون ذلك في أوائل الحرب، إذ لو كان بعد ليلة الهرير، وفي آخر الحرب لم ينسجم ذلك مع قوله: «إن غداً يهلك أعلام العرب»، لأن هؤلاء الأعلام كانوا قد هلكوا قبل ذلك، وانتهى الأمر..

**2 -** لو كانت هذه الخطبة في أواخر الحرب، لم يكن هناك حاجة لأن يبعث علي «عليه السلام» منادياً ينادي: «يا أهل الشام، اغدوا على مصافكم».

فقد قالوا: إن هذا النداء كان بعد هدنة شهر محرم، وقبل ليلة الهرير..

**3 -** ويدل على ذلك أيضاً: أن عقد الألوية، والتعبئة، وتأمير الأمراء، وتكتيب الكتائب، الذي أعقب هذه الخطبة في تلك الليلة إنما كان في ابتداء الحرب، أو بعد هدنة طويلة.. أما بعد أن طحنت الحرب الرجال، وتواصلت أربعة أشهر، فلا معنى للتعبئة التي تحتاج إلى هذا الوقت والجهد الكبير والكثير في كل يوم، ولا لتأمير الأمراء كل ليلة..

### التعبئة في الليل:

وملاحظة أخرى نسجلها هنا في موضوع التعبئة والإستعداد للقتال، وهي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عبأ الناس في الليل، وسهر ليلته كلها حتى أصبح، لكي ينجز هذا المهم..

ولم تكن تلك الليلة مقمرة، لأنها كانت فيما يظهر ليلة السابع من صفر.. ولعله «عليه السلام» قد اختار الليل لإنجاز هذا المهم، لكي يفاجئ معاوية وأهل الشام في اليوم التالي بالتعبئة الحاضرة، والإستعداد التام فإن ذلك من شأنه أن يحدث صدمة لهم، وستفاجئهم هذه الجرأة لا سيما مع اعتمادهم على الكثرة التي كانت فيهم، وسيصعب عليهم انتقالهم من لذة شعورهم بالأمن والطمأنينة في بلدهم إلى الحرب والجهد، والرعب والخوف، ومواجهة السيوف والحتوف..

ولعل معاوية وأهل الشام كانوا يراهنون على المماطلة، وإطالة المدة، والمطاوله للأسباب التي ذكرناها فيما سبق. فإذا رأوا أن ثمة تصميماً على الحرب، وأن المطلوب هو دخولهم فيها بسرعة. فإن ذلك سوف يحدث اختلالاً شديداً في توازنهم، وفي روحياتهم ومعنوياتهم الحربية..

وهذا ما حصل بالفعل، فإنهم لما سمعوا المنادي يأمرهم بالغدو إلى مصافهم: «ضج أهل الشام في عسكرهم، واجتمعوا إلى معاوية».

### جيش الشام ضعف جيش العراق:

وقد صرح النص المتقدم: بأن عمرو بن العاص لما نظر إلى جيش أهل العراق «استقلهم، وطمع فيهم، وكان أهل الشام أكثر من أهل العراق بالضعف..».

ونقول:

نستفيد من هذا النص الأمور التالية:

أولاً: إن ما يقال في عدد الجيشين في صفين قد تعرض لشيء من الخيانة والتزوير، حيث إن المؤرخين يذكرون في عدد هما رقمين لا يصل التفاوت بينهما إلى أن يكون جيش الشام ضعف جيش العراق كقولهم: إنهما كانا تسعين، مقابل مئة وعشرين، أو ثمانين، مقابل تسعين، وما إلى ذلك..

الثاني: إن عمرو بن العاص لما أدرك هذا التفاوت في العدد بين الجيشين طمع بما هو أكثر من مصر، فقد روى المنقري، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر وزيد بن حسن قالوا:

طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على أن لي حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب، واستوسقت لك البلاد.

قال: أليس حكمك في مصر؟!!

قال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنة، وقتل ابن أبي طالب

ثمناً لعذاب النار الذي لا يُفترّ عنهم وهم فيه ملبسون؟!!

فقال معاوية: إن لك حكمك أبا عبد الله إن قتل ابن أبي طالب.  
رويداً لا يسمع الناس كلامك.

فقال لهم عمرو: «يا معشر أهل الشام، سوا صفوفكم، وأعيروا ربكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، واجاهدوا عدو الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم، (وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (1)» (2).

### ونلاحظ:

- 1 - إن عمرو بن العاص ومعاوية يعترفان بأن مطلوبهما هو قتل أمير المؤمنين «عليه السلام».
- 2 - إن عمرواً يعترف بأن قتل علي «عليه السلام» سيجلب لقاتله عذاب النار الذي لا يفتر عنهم، وهم فيه ملبسون..
- 3 - إن معاوية يحاذر أن يسمع الناس أن مطلوبه هو قتل أمير المؤمنين «عليه السلام». في حين أنه يدلس عليهم برفع شعار المطالبة بقتله عثمان..
- 4 - ولكن عمرو بن العاص الذي يعترف بأن قتل علي «عليه السلام» سيؤدي به إلى النار يطلب من أهل الشام أن يعيروا ربهم

(1) الآية 128 من سورة الأعراف.

(2) صفين للمنقري ص237 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5

ص189 والغدير ج2 ص148.

جماجمهم في قتالهم علياً «عليه السلام». ويريد منهم أن يستعينوا بالله عليه.. ويعتبر علياً عدو الله، ويعتبر أهل الشام الذين يقاتلون علياً «عليه السلام» عباد الله المتقين إلخ..

فهل ثمة من تدليس ومكر وفجور صريح أعظم من هذا أيضاً؟! وكيف يمكن أن نعتبر أمثال هؤلاء من الصحابة العدول؟! إلا إن كان ابن العاص يقصد بالرب الذي يطلب من أصحابه أن يعيروه جماجمهم هو غير الله من معبوداته التي كان يتقرب منها وإليها.

### عمرو بن العاص يبعد أبا الأعور:

وقد تقدم: أن عمرو بن العاص بعد أن رأى قلة جيش علي «عليه السلام» وطمع فيهم، طلب من معاوية أن ينحي عنه أبا الأعور، ولعله خشي من أبي الأعور أن ينافس في النصر الذي أصبح يحلم به على أمير المؤمنين «عليه السلام»، بعد أن رأى قلة جيشه «عليه السلام»، وكثرة جيش معاوية.

أو خاف من معاوية أن يمكر به، وينكر عليه أن يكون له الحق في أخذ مصر طعمة، بدعوى أن أبا الأعور السلمي وسواه من القادة الكبار قد شاركوه في تدبير الأمور بصورة كبيرة، فلماذا يعطيه مصر، ويحرمهم.

فإذا استقل هو بتدبير الأمر دونهم، لم يجد معاوية سبيلاً إلى أمثال هذه الدعاوى..



**اقتلوا من يقترب من المنبر:**

**تقدم:** أنه حين جلس عمرو بن العاص على المنبر، وأحاط به أهل اليمن، أمرهم بقتل كل من يقترب من منبره كائنًا من كان. ولهذا الأمر الذي أصدره دلالات، نذكر منها ما يلي:

**1 - بالنسبة لاتخاذ المنبر نقول:**

**ربما كان الهدف من اتخاذ المنبر أمرين:**

**أحدهما:** تمييزه لنفسه عن الناس، وتشريفه لها.

**الثاني:** لعله أراد أن يبقى مشرفاً على من حوله، يرى حركاتهم، ويضبطها.. ربما لأنه كان يخشى من الخلل في تنفيذ ما يصدره إليهم من أوامر.

**2 - لعل سبب أمره بقتل كل من يقترب من المنبر أنه كان يخشى من التعرض لعملية اغتيال، فيريد أن يعطي لنفسه درجة من الحفظ، والرقابة الجماعية والقدرة على متابعة حركات الناس وسكناتهم بصورة مباشرة.. أو لغير ذلك من أسباب.**

**3 - لقد كان بإمكان عمرو بن العاص أن يأمر أصحابه بمنع الناس من الإقتراب، أو بالقبض على من يقترب من المنبر. أما أمره بقتل كل من يقترب منه، فلا مبرر له إلا القسوة، وعدم المبالاة بإزهاق أرواح الناس، وأنه لا يحمل في نفسه أي درجة من الرحمة.. ولا أي أثر من الورع، والتقوى، والإحتياط للدين.**

**4 - لو فكر أولئك الناس الذين تلقوا هذا الأمر منه بدلالات أمره**

هذا لعلموا أنهم هم أيضاً ليست لأرواحهم أية قيمة عنده، وأن قيمتهم هي بمقدار ما يقدمونه له من خدمات، ويحققون له من رغبات..

فما معنى أن يضعوا أنفسهم وأرواحهم على أكفهم للدفاع عنه وعن أمثاله؟! ولماذا لا يكونون حيث تحترم إنسانيتهم، وتحفظ كراماتهم، ومع من يضحى بنفسه، ويقدم أبناءه في ساحات القتال ليبدلوا أرواحهم من أجلهم، وفي سبيل المستضعفين بصورة عامة؟!!

### نو الكلاع يذكي العصبيات:

وقد لفت نظرنا: ما جرى بين الخندق [أو جحدر] الحنفي، وذي الكلاع، حيث حلف الأول أن يقتل ذا الكلاع أو ليموتن دونه، وذلك حين أطلق ذو الكلاع كلمته الدالة على استهانتة بحمير، وأنفته من أن تجعل بإزاء ربيعة.

### ونود أن نشير هنا إلى:

**ألف:** بالنسبة للمثل الذي أطلقه ذو الكلاع: «باستك من سهم لم تبغ الضراب» نقول:

إنه أراد بهذا أن ينعي على سهام القرعة انها أنتت بأمرٍ لم تعقله، ولم ترده.

**ب:** إن ما يثير الدهشة هنا: أن ذا الكلاع يأنف من أن تواجه ربيعة بحمير، بالرغم من أن ربيعة في موقع العدو له، وحمير في موقع الناصر والحليف له.

**والأغرب من ذلك:** أن يبلغ الغضب بالخندف (أو حيدر) الحنفي حداً أقسم ليقتلن ذا الكلاع، أو ليموتنّ دونه، لا نصرة منه للدين، ولا دفاعاً عن المستضعفين، بل عصبية منه لحمير.

ولكن هؤلاء أنفسهم يسفكون دماء عشرات الألوف من الأبرياء، ويستحلون قتال وقتل أوصياء الأنبياء، ويرملون النساء، ويتسببون باليتيم، والضياع لمئات ألوف الأطفال، وتتمزق أسرهم، وتنزل الكوارث الهائلة بمجتمعات بكاملها.. وتستباح الحرمات، ويتسلط أهل الباطل على أهل الحق، ويمحق دين محمد «صلى الله عليه وآله» بأيدي هؤلاء الناس أنفسهم، ولا تتحرك حمية أي من هؤلاء، ولا يرف لهم جفن، ولا يرون ذلك عاراً، بل يرونه من إنجازاتهم، ومن مآثرهم، ومفاخرهم!!

**ليس هذا من العنصرية ولا العنصرية:**

وقد يتوهم متوهم: أن ما تقدم من أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان يجعل في مقابل كل قبيلة من أهل الشام أختها من العراق، فيقاتل قبيلة ربيعة بربيعة، وقبيلة تميم بتميم، وهكذا.. فيتوهم أن هذا مما تمليه عليه القسوة، والروح القبلية عند علي «عليه السلام».

**ونجيب:**

بأن هذا باطل، فإن فعله هذا كان من أعظم إنجازاته «عليه السلام».. وهو دليل على بعد نظره، وحسن سياساته، وبصيرته في

الأمر..

ولعلنا قد أشرنا إلى هذا الأمر في بعض الأجزاء السابقة من هذا الكتاب، ونعود فنذكر القارئ الكريم ببعض ما قلناه، فنقول باختصار شديد:

إنه «عليه السلام» كان يريد أن يبني أمة هي - بنظر الإسلام - بمثابة أسرة يكون جميع الناس فيها أخوة تربطهم ببعضهم البعض علاقة المحبة، والإخلاص، ويتعاونون على الصالح العام، ويرجعون فيما يختلفون فيه إلى رب الأسرة، وهو الله تعالى الذي يدبر أمورهم بواسطة نبيه ووصيه، بالحكمة والعقل، وبالشرع والدين.

ولا يريد لهذه الحرب أن تهدم هذا الكيان، وأن تجعل هؤلاء الأخوة متنازحين متباغضين، يسعون في هلاك أو في الإضرار ببعضهم بعضاً.

وإذا كان «عليه السلام» يعلم: أن الثارات بين القبائل هي من أهم أسباب تناحرها، وأن هذه الثارات من موجبات استمرار العداوات، واستمرار القتل - على سبيل الغيلة تارة، وبالحراب الشاملة أخرى - إلى عقود كثيرة من الزمن، إن لم يكن إلى قرون.. فإن المطلوب هو أن لا يشيع القتل بين هذه القبائل، وأن ينحصر الأمر بين أفراد القبيلة الواحدة، فإن الفتك فيما بين أفرادها سيكون أقل مما لو كانت تحارب قبيلة أخرى.. كما أن الجراح بينهم سرعان ما تلتئم، ويحصل التعافي منها، ثم التناسي، والنسيان لها..

أما معاوية فلم يكن يهمله هذا الأمر، بل كان يهمله في كثير من الأحيان تكريس العداوات بين القبائل، ليبقى قادراً على إغراء بعضهم ببعض، ويبقى هو الملجأ والمرجع للطرفين، والذي لا غنى لأي منهما عنه، وكلاهما يسعى لاسترضائه..

### عك تقيد أرجلها لكي لا تفر:

ومن طرائف الأمور: أن تقيد قبيلة عك أرجلها بالعمائم وتطرح حجراً أمامها حتى لا تفر.. إلا أن يفر ذلك الحجر.

**فأولاً:** إن هذا الفعل إن دل على شيء، فهو يدل على فقدان هؤلاء ثقتهم بأنفسهم، أو ببعضهم بعضاً.. ولذلك احتاجوا إلى ربط أنفسهم وربما لربط أرجل بعضهم بعضاً بعمائمهم.

**ثانياً:** إن هؤلاء وإن كانوا خائفين مرعوبين، فإنهم قد زادوا أنفسهم خوفاً بنفس فعلهم هذا.. لأنهم وإن كانوا أرادوا أن يجعلوا منه وقاية لأنفسهم من الفرار، ولكنه عمق لديهم الشعور بالخوف، وجعل الفرار هاجسهم الدائم، والطيف الذي يحوم فوق رؤوسهم، ويهيمن على عقولهم، ويثبط عزائمهم، ويحول بينهم وبين الإقدام، ويدعوهم إلى الإحجام.

### الأرجاز تفضح عثمان:

**1 -** ونحسب أن الأرجاز التي ذكرت في النصوص المتقدمة قد قيلت، أو قيل بعضها في حرب الجمل، وحفظت، ثم رددت ممن

سمعتها مرة أخرى في حرب صفين. ولسنا بحاجة إلى التوقف عندها، فقد مضى بعض الحديث عنها في تلك الحرب.

2 - لكننا نعود للتذكير بأن ما كان معاوية وابن العاص يتخذان منه ذريعة لتعظيم أمر عثمان، والإستفادة منه ضد علي «عليه السلام» قد كان سبباً في أن تتضمن الإجابات عليها بعض المآخذ على عثمان، التي كانت تضر بسمعته، وتحط من مقامه، وتؤثر على مكانته، فلاحظ قول ذلك الرجل العراقي عنه:

**لما حكى حكم الطواغيت الأول وجار في الحكم وجار في العمل**

3 - إن ما يلفت النظر هنا: أن علياً «عليه السلام» كان يمنع الناس من التعريض بأبي بكر وعمر، ولكنه لم يكن يمنع من جهر الناس بالمآخذ على عثمان.

**الأكاذيب في شعر إبراهيم بن أوس:**

وقد حاول إبراهيم بن أوس في الشعر المتقدم أن يكذب انطباق حديث رسول الله عن القاسطين على جيش معاوية.. وأن يدعي زوراً: أن جيش الشام كانوا قراء للقرآن، ملتزمين بحدود الله.. وأن يتهم علياً «عليه السلام» ومن معه بأنهم جاؤا طلباً للحكم والسلطان..

وهو كاذب في كل ما قاله، ومكذب لله ولرسوله.. كما هو ظاهر لا يخفى، ولا نرى أننا بحاجة إلى البيان، فإن الآيات والروايات، ووقائع التاريخ تشهد على ما نقول.

**عدد جيش معاوية:**

**ويبدو:** أن إبراهيم بن أوس لم يكن عارفاً بعدد جيش معاوية، فذكر رقماً لا يطابق الحقيقة، وهو رقم سبعين ألفاً، مع أن أكثر المؤرخين يذكرون أرقاماً تفوق هذا الرقم بكثير، بل ذكر بعضهم رقم مئة وخمسين ألفاً، كما تقدم.

## الفصل الرابع:

خطب.. ومواقف..





يزيد بن قيس يخطب بقناصرين:

قال المنقري:

عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبي، عن مالك بن قدامة الأرحبي قال: قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين(1)، فقال: «الحمد لله الذي هدانا لدينه، وأورثنا كتابه، وامتن علينا بنبيه «صلى الله عليه وآله» فجعله رحمة للعالمين، وسيداً للمسلمين، وقائداً للمؤمنين، وخاتم النبيين، وحجة الله العظيم على الماضين والغابرين. وصلوات الله عليه ورحمة الله وبركاته. ثم كان مما قضى الله وقدره - والحمد لله على ما أحببنا وكرهنا - أن ضمنا وعدونا بقناصرين، فلا يحمد بنا اليوم الحياص. وليس هذا بأوان انصراف، ولات حين مناص.

---

(1) قناصرين: كورة بالشام كان فيها مدينة تبعد عن حلب مرحلة كاملة وبقربها كانت صفين التي جرت الحرب فيها.

وقد اختصنا الله منه بنعمة فلا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها: أن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا، وفي حيزنا. فوالله الذى هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً، لكان ينبغى لنا أن تحسن بصائرنا، وتطيب أنفسنا. فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا، بدري صدق، صلى صغيراً، وجاهد مع نبيكم كبيراً.

ومعاوية طليق من وثاق الإسار، وابن طليق.

ألا إنه أغوى جفاة فأوردهم النار، وأورثهم العار، والله محل بهم الذل والصغار.

ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً، فعليكم بتقوى الله، والجد والحزم، والصدق والصبر، فإن الله مع الصابرين.

ألا إنكم تفوزون بقتلهم، ويشقون بقتلكم.

والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن، وأدخل المقتول ناراً تطفى، (لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)(1).

عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه، وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه. وأستغفر الله لنا ولكم وللمؤمنين».

(1) الآية 75 من سورة الزخرف.

ثم قال الشعبي: لعمرى لقد صدق بفعله، وبما قاله في خطبته(1).

### خطبة الأشر:

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن الفضل بن أدهم قال: حدثني أبي أن الأشر قام يخطب الناس بقناصرين، وهو يومئذ على فرس أدهم مثل [حلك] الغراب، فقال:

«الحمد لله الذى خلق السموات العلى، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى)(2).

أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، حمداً كثيراً بكرة وأصيلاً.

من يهده الله فقد اهتدى، ومن يضل الله فقد غوى.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالصواب والهدى، وأظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

«صلى الله عليه وآله».

(1) صفين للمنقري ص 236 و 237 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5

ص 188 و 189 وراجع: الغدير ج 10 ص 163 و 164 .

(2) الأيتان 5 و 6 من سورة طه.

ثم كان مما قضى الله وقدر أن ساقطنا المقادير إلى هذه البلدة من الأرض، ولف بيننا وبين عدونا، فنحن بحمد الله ونعمته، ومنه وفضله قريرة أعيننا، طيبة أنفسنا، ونرجو في قتالهم حسن الثواب، والأمن من العقاب، معنا ابن عم نبينا، وسيف من سيوف الله، علي بن أبي طالب، صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لم يسبقه بالصلاة ذكر حتى كان شيخاً، لم يكن له صبوة، ولا نبوة، ولا هفوة.

فقيه في دين الله، عالم بحدود الله، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، [وحلم عظيم] وعفاف قديم.

فاتقوا الله، وعليكم بالحزم والجد [بالصبر والصدق]، واعلموا أنكم على الحق، وأن القوم على الباطل، يقاتلون مع معاوية، وأنتم مع البدريين قريب من مائة بدري، ومن سوى ذلك من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله»، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فما يشك في قتال هؤلاء إلا ميت القلب.

فإنما أنتم على إحدى الحسينيين: إما الفتح، وإما الشهادة.

عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه، وألهمنا وإياكم

وتقواه.

طاعته

وأستغفر الله لي ولكم»(1).

ويتابع ابن أعثم كلامه هنا، فيقول:

**كلام الأشعث:**

ثم تكلم الأشعث بن قيس، فقال:

أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى قد خصنا منه بنعمة لا نستطيع شكرها، ولا يقدر أحد قدرها، إن أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» معنا، وفي حيزنا من البدريين والعقبين، والله لو كان قائدنا حبشياً أجدع لكان ينبغي لنا أن نسمع ونطيع، فكيف إذ كان معنا أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» وأنصاره وآله، وابن عمه، ووارث علمه، والقائم بحقه، بدري قد صدق وصلى صغيراً، وجاهد مع الرسول كثيراً.

ومعاوية طليق ابن طليق، أصاب قوماً غواة فأوردتهم النار، وأورثهم العار، والله محل به وبهم الصغار والدمار، فعليكم عباد الله بالحزم والصبر! فإن الله مع الصابرين(2).

(1) صفين للمنقري ص 238 و 239 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج 3 ص 73 و 74 و (ط دار الأضواء) ج 3 ص 49 و 50 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 190 و 191.

(2) الفتوح لابن أعثم ج 3 ص 74 و (ط دار الأضواء) ج 3 ص 50 والمعيار والموازنة ص 155 و 156 و صفين للمنقري ص 236 و 237.

أما فريق القاسطين، فقد ذكر هنا ما يلي:

### خطبة يزيد بن أسد البجلي:

روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن عامر، عن صعصعة العبدي [عن أبرهة بن الصباح] قال: قام يزيد بن أسد البجلي [في أهل الشام] يخطب الناس بصفين، وعليه يومئذ قباء خز، وعمامة سوداء، أخذاً بقائم سيفه، واضعاً نعل السيف على الأرض متوكئاً عليه.

قال صعصعة: فذكر لي أبرهة أنه [كان] يومئذ من أجمل العرب، وأكرمهم وأبلغه، فقال:

«الحمد لله الواحد القهار، ذي الطول والجلال، العزيز الجبار، الحليم الغفار، الكبير المتعال، ذي العطاء والفعال، والسخاء والنوال، والبهاء والجمال، والمن والإفضال. مالك اليوم الذي لا ينفع فيه بيع ولا خلال.

أحمدته على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وفي كل حالة من شدة أو رخاء.

أحمدته على نعمه التوأم<sup>(1)</sup>، وآلائه العظام، حمداً قد استنار، بالليل والنهار.

---

(1) التوأم: إن كانت بضم التاء المشددة، فهي جمع توأم. والصحيح: أنها بفتح التاء المشددة، فهي جمع تامة.

ثم إنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة النجاة في الحياة، وعند الوفاة، وفيها الخلاص، يوم القصاص.  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، وإمام الهدى، «صلى الله عليه وآله» كثيراً.

ثم قد كان مما قضى الله أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض، والله يعلم أنى كنت لذلك كارهاً، ولكنهم لم يبلعوننا ريقنا، ولم يتركونا نرتاد لأنفسنا، وننظر لمعادنا حتى نزلوا بين أظهرنا، وفي حريمنا وبيضتنا.

وقد علمنا أن في القوم أحلاماً وطغماً، فلسنا نأمن طغامهم على ذرارينا ونسائنا.

وقد كنا نحب ألا نقاتل أهل ديننا، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم كراهية فإننا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين.

أما والله الذى بعث محمداً بالرسالة لوددت أنى مت منذ سنة، ولكن الله إذا أراد أمراً لم يستطع العباد رده.

فنستعين بالله العظيم، وأستغفر الله لى ولكم».

ثم انكفاً(1).

(1) صفين للمتقري ص 241 و 242 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5



## نو الكلاع يخطب في صفين:

### قال ابن أعثم:

وجعل كل رجل مذکور من أصحاب علي يتكلم بما يحضره من الكلام، فقال معاوية لذي الكلاع الحميري: ألا تسمع إلى هذا التحريض الذي يحرض علينا في هذا اليوم؟! أما عندك جواب؟! فقال ذو الكلاع: عندي جواب، ولكني لا أقدر على ما يقدرون عليه.

قال: ثم وثب ذو الكلاع، فاستوى على فرسه واستقبل أهل الشام بوجهه، فقال(1):

### وقال المنقري:

وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً - ثم قال:  
الحمد لله حمداً كثيراً، نامياً جزيلاً، واضحاً منيراً، بكرة وأصيلاً.  
أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وكفى بالله وكياً.  
ثم إنني أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالفرقان حين ظهرت المعاصي ودرست الطاعة، وامتألت الأرض جوراً وضلالة، واضطربت الدنيا كلها نيراناً وفتنة، وورك عدو الله إبليس على أن يكون قد عبد في أكنافها، واستولى بجميع أهلها، فكان الذي أطفأ الله به نيرانها، ونزع به

(1) الفتوح لابن أعثم ج3 ص74 و (طدار الأضواء) ج3 ص50.

أوتادها وأوهى به قوى إبليس، وآيسه مما كان قد طمع فيه من ظفره بهم - رسول الله محمد بن عبد الله، «صلى الله عليه وآله»، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ثم كان مما قضى الله: أن ضم بيننا وبين أهل ديننا بصفين، وإنا لنعلم أن فيهم قوماً كانت لهم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» سابقة ذات شأن وخطر، [وعند ابن أعثم: سوابق كثيرة، ومناقب عظيمة. ولا ينكر لهم ذلك]، ولكني ضربت الأمر ظهراً وبطناً فلم أر يسعني أن يهدر دم عثمان صهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» نبينا، الذي جهز جيش العسرة، وألحق في مسجد رسول الله بيتاً وبنى سقاية، وباع له نبي الله «صلى الله عليه وآله» بيده اليمنى [على اليسرى]، واختصه رسول الله بكريمتيه: أم كلثوم ورقية، ابنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فإن كان أذنب ذنباً فقد أذنب من هو خير منه.

وقد قال الله عز وجل لنبيه «صلى الله عليه وآله»: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) (1).

وقتل موسى نفساً ثم استغفر الله فغفر له، ولم يعر أحد من الذنوب! وأنا لنعلم أنه قد كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله، فإن لم يكن مالاً على قتل عثمان فقد خذله، وإنه لأخوه في دينه

(1) الآية 2 من سورة الفتح.

وابن عمه، وسلفه، [وشريكه في الشورى، وبعدها] وابن عمته.  
ثم قد أقبلوا من عراقهم حتى نزلوا في شامكم وبلادكم، وإنما  
عامتهم بين قاتل وخاذل.

فاستعينوا بالله واصبروا، فلقد ابتليت أيتها الأمة والله.  
ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه، لكأنا وأهل العراق اعتورنا  
مصحفاً نضربه بسيوفنا، ونحن في ذلك جميعاً ننادى: «وَيَحْكُمُ اللهُ».  
ومع أننا والله ما نحن لنفارق العرصة حتى نموت.

فعليكم بتقوى الله، ولتكن النيات لله، فإني سمعت عمر بن  
الخطاب يقول سمعت: رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «إنما  
يبعث المقتلون على النيات، أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعز لنا  
ولكم النصر، وكان لنا ولكم في كل أمر.  
وأستغفر الله لي ولكم.

**أضاف ابن أعثم هنا قوله:** فلما فرغ ذو الكلاع من الكلام أخذته  
السهام ودنا القوم بعضهم بعضاً<sup>(1)</sup>.

**ونقول:**

لا بأس بالنظر إلى الأمور التالية:

(1) صفين للمنقري ص 239 - 241 والفتوح لابن أعثم ج 3 ص 75 و 76 و (ط)  
دار الأضواء) ج 3 ص 50 و 51 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج 17  
ص 391 - 393.

## أصحاب علي × وأصحاب معاوية:

وفي مجال المقارنة بين أصحاب علي «عليه السلام» وأصحاب معاوية، يمكن تسجيل ملاحظات كثيرة على ما تقدم نقتصر منها على ما يلي:

**ألف:** بالنسبة لفريق أهل الحق، وهم الذين كانوا في جانب علي «عليه السلام» نلاحظ ما يلي:

**1 -** إن من يراجع كلمات كبار القادة عند أمير المؤمنين «عليه السلام» يلاحظ مدى اعتزازهم بخطهم الذي ينتهجونه وبصحة المواقف التي يتخذونها، ويرون أنها شرف وأوسمة لهم، ومن دواعي مجدهم وفخرهم.

**2 -** إنهم يؤكدون باستمرار على وضوح الرؤية لديهم، وعلى عمق يقينهم وثقتهم بحقهم، وسلامة منهجهم، وطريقتهم في التعاطي مع الأمور، فهم قريرة أعينهم، طيبة أنفسهم بهذا القتال كما قال الأشر «رحمه الله».

**3 -** إنهم يظهرون مرونة فائقة في التعاطي، مستعدون للإنعطاف، مهياون لكل أنواع التسامح والعفو، ولكن في الدائرة التي يحفظ فيها الحق، وتسلم معها العناوين الكبرى من الإبتذال والإمتهان..

**4 -** إنهم ما زالوا يقدمون منطق البرهان والحجة على منطق التصلب والتزمت، وفرض الرأي بالقوة والقهر.. كما أنهم يتحاشون

منطق العصبية والتعصبات العشائرية والمناطقية وسواها..

5 - إنهم يمتازون بالإعتماد على النفس، وبقدر كبير من الإستقلالية في التفكير، ويرون أن لهم الحق في فهم حيثيات ما يجري، وفي المشاركة في القرار، ويأنفون من فرض الرأي عليهم، والتحكم بهم.

6 - إنهم ما فتنوا يظهرون الإعتزاز، بكثرة وجود الصحابة بينهم، ولا سيما أهل بدر. ويعتبرون ذلك نعمة لا يستطيعون أن يقدرها قدرها، ولا أداء شكرها.

كما أنهم يفتخرون بميزات أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويشيدون بفضائله، وكراماته، وتضحياته، وسوابقه في الإسلام، مع علمه وفقهه. وكونه «عليه السلام» ابن عم الرسول «صلى الله عليه وآله»، في حين أن معاوية طليق ابن طليق.

7 - إنهم يريدون أن تكون حربهم لعدوهم من موجبات رضا الله عنهم، لا وسيلة لطلب الدنيا على حساب دماء الناس، وبقيمة إزهاق أرواحهم. ويريدون بقتل عدوهم أن يدخلوا الجنة، لا أن يحصلوا على الملك والدنيا.

8 - إن كلامهم ينضح بالدلالة على احترامهم للقيم الإيمانية، ومكارم الأخلاق، وبالشيم والأخلاق الفاضلة، والكرامات الإنسانية، ويقدمونها بصورة حجج وبراهين على أولويتهم بالحق، وقربهم من الصواب، وسيرهم على طريق الخير والهدى والصلاح، فقد أحبوا

علياً «عليه السلام»، لأنه كما قال الأشتري: لم يكن له صبوة، ولا نبوة، ولا هفوة. بالإضافة إلى صبره، وعفاه وزهده، وسائر صفاته.

**واللافت هنا:** أن عامر بن شراحيل الشعبي قد صدّق ما قاله يزيد بن قيس الهمداني «رحمه الله»، وقال: لعمرى لقد صدق بفعله، وبما قاله في خطبته.

مع أن الشعبي لم يكن يحب علياً «عليه السلام». بل كان الحارث الأعرور يتهمه بالكذب..

وكان من قضاة بني أمية.

وكان يحلف أن علياً دخل قبره ولم يحفظ القرآن.

وكان الشعبي سكيراً خميراً، مقامراً، عياراً<sup>(1)</sup>.

ب: بالنسبة لفريق معاوية نلاحظ ما يلي:

**1 -** إنهم كانوا يرون أنهم لا يملكون الحجة التي يملكها أصحاب علي «عليه السلام»، وليس لديهم ما يصلح لأن يقابل به ما عند أولئك، أو ما يصح أن يعرض أمام الرأي العام. وقد صرح ذو الكلاع بعجزه عن مقارعتهم بالحجة بالحجة، وبأنه ليس ليديه ما لدى أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».

**2 -** إنهم يصرحون بترددهم وبحيرتهم، وبأنهم لا يملكون من

(1) راجع: قاموس الرجال ج 5 ص 611 و 612 والصراط المستقيم ج 1

وضوح الرؤية ما يخولهم شرعنة ما يقدمون عليه..

3 - إن عصبيتهم ومفاهيمهم الجاهلية، وحبهم للدنيا، قد هون عليهم الإقدام على حرب لا يملكون فيها برهاناً. ولم يكن لديهم من الخجل، والمروءة ما يمنعهم من الإعراف بهذه الحقيقة، ولا من الورع والتقوى ما يصددهم عن الإقدام على هذه الجريمة الكبرى، الممتثلة بالدخول في حرب طاحنة من دون حجة ولا برهان.

4 - إنهم جفاة استطاع معاوية أن يغويهم، ويزين لهم أبشع الجرائم - وهي حرب الله ورسوله - بصورة الحق الذي يسوغ لهم طلبه، والإصرار عليه.

5 - إن ما يعتذرون به عن إقدامهم على هذه الحرب يتضمن كذباً صريحاً، لا مبرر له، حيث يزعمون أن الطرف الآخر هو الذي بادر إلى حربهم، ولم يعطهم فرصة للتفكير والتروي في الأمر، فقد قال يزيد بن أسد: «ولكنهم لم ييلعونا ريقنا، ولم يتركونا نرتاد لأنفسنا».

وهذا كذب صراح، وفجور ظاهر، فقد كان قد مضى على قتل عثمان حوالي سنتين، أو أكثر.. فكم سنة يحتاج التروي في هذا الأمر؟! ولماذا لم تترو في هذا الأمر سائر البلاد والعباد؟! وهل يسمح في الخلافة والبيعة بعد بيعة البدريين والمهاجرين والأنصار بالارتياح والاختيار، أم المبادرة إلى البيعة؟! والنصرة واجبة على الناس كلهم بعد اختيار البدريين والمهاجرين والأنصار للخليفة..

وهل يمكن إعطاء فرصة لمن لا حق له بالتخلف عن البيعة،

ويطالب بما لا حق له. بل يتمادى في تمرده على إمامه؟!!

وَألم يكن معاوية هو الذي أعلن الحرب على علي «عليه السلام»، وهدده بها، وجمع الجيوش من البلاد، وساعده على ذلك قاداته وأمراؤه، مثل شرحبيل بن السمط، وذو الكلاع، وأبي الأعور، وابن العاص، وسائر أعوانه، ثم كان هو المبادر إلى المسير بجيوشه نحو صفين، ولكنه لم يجرؤ على تجاوزها إلى البلاد التي بايعت علياً «عليه السلام»، ثم أبلغ علياً قراره هذا، فسار «عليه السلام» إليه؟!!

ولماذا نسي يزيد بن أسد مساعي أمير المؤمنين «عليه السلام» لإقناعهم بالحقيقة، بالاحتجاج المتواصل عليهم بما لا يمكن لأحد دفعه أو إنكاره. ولكنهم واصلوا الجحود واللجاج والعناد، وأصرروا على الحرب.

كما أنه «عليه السلام» بالرغم من ذلك لم يوصد باب الحوار، بل واصل بذل المحاولات وإلى آخر لحظة، مع علمهم بأن أية لحظة يبدو له فيها أن ثمة بصيص أمل بإنابتهم إلى الحق، وقبولهم بحكم الله، فإنه سيسارع إلى اغتنام الفرصة، وسيبذل المحاولة، وكل ما يمكن بذله مما يسمح له به الشرع الحنيف.. إن صورة عفوه العظيم عن أهل الجمل لا تزال في الأذهان، ولم يمر الوقت والزمن الذي يمكن أن يكفي لفرض نسيانها.

فهل يصح مع مرور هذا الزمان الطويل على المماثلة، والمطاوله من قبل اعداء علي «عليه السلام»، ومع كل هذا الإحتجاج



والبيان منه عليهم. ومع هذا الإستعداد الدائم منه «عليه السلام» للتخلي عن الحرب والرجوع إلى سنة العفو والتسامح، ومع هذا الإصرار منهم على حربه، والعدوان الصارخ والواضح منهم عليه، ومع كونهم هم البادئون بالمسير إليه، أو المبادرون للحرب - هل يصح - أن يقال: إن علياً «عليه السلام» لم يبلعنا ريقنا، ولم يتركنا نرتاد لأنفسنا، وننظر لمعادنا؟!!

وهل يصح أن يدعي هذا الوقح: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي نزل بساحتهم، وبين أظهرهم، وفي حريمهم؟!!

6 - وأما الحديث عن نزول أمير المؤمنين «عليه السلام» في حريمهم وفي بيضتهم. فقد ظهر مما ذكرناه أنفاً: أنه لمجرد ذر الرماد في العيون، ولتهوين البغي والعدوان الذي يمارسه هؤلاء القوم على إمامهم الذي لا خيار لهم من الناحية الإيمانية والشرعية في القبول بإمامته، والإنضواء تحت لوائه وحكومته، فإنه ليس للمسلمين إلا رأس واحد، ولا تجوز البيعة لإمام آخر، فضلاً عن عدم جواز البيعة لطلق، وابن طليق، كما أنه بعد بيعة البدرين والعقبين، وأهل بيعة الرضوان. وسائر الصحابة الأخيار، من المهاجرين والأنصار، فإنه ليس للشاهد أن يرد، ولا للغائب أن يختار.. وبيعتهم لعلي «عليه السلام» في المدينة قد لزمتم معاوية وسائر أهل الشام ومصر، وفلسطين، والأردن، واليمن وسواها..

وإذا كان «عليه السلام» قد أصبح إمام الأمة كلها، ولم يعد لهم

خيار، فما معنى حديث هذا المتحذلق عن أن لهم حريماً يمنع عليه أي على أمير المؤمنين «عليها السلام» أن يصل إليه، أو أن لهم بيضةً وكياناً لا يصح أن ينزل فيه، أو أن يتعرض له؟!!

7 - وأما حديث هذا الأرعن عن أن في أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» طغماً وأحلاماً، فهو لا يأمن من طغامهم على ذراريه ونسائه، فهو أغرب وأعجب، فإن هذا الرجل يدعي:

**ألف:** ليس فقط أن له الحق بالقصاص قبل حدوث أية جريمة، بل يدّعي أنه لمجرد توهم أو احتمال وقوعها.. له الحق في أن يجيز لنفسه أن يخوض حرباً هائلة تطحن رعاها أكثر من سبعين ألف قتيل من المسلمين.

**ب:** إنه يصادر من الإمام الحاكم الذي يلزمه الله بطاعته صلاحياته، ويجعل نفسه قاضياً، ويصدر حكمه الجائر هذا، ثم يتولى هو تنفيذه.

**ج:** والأغرب والأعجب من هذا وذاك: أن يكون الغريم الذي يصدر حكمه هذا عليه هو نفس إمامه وحاكمه. ثم هو ينفذه فيه وفي الأمة بأسرها، غير خجل ولا هياب.

مع أنه كان يستطيع أن يتلافى ذلك كله بالعودة إلى كتاب الله، والقبول بأحكام الشريعة، التي تحاصره بأحكامها، ولا تدع له مجالاً لأي بغي أو عدوان.

د: لو فكر في الأمر قليلاً لأدرك أن الطغام في أهل الشام، أكثر

منهم في أهل العراق الذين جاء بهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلماذا لا يشن على قومه أيضاً حرب إبادة تطحنهم، وتستأصل الأخضر واليابس فيهم، لا يبقى من أهل الشام غير ذوي الأحلام؟!!

**8 -** إن ما تقدم وسواه يدل دلالة قاطعة على أن وجود أهل السوابق الكثيرة، والمناقب العظيمة، التي لا مجال لإنكارها مع أمير المؤمنين «عليه السلام» كان هو الشجا المعترض في حلق معاوية وأصحابه.

هذا فضلاً عن موقع علي «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفضائله العظيمة، وجهاده في نصرته الإسلام، وسوابقه، ومزاياه، في حين أنه لم يكن مع معاوية أحد من الصحابة ذو فضل، ومكانة وشأن يذكر، بل كان سيدهم ورئيسهم معاوية طليقاً وابن طليق.. أما عمرو بن العاص فهو الأبتري ابن الأبتري بنص القرآن. ومعهم الوليد بن عتبة الموصوف في القرآن بالفاسق وأمثال هؤلاء.

فكان ذلك يحتم عليهم التماس المبررات لما يقدمون عليه من حرب لإمام أجمع عليه البديرون وسائر الصحابة الأخيار، ومن قد لزمتهم بيعته، وهو بالمدينة، وهم بالشام..

وقد سمعنا المبررات التي حاول يزيد بن أسد أن يسوقها، ورأينا كم هي هزيلة وموهونة بل مردولة.. وكما أن ما جاء به ذو الكلاع كان أشد وهناً، وأكثر رذالة..

**9 -** إن أصحاب معاوية كانوا فاسدي العقيدة كما أظهره طعن ذي

الكلاع في عصمة نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» وعصمة موسى «عليه السلام»، فلاحظ ما يلي:

### فضائل عثمان:

إن ذا الكلاع حاول أن يقدم عذره بتعظيم شأن عثمان، بإيراد ما أمكنه من فضائل وكرامات له، ولكنه لم يجد عنده سوى نوعين منها:  
النوع الأول: ما لا يجدي نفعاً، وليس مما يصح اعتباره فضيلة له ولا لغيره، ومن ذلك:

ألف: زيادته في المسجد بيتاً.

ب: بناء سقاية..

وهذان الأمران لم يثبت أن ما بذله فيهما قد كان من أمواله، فلعله من بيت مال المسلمين.. كما أننا لم نستطيع معرفة إن كان البيت الذي أحقه بالمسجد قد أخذه من أصحابه برضاهم، أو بغير رضا منهم. فقد علمنا أنهم استولوا على بيت فاطمة «عليها السلام» واستولوا على غيره من غير رضا من أصحاب تلك البيوت.

ج: زواجه بابنتي النبي «صلى الله عليه وآله» رقية، وأم كلثوم..

فإن هذا التزويج لا يدل على فضل عثمان لما يلي:

أولاً: إن هاتين البنيتين ما كانتا بنات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لصلبه، بل هنَّ بناته بالتربية والرعاية، كما أثبتناه في العديد من الكتب التي أفردناها لبحث هذا الموضوع. وقد مر معنا في هذا الكتاب

موارد عديدة تؤكد هذه الحقيقة، حيث وجدنا علياً «عليه السلام» يستدل على تقدمه على جميع الصحابة: بأنه زوج بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله». فلو كان عثمان زوج ابنتي النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستقم هذا الإستدلال.

**ثانياً:** إن هذا التزويج إنما يكون فضيلة، إذا صاحبه ما يدل على ذلك، كما إذا أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» أن الله تعالى هو الذي أمر به. كما جرى بالنسبة لفاطمة وعلي «عليهما السلام».. أما بدون ذلك، فإنه قد يكون لضرورات اقتضته وفرضته.

**ثالثاً:** قد يدعي شخص: بأن هذا الزواج إن قبلنا أنه يدل على استقامة عثمان على طريق الحق، فإنما يدل على أنه قد كان كذلك حين زوجه، ولكنه لا يوجب عصمة عثمان بعد التزويج وفي حياة الرسول «صلى الله عليه وآله»، فلعله قد صدر منه ما نقض ظواهر أحواله..

كما أنه لا يمنع من صدور المخالفات منه بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. كما كان الحال بالنسبة لصفياء زوجة موسى التي حاربت وصيه يوشع بعد وفاته.

وكما جرى بالنسبة لمحاربة عائشة زوجة النبي «صلى الله عليه وآله» لو صيه علي «عليه السلام» بعد استشهاد الرسول.

وكما جرى بالنسبة لعثمان الذي افترض ذو الكلاع بأنه قد أذنب ذنباً، وشبهه بذنب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وذنب موسى

«عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام».

**النوع الثاني:** ما يعد في نفسه فضيلة لو كان قد صدر من عثمان، ولكن الحقيقة هي أنه قد ثبت أنه مكذوب عليه، ومنسوب زوراً إليه. ولعله مما كان يخترعه له معاوية، ويشيعه في أهل الشام. وتظهر أقوال ذي الكلاع هنا كيف أن أهل الباطل يسعون لتبرير جرائم وموبقات زعمائهم بنسبة ما يماثلها للأنبياء وأوصيائهم.. وكان من نتيجة ذلك حصيلة وافرة وكبيرة جداً تؤدي كلها إلى الطعن في عصمة الأنبياء، فإن لله وإن إليه راجعون.

وقد ذكرنا في كتابنا: «الصحيح من سيرة النبي الأعظم» صلى الله عليه وآله» وغيره: أنه لا صحة لما يروونه من أن عثمان:

**ألف:** قد جهز جيش العسرة.

**ب:** أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بايع له في بيعة الرضوان.

فلا نرى حاجة للحديث عنها هنا..

غير أننا نود لفت النظر إلى أن ذا الكلاع إنما قال ذلك لتحريض أهل الشام، ولم يذكره لأهل العراق ولا للصحابة وأهل المدينة، لكي يسمع منهم ما هو الحق في ذلك..

**نو الكلاع، وعصمة الأنبياء:**

**والأدهى والأمر:** أن نجد ذا الكلاع يشيع بين الناس من أهل

الشام، ويسجل على نفسه بلا خوف ولا خجل الطعن في الأنبياء، ونسبة ارتكاب الذنوب إليهم.. فادعى:

أن أحداً لم يعر من الذنوب حتى الأنبياء، ثم استشهد على ذلك بما يلي:

**ألف:** بقوله تعالى في سورة الفتح: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) (1). زاعماً أن هذه الآية تدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أذنب على الحقيقة..

**وهو كلام باطل.**

**أولاً:** إن الله تعالى لم يكن ليمنح من يذنب مكافأة عظيمة على ذنبه، تصل إلى حد أن يفتح الله تعالى له البلاد، ويخضع له العباد.. ويتم نعمته عليه، وينصره نصراً عزيزاً، ويهديه صراطاً مستقيماً. بل المذنب يعاقب ويزجر، ويلام ويؤنب، ويحرم ولا يعطى..

**ثانياً:** لو صح هذا لفتح باب الإعتراض على الله سبحانه، إذ لماذا يكافئ النبي «صلى الله عليه وآله»، ويعاقب الناس؟! ولماذا لا يكون لكل الناس الحق بأن يطالبوا بالمكافأة على ذنوبهم، أو على الأقل بعدم العقاب عليها؟!!

وقد يطالبون كلهم بأن يجعلهم الله تعالى أنبياء، لكي يحصلوا على هذا الإمتياز.

(1) الآية 2 من سورة الفتح.

**ثالثاً:** ما معنى غفران الله تعالى لنبيه ذنباً لم يصدر منه بعد، بل هو يكافئه عليه قبل حصوله منه؟!

**1 -** أليس ذلك من قبيل القضية السالبة بانتفاء موضوعها، إذا جاز لنا هذا التعبير؟!

**2 -** ألا يكون هذا الغفران المتقدم إغراءً له بارتكاب الذنوب لاحقاً؟! وبأن يعيث في الأرض فساداً - والعياذ بالله؟!

**رابعاً:** هناك جواب آخر، يحتاج إلى بيان أوفى، وهو كما يلي:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث بمكارم الأخلاق، وكان أعدى أعدائه هم قومه، وقريش على وجه الخصوص. وكانت لقريش هيبة في نفوس العرب ومكانة عظيمة، حتى إن عامة العرب بمختلف قبائلهم ومناطقهم وأماكن وجودهم لم يجروا على الدخول في الإسلام قبل فتح مكة، وكان الجميع ينتظر النتيجة التي تنتهي إليها الحروب بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين أهل مكة!!

فإن انتصر رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانوا معه، وإن انتصرت قريش يكونون قد احتاطوا لأنفسهم.

**ونلاحظ:** أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد فتح مكة كان يرسل في بعض المهمات إلى القبائل تارة عمرو بن العاص، وأخرى خالد بن الوليد، وتارة الثالثة يولي أبا سفيان على الصدقات في بعض البلاد، بالرغم من أن هؤلاء هم زعماء الحرب ضده طيلة سنين.

**والسبب في ذلك:** أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يطمئن



أهل المناطق: أن الشوكة لن تعود إلى قريش، ولن يحاسبهم القرشيون في المستقبل، ولن يعاقبواهم على إسلامهم هذا. بل هم قد يؤاخذونهم على عدم استجابتهم لما يريد الإسلام ورسوله منهم.

كما أنهم لن يتعرضوا للعقاب إذا مات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو إذا تركهم وعاد إلى المدينة، لا في أنفسهم، ولا في تجاراتهم، وأمور معاشهم.. فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يهتم بمراعاة هذه الخصوصيات في سياساته التنفيذية، وتوليته لقادة الجيوش، أو لقادة السرايا.

**ومن جهة أخرى:** كان «صلى الله عليه وآله» يحارب قريشاً وتحاربه، حتى تصل إلى المدينة، وتحاصره فيها، ولكننا لم نجد النبي «صلى الله عليه وآله» قصد قريشاً ليغزوها، وفي يوم الحديبية لم يأت النبي «صلى الله عليه وآله» غازياً، وكذلك في فتح مكة ما جاء النبي «صلى الله عليه وآله» ليغزو قريشاً ولا ليقاتلها، وإنما جاء ليزور البيت العتيق. الذي هو بيت الله لا تملكه قريش، فلماذا تمنع الناس من الوصول إليه، ومن زيارته وعبادة الله فيه؟!

ورغم ذلك، فإنه «صلى الله عليه وآله» رضي بعقد الهدنة معه، وإن تضمنت أن يعود «صلى الله عليه وآله» من حيث أتى، ثم يرجع لزيارة البيت في العام المقبل..

**والمفارقة هنا:** أن صلح «الحديبية» كان هو الفتح المبين لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص الآية في أول سورة الفتح، مع أن

البعض من المسلمين قد أنكر هذا حميةً منه!! وقال: «كيف نعطي الدنية من ديننا»؟!!

وقد بيّن لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: أن هذه ليست دنية في الدين، وذكرهم بأن المشركين كانوا يغزونهم في بلادهم، ويقتلونهم، ويأخذون أموالهم، ولو استطاعوا لأخذوا نساءهم. ولكن الآن المسلمون هم الذين يأتون إلى المشركين، ووطأوا بلادهم، ومعهم سلاحهم، والمشركون الآن هم الذين يطلبون من المسلمين الأمن. والمشركون سابقاً لم يكونوا يعترفون بوجود المسلمين.. أما الآن فهم يطلبون أن يعقدوا اتفاقاً، ويكتبوا صلحاً.

**والأهم من ذلك:** أن نفس إقرارهم بأن للمسلمين الحق بزيارة البيت العتيق بعد أن كانوا يرون أن لهم الحق بقتلهم وكانوا يقولون للمسلمين - كما في قول عمرو بن العاص لملك الحبشة -: إنكم تقطعون أرحامهم، وفرقتم كلمتهم، ومزقتهم شملهم، ووتسببتم بالأحقاد.. أما الآن فيقولون لهم: جئتم لكي تصلوا أرحامكم، لا للحرب، ومن أجل زيارة البيت والعبادة والتقرب إلى الله عز وجل.. ويقولون: نحن نقر بأن لكم الحق بذلك، لأن من جملة شروط هذا الصلح هو أن تأتوا في العام القادم، وتدخلوا إلى البيت ومعكم سلاحكم، وسيوفكم.

**وواضح:** أن تأجيل دخولهم إلى العام المقبل ظلم لهم، لأن الإقرار لهم بالدخول في العام الآتي دليل على أن منعهم لهم الآن في

غير محله، وإنما هو مجرد عنجهية واستكبار وغرور، لا مبرر له، إلا إرادة إثبات الوجود.

وقبول المسلمين بهذا الظلم، مع قدرتهم، وحضور جيشهم فيه تسامح كبير، وبدل على أنهم ليسوا طلاب حرب.

**هذا.. ولا بد من ملاحظة الأمور التالية:**

**1 - قال عز وجل: (إِنَّا فَتَحْنَا).** فنسب «الفتح» لنفسه ولم يقل: هذا فتح مبين.. أو حصل فتح مبين، أو «فتحت لكم فتحاً مبيناً» بل قال سبحانه ما معناه: «أؤكد أنني أنا الذي فتحت لك فتحاً مبيناً».

إذن.. لم يكن الفتح بقوة السيف، ولا بجهد أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كان بتدبير إلهي فقط، ولذا لم يقبل تبارك وتعالى أن ينسب الفتح لأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنهم كانوا - في أكثرهم - مخالفين لهذا الصلح رافضين له، وكان بعضهم يرى أنه إعطاء للدنية في الدين، فهل يصح أن يقال: إن الله عز وجل يعطي الدنية في دينه؟! ألا يعد هذا من أعظم العدوان على العزة الإلهية؟!

**2 - قال تعالى: «إِنَّا»** بضمير المتكلم ومعه غيره، لأنه يريد أن ينسب الفتح لنفسه من موقع العزة والعظمة، والجبروت والقوة.. لأن الفتح يحمل معه هذه المعاني.

أي أنك يا محمد، أصبحت عزيزاً وعظيماً وقوياً بقوة الله، ولأنه تعالى لم يعطك من موقع الترحم والعطف على الضعيف، أو المعدم،

المحتاج لمن ينقذه من ورطته، بل أعطاك ليظهر عظمته فيك.

3 - وقد أراد الله هذا الصلح (لَكَ)، كمنحة إلهية، وليس لأصحابك الذين رفضوه، وتجراًوا عليك نصيب فيه.. إن الله ورسوله والخُص الذين كانوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم أفراد قليلون، هم الذين أرادوا هذا الصلح.

وقد رفض هذا الصلح الفرارون في «أحد» و «الخنق» وخيبر وسواها، لأنهم أرادوا هنا: أن يبرزوا قوتهم وعضلاتهم الآن على النبي «صلى الله عليه وآله»!!

ولذلك قال تعالى: (فَتَحْنَا لَكَ). ولم يقل: «لكم»، لأن الفتح فقط هبة من الله له «صلى الله عليه وآله» بما هو رسول، وبما هو نبي، وبما هو متصل بالغيب، وبما هو مرشد إلى الله، وحلقة وهمزة وصل بين البشر وبين الله. أراد الله تعالى أن يُمكن لرسوله وأهل بيته، والخُص من أصحابه في الأرض، ليقوم بإبلاغ شرعه، وإقامة دينه، لا لأشخاص لا يهمهم إلا أن يحصلوا على الملك وعلى المال، وعلى الأبهة والنفوذ، ويريدون زخرف الدنيا، ولا يريدون إعزاز هذا الدين.

4 - وقوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) قد جاء ليربطهم بنبيه بما هو رسول لله، وبما هو سليم من أي عيب، أو ذنب، أو نقص، وليزول كل ما كانوا يعتبرونه ذنباً، وتسفيهاً للأحلام، واعتراضاً على موروثاتهم السيئة من الأباء والأجداد، وذلك ليتمكن «صلى الله عليه وآله» من نشر دينه، وإعزازه، لأن ما كانوا يشيعونه عن

رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يهدف إلى منع الناس من البخوع والخضوع له، وتَحُدُّ من تقبُّلهم إياه بوجدانهم وضميرهم، وأعماق نفوسهم، ولذلك قال: **(لِيَغْفِرَ لَكَ)**.

5 - بقي أن نشير إلى أنه يقول: «فتحاً مبيناً» بتتوين التنكير، لإظهار عظمة هذا الفتح، وخطورته، وأهميته.

6 - ثم وصفه بالمبين، ليدل على أن هذا الفتح يظهر عزة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وصبره، وعمق إيمانه، وصحبة الله ورعايته له. ويظهر أيضاً ضعف أعدائه وفشلهم.

ب: ادعى: أن موسى «عليه السلام» قد ارتكب ذنباً بقتله القبطي، ثم استغفر ربه تعالى، فغفر له.  
وهذا كلام باطل أيضاً.

**فقد أثبتت الأدلة القاطعة:** أن الأنبياء «عليهم السلام» مطهرون ومعصومون، فلا يمكن أن يصدر منهم أي ذنب مهما كان.. وما تشبث به ذو الكلاع وغيره من أتباع النهج الأموي، الذي يهتم بتصغير شأن الأنبياء، ويصورهم على أنهم على شكل بني أمية في أخلاقهم وفي سلوكهم وتصرفاتهم، مردود عليه، ولا يدل على شيء مما يريدون التسويق له..

وما ذكره عن موضوع قتل القبطي يدل على عدم فهمه للآيات المباركة، فلاحظ ما يلي:

أولاً: قوله تعالى في الآية السابقة على آية قتل القبطي مباشرة:

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (1).

ثم تصريح الآية التي بعدها: بأن القبطي المقتول كان عدو موسى «عليه السلام»، والمراد بالعداوة: عداوة الدين والإيمان.. يدل على أن موسى لم يفعل ما لا يرضاه الله، فإنه لا ضير في قتل الإنسان رجلاً كافراً ظالماً معتدياً على رجل مؤمن، وليس ذلك من الذنوب..

ثانياً: إن قول موسى: (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) (2). ليس المراد الإشارة بكلمة: «هذا» إلى قتل القبطي، وأنه كان من عمل الشيطان، لأنه عمل بالواجب والتكليف الشرعي الذي يحتم عليه نصرته المؤمن ودفع الظلم عنه. بل المراد به الإشارة إلى القتال والإعتداء الصادر من القبطي، وأن سببه هو وسوسة الشيطان للقبطي بأن يعتدي على ذلك المؤمن، فبادر موسى «عليه السلام» إلى إغاثته، وقتل عدوه.

ثالثاً: إن موت القبطي كان بسبب وكز موسى «عليه السلام» له.. ولم يكن رده عن ذلك المؤمن ممكناً إلا بذلك.. فالمقصود: هو الوكز بهدف الرد عن الإعتداء.. وتخليص المؤمن، ولكن الوكز الذي يرد هو ذلك الذي تكون نتيجته الموت.. فموسى وإن لم يقصد الإمامة أولاً وبالذات، ولكنها تحققت بالفعل، فأوجبت همه وغمه، وجعلته

(1) الآية 14 من سورة القصص.

(2) الآية 15 من سورة القصص.

يحتاج إلى طلب المعونة من الله، وإلى الستر عليه من عيون الفراعنة، حتى لا يكتشف أمره..

وقد فسر الإمام الرضا «عليه السلام» قول موسى هنا: (فَأَعْفِرْ لِي) بأن المراد أسترني من أعدائك، لئلا يظفروا بي: (فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(1). أي أنه «عليه السلام» قد طلب من الله تعالى أن يوجد له ما يستره عن أعدائه. أي أن الستر قد وجد لأهله، ومعنى غافر: ساتر.. وقوله: اغفر معناه: أوجد ستراً لمصلحتي، أو لأجلي.

رابعاً: قد يقال: إن طلب الأنبياء للمغفرة يكون على معنى طلب دفع مسبباتها عنهم. أي طلب دفع المعصية عنهم، ومن باب قوله تعالى: (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ)(2). لا رفع آثارها بعد وقوعها، والذي ينافي عصمتهم هو الثاني لا الأول.

خامساً: بالنسبة لقول فرعون لموسى «عليه السلام»: (وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالِ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)(3). نقول:

إن ظاهر هذه الآيات: أن الله سبحانه قد كافأه على فعله بأن وهب

(1) الآية 16 من سورة القصص.

(2) الآية 24 من سورة يوسف.

(3) الآيات 19 - 21 من سورة الشعراء.

له بعد فعلته وفراره منهم حكماً، وجعله رسولاً، حيث ذكر ذلك بصورة التفريع على الفرار بسبب الخوف المتفرع عن فعل القتل..

فهل يمكن أن يكافئ الله تعالى على ذنب هو بمستوى جريمة قتل لبريء؟! وهل يمكن أن تكون المكافأة هي إعطاء النبي موسى «عليه السلام» مرتبة أخرى من الحكم بعد تلك المرتبة التي أعطاه إياها قبل القتل مصحوبة بدرجة الرسولية؟!!

سادساً: إن موسى «عليه السلام» بعد أن قال: (رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ)(1). قد بادر مرة أخرى للبطش بشخص آخر قد استصرخه إليه نفس الرجل الذي استغاثه بالأمس.. فلو كان يعتبر أن قتل القبطي كان ذنباً ومعصية، وجريمة، وقد طلب من الله أن يغفرها له، وتعهده بعدم العود إليها، لما صح منه أن ينقض العهد مباشرة، ويبادر إلى ارتكاب نفس الجريمة التي تاب واستغفر منها.. إن صح التعبير..

وهذا يدلنا على أن المراد بظلم نفسه: أنه حملها أمراً يصعب حمله لما فيه من الخوف والمشقة، ولما ينتظرها لأجله من مخاطر ومشقات.. وقد تقدم أن المغفرة المطلوبة هي الستر لا غفران الذنب. وأما قول موسى: (إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ)(2). فإما أن يراد به: أن ذلك

(1) الآية 17 من سورة القصص.

(2) الآية 18 من سورة القصص.



المؤمن هو الذي يورط نفسه، ويعرضها للأخطار والمشاكل الكبرى مع الأعداء، الأمر الذي يوجب على المؤمنين الدفاع عنه.. ولكنه لما أراد الدفاع عنه ظن ذلك المؤمن أن موسى «عليه السلام» أراد أن يبطش به، فقال له: (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) (1). فبلغ ذلك فرعون.

أو أنه «عليه السلام» خاطب به ذلك المعتدي على المؤمن بقوله: (إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ). وأنه عدوان سافر لا يمكن تبريره. فقال له المعتدي الكافر: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟! ثم وشى به إلى فرعون.

#### العصبية المنطقية:

هذا.. وقد تجاوزه ذو الكلاع الحديث عن العصبية القبلية التي كانت خبزهم اليومي ليدخل الناس في العصبية المنطقية أيضاً، فسعى إلى إثارة هذا النوع من العصبية ضد أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» الذين كانوا عراقيين بصورة عامة. وقد نزلوا في شامهم وفي بلادهم، وكأنه يعتبر نزول العراقيين في بلاد الشام ذنباً يدعو أهل الشام إلى خوض حرب يهلك فيها عشرات الألوف.. بالرغم من أن أهل الشام هم الذين بدأوا تحركهم باتجاه بلاد العراق.

(1) الآية 19 من سورة القصص.

وهم الذين خالفوا أمر الله ورسوله بإعلانهم الحرب على إمام المسلمين. ورفضوا البيعة له بالرغم من الأوامر النبوية الصريحة بلزوم الطاعة له..

كما أن ما يتذرعون به لاستحلال قتال أهل العراق، وهو أنهم بين قاتل وخاذل لعثمان لا يخولهم ذلك، لأنهم ليسوا أولياء دم عثمان، وليس الإمام الذين يحكم في هذه القضايا منهم ولا هو فيهم. بل هم يحاربون هذا الإمام بالذات..

### رؤيا ذي الكلاع:

وأما رؤيا ذي الكلاع حول ضربهم المصحف بسيوفهم، فهي - إن كان صادقاً فيما يدعيه - من تسويلات الشيطان، أو هي حجة عليه وعلى الذين أعلنوا الحرب على إمامهم، وعلى من يقاتل حمية للقبيلة أو للبلد، أو للحصول على الدنيا، سواء أكان من هذا الفريق أو ذلك.. وإنما ينجوا المخلصون المجاهدون في سبيل دين الله، ودفاعاً عن الحق وأهله. ولا شك في أن هؤلاء ثلة قليلة في أصحاب علي «عليه السلام».. أما سائر الناس فإنما يحشرون على نياتهم.

### وخلاصة الأمر:

إن هذه الرؤيا تقول: إن الإقتتال طمعاً بالدنيا أو عصبية لقبيلة، أو لمنطقة حرام بلا ريب، ولكن الجرم الأعظم يقع على من أصر على الحرب وأعلنها على سبيل البغي الذي نشأ عن إصرارهم، وإعلانهم للحرب عدواناً منهم على كتاب الله، والعبث بأحكامه وشرائعه،

ولأطفاء نور الله..

ولا ينجو منها إلا من قاتل دفاعاً عن الحق وعن الدين، وقليل ما

هم.

**وفي جميع الأحوال نقول:**

إن هذه الرؤيا كان يجب أن تصد ذاك الكلاع عن المشاركة في هذه

الحرب، وتحتم عليه اعتزالها.

# الفهرس

- 1 - الفهرس الإجمالي
- 2 - الفهرس التفصيلي



## 1 - الفهرس الإجمالي

- الفصل الرابع: الحرب على الماء معالجة نصوص ..... 7
- الفصل الخامس: القتال الثاني على الماء .. ..... 53
- الباب الثاني: قبل أن تبدأ الحرب..**
- الفصل الأول : علي × يبطئ عن الحرب..... 89
- الفصل الثاني: أبو هريرة.. وأبو الدرداء بروايتهم..... 121
- الفصل الثالث: سليم يروي الوساطة بالتفصيل .. ..... 149
- الفصل الرابع: بحوث حول الوساطة..... 181
- الباب الثالث: الجيشان في الميدان..**
- الفصل الأول: الصحابة في صفين .. ..... 219
- الفصل الثاني: حقائق لا بد من بيانها..... 237
- الفصل الثالث: التعبئة الشاملة.. والقتال..... 277
- الفصل الرابع: خطب .. ومواقف .. ..... 313

**الفهارس..**

- 1 - الفهرس الإجمالي ..... 349
- 2 - الفهرس التفصيلي ..... 351

## 2 - الفهرس التفصلي

### الفصل الرابع: الحرب على الماء معالجة نصوص..

- 9 ..... بداية:
- 9 ..... إيضاحات لكلمات:
- 14 ..... يهبط الناس على اعتزابه:
- 14 ..... أتاكم كاشراً عن نابه:
- 16 ..... عرام الحرب وصفات قائدها:
- 17 ..... شرح الألفاظ:
- 17 ..... غريب اللغة، لماذا؟!:
- 19 ..... إن للحرب عراماً شراً:
- 19 ..... شدة القائد ضمان وأمان:
- 19 ..... إنصاف القائد:
- 20 ..... القائد المزج:
- 21 ..... القائد الزمخر:
- 21 ..... أن يكون متغشماً:



- 22 ..... سياسة الإحتجاج، لا سياسة الغلبة: .....
- 25 ..... هل أخطأ أصحاب علي x؟! : .....
- 26 ..... نصركم الله ببغيهم و بحميتكم: .....
- 27 ..... إباحة الماء للراغبين: .....
- 28 ..... القصاص أمر جميل: .....
- 29 ..... منعه الماء، وسقاهم: .....
- 32 ..... موقف معاوية وموقف عمرو: .....
- 34 ..... تفتيش بيت فاطمة الزهراء ÷: .....
- 37 ..... مؤاخاة الهمداني الناسك لابن العاص: .....
- 37 ..... أين حلم معاوية؟! : .....
- 39 ..... ذاك إليكم: .....
- 40 ..... وعد علي x: .....
- 42 ..... هذه هي سياسة معاوية: .....
- 43 ..... الذهب والمال لبيت المال: .....
- 45 ..... مات الحكم بن عمرو في قيوده وفي الحبس: .....
- 46 ..... متى مات الحكم؟! : .....
- 47 ..... تجاهل ما فعله معاوية بالحكم: .....
- 47 ..... هل مات الحكم بمرض؟! : .....
- 48 ..... الخلط بين الأشتر والأشعث، لماذا؟! : .....
- 50 ..... فضائل علي x في كلمات الأبطال: .....

- 50 ..... قتل القبط:
- 51 ..... رواية سليمان الحضرمي مرفوضة:
- الفصل الخامس: القتال الثاني على الماء..**
- 55 ..... حيلة معاوية:
- 56 ..... علي × يستعيد الماء:
- 59 ..... اندحار أهل الشام:
- 61 ..... ذلك مبلغهم من العلم:
- 70 ..... خلاصة جامعة:
- 73 ..... الخليط غير المتجانس:
- 74 ..... العراقيون.. يجهلون علياً ×:
- 77 ..... وخلاصة الأمر:
- 79 ..... لماذا لم يفرض عليهم الإمام قراره؟!:
- 79 ..... لماذا لم يفرض عليهم الإمام قراره؟!:
- 81 ..... لا ثغرات في أحكام الله:
- 83 ..... حشر اسم الأشر:
- 84 ..... الخير فيما وقع:
- الباب الثاني: قبل أن تبدأ الحرب..**

### **الفصل الأول : علي × يبطن عن الحرب..**

- 89 ..... علي × يبطن عن الحرب..
- 91 ..... رسل.. واحتجاجات:
- 94 ..... ابن عمر قاتل الهرمزان:
- 96 ..... عمر أدخل الهرمزان في الإسلام:

- 97 ..... علي × وقاتل الهرمزان: .....
- 99 ..... هل هذا استهزاء بأحكام الله؟!: .....
- 100 ..... ما يدعو إليه علي ×: .....
- 102 ..... ألا نطمعه في سلطان؟!: .....
- 102 ..... فعل معاوية يناقض قوله: .....
- 103 ..... علي × ليس مثلك يا معاوية: .....
- 105 ..... عرض القرآن على أهل الشام: .....
- 108 ..... يسقي أهل الشام ويبطئ عن الحرب: .....
- 110 ..... البطش بالمنشقين: .....
- 111 ..... ائذن لنا في القتال: .....
- 113 ..... علي × يعالج الظنون والأوهام: .....
- 118 ..... علي × يطمع بهداية أعدائه: .....
- الفصل الثاني: أبو هريرة.. وأبو الدرداء بروايتهم..**
- 123 ..... القراء: إحتجاجات ومواقف: .....
- 125 ..... خمس وثمانون فزعة: .....
- 125 ..... موقف أبي الدرداء وأبي أمامة: .....
- 126 ..... القراء ثلاثون ألفاً: .....
- 127 ..... علامة استفهام حول القراء: .....
- 128 ..... جهل أم سذاجة؟!: .....
- 129 ..... أبو أمامة، أو أبو هريرة؟!: .....

- 136 ..... أبو أمامة، وأبو الدرداء: .....  
 136 ..... موقف القراء هو الأضر والأشر!!: .....  
 141 ..... لا يباليون بما قالوا: .....  
 142 ..... من هم قتلة عثمان؟!: .....  
 143 ..... ابن أعثم.. وسعيد الأزدي: .....  
 144 ..... المعتزلي يعترض على علي ×: .....

### الفصل الثالث: سليم يروي الوساطة بالتفصيل..

- 151 ..... أبو هريرة وأبو الدرداء في صفين: .....  
 154 ..... جواب علي × لمعاوية: .....  
 157 ..... أبو هريرة وأبو الدرداء عند معاوية: .....  
 159 ..... مناقشات أمير المؤمنين × في صفين: .....  
 159 ..... مناقب علي × لا تحصي: .....  
 166 ..... جواب معاوية لأمير المؤمنين ×: .....  
 168 ..... كتاب أمير المؤمنين × جواباً لمعاوية: .....  
 178 ..... جواب معاوية الأخير إلى أمير المؤمنين ×: .....  
 178 ..... من أسانيد النصوص السابقة: .....  
 179 ..... إيضاحات لغوية: .....

### الفصل الرابع: بحوث حول الوساطة..

- 183 ..... الأعيب معاوية في رسالته الأولى: .....  
 187 ..... جواب أمير المؤمنين ×: .....  
 189 ..... من يختار الإمام؟!: .....

- 190 ..... نصب الإمام بيد الله تعالى:
- 191 ..... لو قتل عثمان في زمن أبي بكر و عمر:
- 192 ..... معاوية ليس ولي الدم:
- 192 ..... الإقتصاص بعد الإحتجاج:
- 193 ..... قتلة عثمان في عسكر علي x:
- 193 ..... إقتراح عجيب:
- 194 ..... بماذا يهتم معاوية؟!:
- 194 ..... المناشدات في صفين:
- 195 ..... الآيات المختارة دليل واحد:
- 202 ..... معاوية يصر على الباطل:
- 205 ..... الجواب القاطع والصريح:
- 206 ..... علي x لا يغري معاوية بالحرب:
- 207 ..... النبي ' أمر بجهاد المتمردين على أمر الله في علي x:
- 211 ..... هل هذا النص صحيح؟!:
- 212 ..... للقرآن ظهر وبطن:
- 212 ..... الشجرة ملعونة في القرآن:
- 213 ..... في الكتاب اضطراب:
- 213 ..... السفيناني.. والامام المهدي:

## الباب الثالث: الجيشان في الميدان..

## الفصل الأول: الصحابة في صفين..

- 221 ..... الصحابة، وأهل بدر في صفين:
- 234 ..... سبب اختلاف الأقوال:
- 234 ..... استشهاد أويس القرني:

## الفصل الثاني: حقائق لا بد من بيانها..

- 239 ..... نصائح ابن العاص لمعاوية:
- 240 ..... علي × يجهر بالحقائق:
- 242 ..... القراء يلتحقون بعلي ×:
- 244 ..... الصحابة مع علي ×:
- 247 ..... الحل الذي اقترحه ابن العاص:
- 248 ..... خطبة معاوية:
- 250 ..... علي × يبطل كيدهم:
- 252 ..... دعائم استند إليها معاوية:
- 254 ..... المنطلقات والمعايير عند أهل الحق:
- 258 ..... علامات أهل الباطل:
- 259 ..... علامات أهل الإيمان:
- 265 ..... ما يدعو إليه قادة الإسلام:
- 265 ..... إلى الله ورسوله:
- 269 ..... أعجب العجائب عند علي ×:

- 273 ..... ظهور أهل الباطل على أهل الحق:
- 274 ..... يخبرهم بعدم النصر، ويحاربون معه!!:
- 274 ..... لماذا اختاروا الحرب؟!:
- الفصل الثالث: التعبئة الشاملة.. والقتال..**
- 279 ..... العبادة في ليلة القتال:
- 281 ..... تعبئة الجيشين:
- 283 ..... قبائل العراق مقابل قبائل الشام:
- 285 ..... هل هذه حرب عشائرية؟!:
- 286 ..... لماذا لا نناهض القوم؟!:
- 289 ..... المناهضة الشاملة:
- 291 ..... هل يستدل علي × بالجبر الإلهي؟!:
- 295 ..... قراءة القرآن والعبادة ليلة القتال:
- 297 ..... وكونوا صادقين:
- 297 ..... نظرة في هذه النقاط:
- 301 ..... متى كانت هذه الخطبة؟!:
- 302 ..... التعبئة في الليل:
- 303 ..... جيش الشام ضعف جيش العراق:
- 306 ..... عمرو بن العاص يبعد أبا الأعور:
- 306 ..... اقتلوا من يقترب من المنبر:
- 308 ..... ذو الكلاع يذكي العصبيات:

- 309 ..... ليس هذا من العنصرية ولا العشائرية:
- 310 ..... عك تقيد أرجلها لكي لا تفر:
- 311 ..... الأرجاز تفضح عثمان:
- 311 ..... الأكاذيب في شعر إبراهيم بن أوس:
- 312 ..... عدد جيش معاوية:

### الفصل الرابع: خطب.. ومواقف..

- 315 ..... يزيد بن قيس يخطب بقناصرين:
- 317 ..... خطبة الأشر: .....
- 319 ..... كلام الأشعث:
- 319 ..... خطبة يزيد بن أسد البجلي:
- 321 ..... ذو الكلاع يخطب في صفين:
- 324 ..... أصحاب علي × وأصحاب معاوية:
- 332 ..... فضائل عثمان:
- 334 ..... ذو الكلاع، وعصمة الأنبياء:
- 345 ..... العصبيات المناطقية:
- 345 ..... رؤيا ذي الكلاع:
- 347 ..... الفهارس:
- 349 ..... 1 - الفهرس الإجمالي .....
- 351 ..... 2 - الفهرس التفصيلي .....